الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

العدد (٦٢) ـ شعبان ١٤٠٢ هـ ـ السنة السادسة ـ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ م

ISSUE (62) – SIXTH YEAR – JUNE 1982



إقرأ

مختلف سلاسل في إدارة النشر بتهامة



- في التاريخ الإسلامي
- في التشريع والفقه
- في الحضارة الإسلامية
- في التربية وعلم النفس
- في الأدب والتراث
- في القصة والشعر
- في ثقافة الطفل
- للطلبة والطالبات
- للكبار والصغار
- للباحثين والدارسين

بأقلام نخبة من الأدباء السعوديين والعرب

الثروة المادية قابلة للنضوب وثروة الفكر لا تنضب أبدًا

تباع لدى مكتبات **تهامة**
ومراكز التوزيع التابعة لها في مختلف مدن المملكة ..

المركز الرئيسي : جدة - شارع التوبك - خلف الإسكان - ص.ب: ٥٤٥٥ تليفون : ٦٥١٦٦٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 62 – SIXTH YEAR – JUNE 1982. — العدد (٦٢) ـ شعبان ١٤٠٢ هـ ـ السنة السادسة ـ حزيران (يونيو) ١٩٨٢ م

رئيس التحرير

عـلوي طه الصـافي

ALAWI TAHA ALSAFI
Editor – in – Cheif

All Correspondence To:

Riyadh - Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine P.O Box 3
Tel: 4653026–4653027
TLEX 202600 DRFATH SJ

المراسلات:

الرياض ـ المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل ص.ب (٣)
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس DRFATH SJ ٢٠٢٦٠٠

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٥ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٣٠٠ مليم
الكويت	٣٠٠ فلس	ج. ع. ليبية	٥ ريالات	الجزائر	٥ دينار
الإمارات العربية المتحدة	٥ درهم	ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٥٠٠ فلس	المغرب	٥٠٠ فلس
قطر	٥ ريالات	مصر	٢٥٠ مليم	سوريا	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٢٥٠ مليم	لبنان	٨ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	الصومال	٥ درهم	ليبيا	٦٠٠ درهم

EUROPE – AMERICA – ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	15
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	160			
Greece	DR	100	Spain	PTS	120			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R 150 Others S.R 255

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

● أسعار الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

الإدارة العامة وفرع جدة: جدة ـ ميدان وزارة الخارجية ـ برقيا: تيماكو ـ جدة ـ تلكس 401205 (حفار) ص. ب 4588 ـ هاتف 5111111 (٢٠ خطا)

فرع الرياض: شارع بلسون ـ عمارة الشركة العقارية برقيا: تيماكو ـ الرياض ـ تلكس 201305 ـ 200610 ص. ب 3761 ـ هاتف 4771000 (عشرة خطوط)

فرع خالد بن الوليد: سوق عطارد ـ شارع الملك علي ـ مقابل مركز الحمادي ـ ص. ب 1٠٠٧ ـ هاتف 8322222/8322223/8322224/8322225/8322226

فرع مكة المكرمة: أم الجود ـ طريق مكة / جدة ـ برقيا: تيماكو ـ مكة ـ ص. ب 1٠٧٤ ـ هاتف 5437٠٧٩/5437٠٧٨/5437٠٢٣/5437٠٩

فرع لندن: إلى جانب فروعها في (الطائف ـ هاتف 7321119) ، (أبها ـ هاتف 224٠٥٤) ، (القصيم ـ هاتف 3222220) ، (أبها ـ هاتف 224٤٨١٠)

المركز الصحفي الدولي ـ برقيا: تيماكو ـ لندن ـ تلكس 26522 ـ هاتف 1٠٢٥٣٦٨٩ / 1٠٢٥٣٦٨٦ / 1٠٢٥٣٦٤٣ / 1٠٢٥٣٤١٤

تهامة للإعلان والعلاقات العامة والبحوث التسويقية

في هذا العدد

حدائق رئيس التحرير ٩
الحركة الثقافية في شهر ١٠
اليوم والغد ١٨
الحضارة .. والعرب (بين السطور) محمد حسن زيدان ١٩
الإسلام بين الدولة الدينية والعلمانية د. هيثم الشريف قاسم ٢٠
حق يكتب تاريخ العلم في بلاده د. محمد حميد فرحان خليفة ٢٢
الخفية : اختيارات وقرارات (كلمة خفية) د. حسين مؤنس ٢٦
الحاجة إلى تدوين جديد لتاريخ الأدب العربي د. حسين عطوان ٢٨
مشاركتنا ٣٠
الوجه الجديد للفلسفة الأمريكية المعاصرة د. عبد الفتاح البديدي ٣١
بيروت .. أم الشرائع (مدينة وتاريخ) ريمون الكك ٣٥
بيوتات (من عادات الشعوب) ٤٥
لويزلم سيمار سنجون (لقاء مع) ترجمة وإعداد : حديقة سلمان ٤٦
جوانب مضيئة في فرنسا أبو عبد الرحمن ابن عقيل ٥٦
ملامح الحركة الثقافية في الأردن د. فواز أحمد عرقسوسي ٥٩
رسالة إلى أبي العلاء المعري (قصيدة) د. أسامة عبد الرحمن ٦٤
من الكلية السعودية ٦٥
أضواء على شخصية المفكر محمد المبارك ريحانة صالح جنزلي ٦٧
الحاجة إلى إنشاء مركز عربي لرعاية المسنين (هم الكبار الدولي) د. لطفي بركات أحمد ٧٢
التربية وعملية تكوين الوعي الصالح د. تركي رابح ٧٤
دور العائلة في التنمية الاقتصادية د. عبد الله عبد العزيز العبد القادر ٧٨
ذكرى عيد ربيع (قصيدة) جليلة رضا ٨١
الوجهة الثالثة (رحلة في كتاب) تأليف : آلن تورين عرض : د. أحمد عباس عبد البديع ٨٣
أبجدية خربشات لمدفعية وهجومية (موضوع خاص) عبد الرحمن حريتاني ٩١
تكوين الفرس ومنازل (الوجاهة وفنان) سليمان أحمد ياجيم ١٠٤
أبياتك .. في قدحك .. معاصري فوزي سليمان ١٠٧
كشكشات علمية ١١٢
تفاريق الأربية وتفيلات ثانية عند الأهلات د. محمد مروان البحيري ١١٥
فيديمات المخلفة وأكلة بالنفس د. محمود الدوداري ١١٨
وجه العصرية الآخر (قصيدة) علي أحمد علي النعمي ١٢٣
الأدباء ومنازل القمر في الشعر العربي د. محمود حسن أبو ناجي ١٢٤
رحلة الشتاء والصيف (رحلات تاريخية) ١٢٨
طبق الرحيل (قصة قصيرة) د. وليد قصاب ١٣١
الأيام تطهرك (قصة قصيرة) حسني سيد لبيب ١٣٣
توقدت (قصة قصيرة) حسن حسن سليمان ١٣٦
بخصائص العلوم لأبي نصر الفارابي (من كتاب التراث) عادل محمد الشاذلي ١٣٩
دائرة المعارف (أعلام من الغرب) ١٤٣
مناقشات وتعليقات ١٤٨
مع الأصدقاء ١٥١
مسابقة مجلة العربي ١٥٢

من كتاب العدد

د. محمد عبد الرحمن الشامخ



★ من مواليد مدينة عنيزة بالقصيم ـ المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م.

★ دكتوراه في الأدب الحديث ـ جامعة لندن.

★ عمل بوزارة المعارف، ثم عمل معيداً في قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض.

★ يعمل حالياً أستاذاً للأدب الحديث في كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية.

★ صدرت له الكتب التالية :

١ ـ التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني.

٢ ـ النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية.

٣ ـ نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية.

٤ ـ كاتب الحي.

٥ ـ THE RISE OF MODERN PROS IN SAUDI ARABIA

د. عبد الله عبد العزيز العبد القادر



★ من مواليد الأحساء / المبرز ـ المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٥هـ.

★ بكالوريوس محاسبة وإدارة أعمال ـ جامعة الرياض ١٣٩١هـ.

★ ماجستير محاسبة ـ جامعة جنوب كاليفورنيا ١٣٩٤هـ.

★ دكتوراه إدارة أعمال (محاسبة) ـ جامعة فلوريدا ١٣٩٩هـ.

★ يعمل وكيلاً لكلية العلوم الإدارية (جامعة الملك سعود) بالرياض، وأستاذاً مساعداً في قسم المحاسبة ـ كلية العلوم الإدارية.

★ مستشار غير متفرغ بوزارة التجارة ـ الرياض.

★ عضو اللجنة العليا للمحاسبة القانونية بالمملكة العربية السعودية.

★ عضو الجمعية التأسيسية لجمعية المحاسبة السعودية.

★ عضو جمعية المحاسبة الأمريكية.

★ حضر عدة مؤتمرات داخل وخارج المملكة.

●● الشاعر «ليوبولد سيدار سنجور» الرئيس السابق للسنغال صاحب «إعلاء الذات الزنجية» يقول: «إن البحث عن الذات الزنجية الإفريقية يتلخص في العودة إلى الجذور، وبناء الشخصية الإفريقية الجديدة بعد الاستقلال والتحرر». طالع ص (٥١).





●● حقائق غريبة عن أسلحة الحيوانات الدفاعية والهجومية.
● تحتاج الأسلحة الهجومية إلى السرعة والقوة.
● وتحتاج الأسلحة الدفاعية إلى السرعة واليقظة في الهرب.
● من الحيوانات من يطلق روائح كريهة!
● ومنها من يقذف قنابل محرقة..! طالع ص (٩١).



●● «بوتان» مملكة مستقلة، لا يعرف سكانها النقود..!
لا يستخدمون في البناء.. حديد أو أحجار أو مسامير!
ليس فيها إذاعة.. ولا صحافة.. ولا تليفزيون! طالع ص (٤٥).

●● «الباتيك» فن الرسم والطبع على القماش.
فن يحتاج إلى صبر، ومعاناة، ومراس.
كما يحتاج إلى براعة وفكن من المادة.
ويحتاج أيضاً إلى الروح الفنية المبدعة التي بدونها لا يكون فناً!
أصل هذا الفن آسيا ومنها انتقل إلى كل بلدان العالم. طالع ص (١٠٧).





د. عون الشريف قاسم

★ من مواليد الخرطوم ـ السودان عام ١٩٣٣م.
★ دكتوراه في الآداب.
★ عمل محاضراً بجامعة الخرطوم، ثم وزيراً للشؤون الدينية والأوقاف، فرئيساً لمجلس دار الصحافة، فرئيس مجلس جامعة أم درمان الإسلامية.
★ يعمل حالياً عضواً في المكتب السياسي، ورئيساً لجامعة أم درمان الإسلامية.
★ شارك في عدد من المؤتمرات الإسلامية.
★ له ١٤ كتاباً صدرت في الدراسات الإسلامية، واللغة، والشعر، والأدب.
★ وهو أيضاً رئيس تحرير مجلة الدراسات السودانية التي تصدرها جامعة الخرطوم.

د. محمود الذوادي



★ من مواليد تونس عام ١٩٤٣م.
★ دكتوراه في علم الاجتماع التنموي.
★ عمل بالتدريس في جامعات كندية (باللغة الإنجليزية والفرنسية) لمدة خمس سنوات، ثم بجامعة قسطينة بالجزائر.
★ يعمل حالياً باحثاً اجتماعياً بوزارة الشؤون الاجتماعية بتونس.
★ يهتم في الوقت الحاضر بدراسة بعض الظواهر الاجتماعية بتونس، مثل ظاهرة التخلف الثقافي، وظاهرة الذاتية التونسية، وتأثيرات ما بعد الاستقلال.
★ اشترك في مؤتمرات علمية الاجتماع الأمريكيين والكنديين، وفي ندوة حول التعريب أقيمت بتونس عام ١٩٨١م.
★ له دراسات في قضايا التنمية الثقافية والتعريب، نشرت في مجلات عربية وكندية.



د. محمود حسن أبو ناجي

★ من مواليد ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م.
★ دكتوراه في الأدب والنقد.
★ عمل بوزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية قرابة عشرين عاماً.
★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً للأدب العربي في كلية التربية بالمدينة المنورة ـ فرع جامعة الملك عبد العزيز.
★ له ستة مؤلفات مطبوعة

عناقيد

الباحثون .. ومراكز البحوث

في هذا العدد يكشف الدكتور الصديق محمد عبد الرحمن الشامخ من خلال موضوعه «متى يكتب تاريخ التعليم في بلادنا ؟» .. عن قضية هامة هي واحدة من القضايا المتعددة لمشكلات البحوث والباحثين في المملكة العربية السعودية .

فهو يرى أن الباحث في تاريخ التعليم في المملكة يجد صعوبة قد لا يجدها غيره من الباحثين في أي بلد من البلدان .. ذلك لأن هذا الجانب لم يحظ من المؤرخين إلا بإشارات موجزة وملاحظات عابرة .

ومع أهمية قضية تسجيل تاريخ التعليم إلا أن هناك قضايا أخرى مثلها مثل التعليم لم يتمكن الباحثون بعد من تسجيلها .. وأي باحث في أية قضية تاريخية في بلادنا سوف يجد كثيراً من المشاق ، وسوف يتجشم مزيداً من التعب في طريقه لأن مسالك الطريق وعرة من ناحية ، ومجهولة من عدة نواح .

والمشكلة في رأيي ليست لشح في المراجع والمصادر والوثائق فحسب ، بل لأن الباحث في بلادنا ليس لديه الوقت الذي يمكن استغلاله في عملية البحث والتنقيب ، والاستقراء ، والاستنتاج ، والاستنباط . لأن جامعته حوّلته إلى موظف إداري يقوم بأعمال يستطيع غيره القيام بها .. كما أن التزاماته في اللجان الإدارية ، وغيرها من عشرات اللجان الموجودة في الكليات تزيد من أعبائه فتحرمه من فرصة العمل في البحث ، وتفرّغه من دوره التاريخي والعلمي .

لقد أشرنا إلى هذه الناحية من خلال إحدى الحلقات العشر التي نشرناها في هذه المجلة عن «الحركة الأدبية في المملكة» وطالبنا جامعاتنا بأن تراف بوقت أساتذتها من الباحثين لإعطائهم الوقت الكافي للبحوث والدراسات في حقول تخصصاتهم .. وها نحن الآن نعيد المطالبة من جديد أملاً في الاستجابة .

وهذه القضية تجعلنا أيضاً أمام قضية أخرى هي في أهميتها وضرورتها لا تقل عن غيرها ، وهي قضية «مراكز البحوث» في بلادنا .

نعترف حقيقة بعدم توافر أية معلومات لدينا عن مراكز البحوث في المملكة .. ومدى فعالية هذه المراكز في تقديم الخدمات المطلوبة للباحثين والدارسين .. وهي بلا شك جزء من المشكلة «الأم» التي أشار إليها صديقنا الدكتور الشامخ في موضوعه الذي حصره بالتعليم .

فإذا كانت شكوى المستشرق الهولندي «سنوك» لها ما يبررها في وقته .. فأي تبرير لشكوى الباحث المعاصر الذي يعيش مرحلة أطلق عليها مرحلة «انفجار المعلومات» لتوافر وسائل حديثة من أجل تسهيل البحث أمام كل باحث ودارس ؟

لا ندري إلى متى ستظل تعلق بعض قضايانا على «مشجب» السؤال ؟

الزيدان

محمد حسين زيدان .. واحد من أعلام المملكة .. عاصر كثيراً من الأحداث التاريخية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والصحافية في بلادنا .. كما عايش بإدمانه على القراءة مسيرة أجيال ، وحقب من تاريخ العرب والمسلمين ، والعالم .. وعاشر الأعلام والرجال والقادة والفاتحين لافتتانه بالسير .. وهو إلى جانب ذلك فنان مبدع يتلمظ اللفظة الأنيقة كما يتلمظ نوى تمر هجر ، والمدينة ، والقصيم ، وتربة ، وبيشة .. ويصاب بالرعشة أمام الكلام المهنج ، ويفرح كالطفل أمام العبارة المونقة الموزقة . فهو باختصار عبارة عن موسوعة متنقلة إن صح هذا التعبير في مختلف المعارف الإنسانية . لأن الله وهبه ذاكرة أمينة لا يضيع منها شيء ، وعقلاً إيجابياً يتفاعل مع الذاكرة .. ومن هذا المزيج يأتي الزيدان إلى قراء مجلة «الفيصل» من خلال زاويته «بين السطور» .

رئيس التحرير



** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لفعاليات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا . والله الموفق **

في الوطن العربي

- منع استخدام العامية في المدارس العامة بالمملكة العربية السعودية .
- معرض عن صور القرآن الكريم ومخطوطاته يقام في الظهران .
- كشف أثري في منطقة الدوادمي بالمملكة العربية السعودية .
- الاحتفال بعلماء الفكر الإسلامي بجامعة أسيوط في مصر .
- دمشق ـ تاريخ وحضارة .. موضوع ندوة أقيمت بسورية .
- إقامة عدة ندوات علمية وأدبية ومعارض ومهرجانات في مختلف أرجاء الوطن العربي .

في العالم

- ترجمة القرآن الكريم إلى اليابانية .
- اللغة العربية لغة عالمية .
- كاتب هندي يفوز بأكبر جائزة أدبية في بريطانيا .
- ترجمة كتب الفيلسوف « ابن رشد » إلى الإسبانية .
- هدية من ألمانيا « لكلية اللغات والترجمة » بجامعة الأزهر المصرية .

أسبوع ثقافي يمني

اقيم في (جدة) أسبوع ثقافي يمني شارك فيه عدد من الأدباء والفنانين اليمنيين، تخلل الأسبوع إقامة عدة ندوات إضافة إلى معرض للكتاب اليمني واخر للفنون التشكيلية ومعرض لمطبوعات البريدية.. ويعتبر أول أسبوع يمني سعودي حيث دعي عدد من الأدباء السعوديين.. وقد رعت الحفل **وزارة الإعلام السعودية** بالتعاون مع وزارة الإعلام في اليمن الشمالي الشقيق.

القرآن الكريم وخطوطاته

أقامت «جامعة البترول والمعادن» بالظهران معرضاً خاصاً عن **«صور وخطوطات القرآن الكريم»** وذلك تحت إشراف وتنظيم عيادة شؤون المكتبات بالجامعة، استمر المعرض أسبوعاً، عرضت فيه نماذج لصور مختلفة لخطوطات القرآن الكريم التي توجد أصولها «بمكتبة شيستربتي» بلندن، وتنتمي تلك الخطوطات إلى الفترة الواقعة بين القرن الثامن والقرن الرابع عشر الميلاديين، وقد عكس هذا المعرض تطور الخط العربي وفن الزخرفة في النقوش على أغلفة المصاحف الكريمة خلال هذه الفترة.

منع استخدام العامية

حفاظاً على لغة القرآن الكريم ـ اللغة العربية ـ ومستقبلها فقد **سمحت وزارة المعارف بالتأكيد على المدرسين** في مختلف المستويات الدراسية **باستعمال اللغة العربية الفصحى كوسيلة للتعليم والتعلم والكتابة بها داخل الفصل وخارجه** وذلك لكي تبقى اللغة العربية مركزاً وثروة يعتز بها. هذا وقد جاء هذا التوكيد نظراً لما لوحظ في أثناء الزيارات المفاجئة للمدارس في مختلف المراحل بأن (العامية) أصبحت لغة التعلم في كثير من الفصول، ونظراً لما لذلك من آثار سلبية على مستوى الطلاب وعلى مستقبل اللغة في بلادنا. فقد منعت الوزارة هذا التعدي على لغة الضاد.

معرض عن الفنون العربية الهندية

أقيم في جامعة الملك سعود بالرياض، بالتعاون مع **السفارة الهندية، معرض خاص عن الفنون العربية ـ الهندية** القديمة والنادرة كالمخطوطات العربية والعملات الإسلامية والأسلحة وأدوات الديكور، كما ضم المعرض بعض أندر النسخ للقرآن الكريم ومخطوطات الحديث والفقه.

كلمة

الثقافة والكتاب

في صاحب لا يحلا تراه إلا وهو مستغل بالقراءة ومنهمك بالدرس، ولا تراه إلا وبين أحضانه كتاب، حتى عندما يخرج من بيته يصطحب معه هذا الصديق الصامت الذي قال عنه **الجاحظ** إنه نزهة الجليس، والعمدة عن الضيق، والظرف الذي استلا أدباً وعلماً وظرفاً، والذي قال عنه **المتنبي**:

أعز مكان في الدنيا سرج سابح
وخير جليس في الزمان كتاب

هذا الذي تشبه به **الوزير الفتح بن خاقان** الذي يقال عنه إنه كان لا يفارق الكتاب، وإذا كان في مجلس الخليفة أخفاه في كمه وإذا خرج لقضاء حاجة أو أمر من أمور الدولة أخرجه من كمه وأقبل على القراءة، ولكن السؤال الذي يطفو على السطح هو ماذا جنى الفتح بن خاقان وغيره من رجالات الكتب وكهنة الألفاظ؟ في وسعنا أن نقول: لا شيء! كل ما جنوه من الكتاب لا يعدو أن يكون رموزاً نظرية ومفاهيم غير متبلورة، والدليل على ذلك أن الفتح بن خاقان لم يترك لنا أثراً فنياً في أي مجال من مجالات الفكر

المعروف أن كل هذه المعروضات **تابعة للمتحف الهندي الوطني**.



★ د. حسن ظاظا ★

مسؤولية أجهزة الإعلام

ألقى الأستاذ الدكتور حسن ظاظا أستاذ العلوم اللغوية **بكلية الآداب ـ جامعة الملك سعود** ـ محاضرة تحت عنوان **«مسؤولية أجهزة الإعلام اللغوية في العالم العربي»** بقاعة مبنى شركة الاسمنت وذلك تحت إشراف وتنظيم **المكتب الرئيسي لرعاية الشباب بالمنطقة الوسطى**. حضر المحاضرة عدد من الإعلاميين والمهتمين.

مكتبة عامة للمرأة

افتتحت (بالأحساء) في المنطقة الشرقية أول مكتبة عامة لخدمة سيدات المجتمع في منطقة الأحساء بصورة عامة وذلك بهدف تعريف المرأة بشكل أوسع على أنواع المعرفة والكتب الدينية والعلمية والأدبية والتاريخية والثقافية والاجتماعية وغيرها من أنواع الكتب الأخرى، كما كان الهدف من إنشاء هذه المكتبة أيضاً تنمية شخصية المرأة القارئة من خلال الاطلاع الواسع والزيارات التثقيفية لهذه المكتبة. هذا وقد تم تزويد المكتبة بالكتب المطلوبة من قبل الهيئات والإدارات ذات العلاقة ودور النشر.

حوار حول الأدب الإسلامي

نظمت في كلية اللغة

يدل على انتفاعه بالقراءة على الوجه الأصلح ، لم يترك أثراً يدل على اتساع لثقافته أو دقة منطقه كما فعل الجاحظ ، أما الجاحظ فهو يعتبر من الفلائل ذوي الثقافة الواسعة التي تستمد أصولها وعمقها من الكتاب ، وتتوخى أصالتها من التجربة والغرس العملي والتطبيق المتكرر . هذه الأصالة والابتكار والشمول تشيع جميعها في كل ما كتبه الجاحظ وخاصة في كتابه « **الحيوان** » الذي تتضايف فيه النظرة الموضوعية والدقة المنطقية إلى جوار الشمول والوضوح في الشرح وإيراد الأمثلة في كل مجال من مجالات المعرفة .

جميل جداً أن يقرأ الإنسان لكي يوسع من دائرة نظره لتشمل أبعد الآفاق . ولقد كانت قراءة الجاحظ للاستزادة من الحياة وتعميق الأبعاد الإنسانية التي يرتو إليها المرء والتي تضيف إلى حياته حيوات جديدة وتمده بطاقات متجددة لتذوق الحياة بكل ألوانها والإحساس بكل ما فيها من جمال وروعة . والواقع أن نظرة المثقف تتباين شكلاً وموضوعاً عن نظرة الشخص العادي الذي يهتم من القراءة بالصحف لأنها أخبار ، بينما نرى أن المثقف الكامل الثقافة هو الذي يجتزئ بما يقرأ فيمحصه وينقده إن كان النقد لازماً لتوفر الأسباب ، وهو الذي ينظر إلى الدنيا نظرة واسعة مستوعبة ، فيتذوق الحياة على مختلف أنماطها ، ويرى المتعة الذهنية كالبلّور الذي يتألق في الشمس الضحياة لتتشقق عنه الأضواء والألوان مختلفات متباينات . أما المثقف الذي يقنع فقط بالكلام المحفوظ والعبارات المتكررة فهو لعمري مثقف ناقص التكوين لا يتفاعل مع الحياة . إن الثقافة الكاملة هي الثقافة الفعالة الإيجابية التي تنبثق روافدها من الكتاب ، من المجتمع ، من الحياة ، من كل شيء في هذا الكون ، وهي عادة تنبع من أعماق القلب والفكر والوجدان لتضيف الجديد النافع للمجتمع الإنساني كله . وهي بعد ذلك وفوق ذلك تصقل معنى الحياة في نفس صاحبها وتملأ نفسه تفاعلاً وإيثاراً وتدعمه بالقوة والحماس لعلاج ما يستطيع علاجه من أدواء مجتمعه في سائر المجالات .

د . أحمد عبد القادر المهندس

العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ندوة حول « **الأدب الإسلامي ومناهجه ودراساته** » شارك فيها العديد من الأساتذة والمختصين من مختلف جامعات المملكة وعدد من رواد الأدب الإسلامي من داخل وخارج المملكة .

كشف أثري

أثبتت الحفريات التي يقوم بها **قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب** التابع لجامعة الملك [illegible] الأثار **بوزارة المعارف في منطقة الدهادمي** باكتشاف الكثير من القطع الأثرية التي تعود إلى **العصر الأشولي الوسيط** والتي يعود تاريخها إلى (٣٠٠) ألف سنة قبل الميلاد .

عرض للفن الفرنسي المعاصر

بهدف التعريف بالفن الفرنسي المعاصر أقيم بصالة العرض العالمية للفنون التشكيلية بالرياض أول عرض للفن الفرنسي المعاصر في العالم العربي استمر خمسة أيام ، وشاهده عدد من المهتمين .

استخدام التكنولوجيا في المكتبات

نظمت « جامعة البترول والمعادن » بالظهران ندوة حول « استخدام التكنولوجيا [illegible] « المكتبات » شارك فيها عدداء وأمناء ومسؤولو المكتبات في المملكة ودول الخليج العربي ، استمرت ثلاثة أيام ، نوقش خلالها عدة موضوعات مرتبطة بالمكتبات بصفة عامة في المملكة ودول الخليج ، وكذلك عدد من الأبحاث والدراسات المتعلقة بالإدارة والإشراف على التكنولوجيا الحديثة وكيفية استخدامها في المكتبات والمواصفات والتعاون والضبط الببليوغرافي ، واستخدام الحاسب الآلي في أعمال المكتبات ، ومتاكل الضبط والمواصفات ، والسبل الكفيلة بزيادة التعاون بين المكتبات في المملكة ودول الخليج العربي .

معرض لمطبوعات الرئاسة

افتتح في الرياض أول معرض لمطبوعات الرئاسة العامة لرعاية الشباب حيث أقيم بقاعة العارض بمبنى الرئاسة وضم جميع المطبوعات التي أصدرتها رئاسة رعاية الشباب ومختلف إداراتها ومكاتبها ، وكذلك الأندية والاتحادات الرياضية وجمعية الثقافة والفنون والأندية الأدبية وجمعية هواة الطوابع .

● كتب جديدة ●

● « **تزيف العقول البشرية** » ، تأليف **الدكتور محمد عبد العليم مرسي** ، صدر عن **دار عالم الكتب للنشر والتوزيع بالرياض** .

● **صدرت الكتيبات**

*** رسائل جامعية ***

●● « **الاحتساب على مرتكبي الرشوة** » موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية** التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها السيد **أحمد أحمد عبد الله** .

●● « **دور المدرسة الابتدائية في إعداد الداعية** » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض** ، تقدم بها السيد **يوسف عزت مرسي الصباغ** .

التالية عن «دلة القهوة» ضمن سلسلة «نحو مجتمع أفضل»: «حلم أم علم»، «أنا والتلفاز»، «بيدي لا بيد عمرو»، «حدث في المطار»، «المباراة الكبرى». والمجموعة من إعداد يعقوب إسحاق.

● «تذكرة عبور»، مجموعة قصصية تأليف عبد الله سعيد جمعان، صدرت عن نادي الطائف الأدبي.

● «متابعات أدبية»، تأليف محمد صالح الشنطي، صدر عن القسم الثقافي بفرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.



★ د. بدوي طبانة ★

● «نظرات في أصول الأدب والنقد»، تأليف الدكتور بدوي طبانة، صدر عن دار عكاظ للنشر والتوزيع.

● «شعر العقاد»، تأليف زينب عبد العزيز العمري، صدر عن دار العلوم بالرياض.

*** أخبار الغد ***

السعودية :

موسوعة عن الخليج العربي والجزيرة

●● **يتم الإعداد من قبل دارة الملك عبد العزيز بالرياض ومركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة لإخراج موسوعة عن الخليج العربي والجزيرة العربية**، وإذا ما ظهرت إلى حيز الوجود فإنها ستكون أول مرجع عربي شامل ومتكامل يغطي كافة جوانب المعرفة الخليجية بمختلف نواحيها من تاريخ، وجغرافيا، واقتصاد، وتعليم، وصحة، وثقافة، وسياسة، وأنظمة، وغير ذلك من علوم ومعارف عامة تتعلق بدول الخليج والجزيرة العربية. ومن قبيل الاهتمام بإخراج هذه الموسوعة فقد تم تشكيل لجنة من أساتذة جامعة البصرة ولجنة أخرى بدارة الملك عبد العزيز وذلك بهدف الإعداد للمادة العلمية المطلوبة ووضعها في صورتها الصالحة لنشرها في الموسوعة. هذا وسيتم عرض المادة قبل طباعتها على المراكز والهيئات لأخذ الموافقة النهائية قبل البدء في الطباعة.

* كتب جديدة *

● «**الأقوال المأثورة في الإدارة**»، تأليف **الدكتور إبراهيم المنيف**، سيصدر عن **دار العلوم بالرياض**.

● «**الطيبون والقاع**»، **رواية** تحت الطبع تأليف **علي حسون**.

الزاوية الطبية

استئصال اللوزات..... هل هي عملية ضرورية؟



التهاب اللوزات وضخامتها، مرض شائع جداً عند الأطفال، قل أن ينجو منه طفل. وهو قد يكون حاداً أو مزمناً أو مترددا، وله علاج طبي وعلاج جراحي.

ولقد جاءت فترة من الزمن كانت عمليات استئصال اللوزات فيها أكثر العمليات شيوعاً على الإطلاق، غير أن تغير المفاهيم الطبية، وتقدم البحث العلمي قلل كثيراً الحالات التي ينصح فيها باستئصال اللوزات.

وقد شاعت في زمن ما **نظرية «البؤرة الإنتانية»** التي تعزو معظم الأعراض الغامضة في الجسم إلى وجود بؤرة التهاب خفي في مكان ما فيه، وكان على رأس الأماكن المتهمة **اللوزات والزائدة الدودية والأسنان**. ومن هنا كانت تجرى عمليات استئصالها بسبب وبدون سبب.

أما الآن فقد أخذ الاهتمام باللوزات عند الأطفال يتزايد بعد ما كشف الطب عن دورها الهام في تشكيل الجهاز المناعي، الأمر الذي يجعلنا نفكر مرات ومرات قبل نصح الأهل باستئصال اللوزات.

فالأهل عادة يعزون إلى التهاب اللوزات أموراً كثيرة، منها تكرر الالتهابات التنفسية، كذلك القصبات وذات الرئة، والتهابات الأذن الوسطى، وحتى نقص الشهية وعدم ازدياد الوزن. رغم عدم وجود دليل على أن استئصال اللوزات يقلل من هذه الأمور.

كما أن بعض الأهل يظنون خطأ أن لوزات أطفالهم كبيرة، وسبب ذلك هو أن حجم اللوزات يكون بصورة طبيعية أكبر عند الأطفال منه عند

● «حوار تحت المطر»، مجموعة قصصية تحت الطبع تأليف علي حسون.

● «وعد القمر»، مجموعة قصائد نبطية للشاعرة ريم الصحراء سوف تصدر قريباً.

● «انتحار الألحان»، ديوان شعر سوف يصدر للشاعر الأديب عبد الله الغاطي.

● «مذكرات متقاعد»، تأليف عبد الله الغاطي.

أخبار تربوية:

إقامة الجامعة الإسلامية الدولية

●● تقرر إقامة «الجامعة الإسلامية الدولية» في متنجع فريرزهيل الذي يقع على بعد (٤٠) كيلومتراً شمال العاصمة «كوالالمبور». هذه الجامعة سوف تفتح أبوابها للدراسة في العام القادم، حيث سيجري استخدام اللغتين (العربية والإنجليزية) لتدريس العلوم الإسلامية فيها. ومما يذكر أن هناك العديد من الدول الإسلامية التي ساهمت في إقامة هذه الجامعة بتقديم الدعم المادي وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية.

حصاد:

مهرجان عن شوقي وحافظ

●● بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاة أمير الشعراء «أحمد شوقي»، وشاعر النيل «حافظ إبراهيم» يعتزم المجلس الأعلى المصري للثقافة إقامة مهرجان أدبي كبير وذلك خلال الفترة من ١٤ ــ ١٨ من شهر ذي الحجة عام ١٤٠٢ هـ، ويهدف المناسبة فقد دعي العديد من الأدباء والشعراء والباحثين المشتغلين بتراث الشاعرين الكبيرين بخاصة في مختلف البلدان العربية والإسلامية والصديقة. هذا وسيقام هذا المهرجان في القاهرة وبالذات داخل «كرمة ابن هانئ» بيت أمير الشعراء المطل على نيل الجيزة. ومما يذكر أن المجلس قد دعا الذين سيشاركون في المهرجان بالإسهام في إعداد دراسات وبحوث عن الشاعرين، وأعمالهما الشعرية، وأثرهما في الشعراء الشباب بمصر والبلاد العربية، ودورهما في النهضة الفكرية والاجتماعية والعلمية الحديثة.

الأرشيف:

مؤتمر علمي لوقاية النبات

●● ستنظم «الجمعية العربية لوقاية النبات» بالجامعة الأردنية خلال الفترة من ٢٢ ــ ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٢م، مؤتمرها العلمي العربي الأول لوقاية النبات، وذلك بهدف دراسة عدة قضايا تتعلق بالنبات ووقايته. من تلك القضايا مناقشة «مشروع معجم المصطلحات الحشرية» الذي أعده الدكتور غازي الحريري الأستاذ بجامعة حلب السورية وذلك بترشيد مكتب تنسيق التعريب بالرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

الكهول. كما أن اللوزات تقترب من بعضها أثناء الفحص فتبدو أكبر حجماً. **وحتى يأتي اليوم الذي نستطيع فيه أن نميز جيداً من هم الأطفال الذين يمكن أن يستفيدوا حقاً من هذه العملية يستحسن تجنب استئصال اللوزات ما أمكن.**

وفي الولايات المتحدة تلجأ بعض المستشفيات إلى مراجعة إضبارات المرضى من قبل مجلس أطباء لتقييم ما يذكره الأطباء المعالجون كسبب لإجراء عملية استئصال اللوزات. وقد أدى هذا إلى نقص كبير في نسبة إجراء هذه العمليات نظراً لاقتصار الأطباء نتيجة ذلك على الحالات الضرورية فقط.

إن قرار استئصال اللوزات يجب أن يعتمد على وجود أعراض وعلامات ترتبط مباشرة باللوزات، كالالتهابات المزمنة المترافقة مع ضخامة أدت إلى ظهور أعراض السداد، أو الالتهابات المتكررة ذات الأعراض الشديدة، عندما يتكرر الالتهاب أكثر من أربع مرات في السنة الواحدة ويكون ناجماً عن جراثيم «المكورات العقدية» المثبتة ــ كل مرة ــ بمزرع مفرزات البلعوم. ويستحسن عدم إجراء هذه العملية قبل السنتين من العمر إلا عند الضرورة القصوى.

وإن استئصال اللوزات لن يقلل من حدوث التهابات البلعوم، كذلك لم تثبت فائدة استئصال اللوزات كوقاية من الحمى الرثوية (الروماتزم) أو التهابات الكلية، وبالتالي لا يستحب استئصال اللوزات بسبب هذه الحالات، وكذلك عندما تكون اللوزات ضخمة دون أعراض التهاب أو تقيح.

وناتي إلى السؤال التالي وهو: **كيف نعالج التهابات اللوزات؟..**

بعض الأهل يعالجون الالتهاب بمسح اللوزات بالتيركوروكروم. وآخرون يعطون الطفل تحاميل تحوي البزموث. وكلا الأمرين خطأ وغير مقبول. فالتهاب اللوزات البكتيري الذي تبلغ ٢٠٪ يكون ناجماً عن المكورات العقدية المسؤولة عن إحداث الحمى الرثوية (الروماتزم)، هذا المرض الذي «يلحس القاصل ويمضي القلب»، لذلك ينبغي أن تكون غاية العلاج شفاء الالتهاب من جهة، ووقاية الطفل من الحمى الرثوية من جهة أخرى، ويستحسن دائماً البدء بإعطاء مضادات الحيوية المناسبة ــ بإشراف الطبيب طبعاً ــ بعد زرع مفرزات البلعوم. فإذا أظهر الزرع بعد أيام وجود مكورات عقدية استمر العلاج عشرة أيام كاملة وإلا أوقف العلاج.

غير أن معظم الأطباء يلجأون مباشرة إلى إعطاء العلاج لمدة عشرة أيام دون إجراء الزرع مما يوفر على المريض صعوبة الزرع وكلفته.

وأختم الموضوع بالكلام على تجربة جُلّت إليها أكبر شركات التأمين الصحي في الولايات المتحدة وهي شركة الصليب الأزرق والدرع الأزرق، إذ نصحت المرضى بمراجعة طبيبين أو أكثر كل مرة ينصحون فيها بإجراء عملية جراحية. فكان أن خفت نسبة إجراء العمليات بصورة ملحوظة. **ومن شاور الأطباء شاركهم في عقولهم وفي طبهم... وأحياناً في أخطائهم!!.**

د. غسان حتاحت

دمشق

نافذة

القراءة متعة ولكن!!

لماذا يقرأ الإنسان؟ ولماذا يطلب الكلمة المقروءة؟ ولماذا عرف الكتب أصلاً؟ وماذا يريد منها؟

أسئلة كثيرة تدور في عقل كل إنسان سواء أكانت في سطح الشعور أم كانت في اللاشعور، والقراءة في الأصل والأساس هي المفتاح الحقيقي للمعرفة وتوسيع الآفاق الفكرية لدى الإنسان، بل وهي الباب الأصلي لها، فمن دخل بصدق وأمانة ورغبة حصل منه على ما يريد، وعلى هذا نجد أن ما يسترشده الإنسان من القراءة يتفاوت بحسب المستويات الفكرية التي وصل إليها مستواه العقلي.

والقراءة في بادئ الأمر هي المتعة الحقيقية والسعادة الداخلية للنفس البشرية التي تتوق للمعرفة. وهي الوسيلة الطبيعية التي وجدت في الإنسان لإشباع غريزة أصلية خلقت فيه هي «حب الاستطلاع» ـ ليس في الشؤون الصغيرة ـ ولكن لمعرفة كيف يسير الكون، وما نظامه وقوانينه؟ ولهذا كانت القراءة باب الانطلاق لتطور العلوم أياً كانت، إضافة لما تحتويه من متعة وسعادة يحققها الإنسان عندما يتضح له التفسير المقنع لأي نظام أو قانون يحكم أحواله أو كونه.

والقراءة قد تكون متعة مجردة لإشباع رغبة داخلية في النفس الإنسانية لا يبتغي منها الإنسان سوى تحقيق مجرد المتعة، كما هو متحقق ذلك في القراءات السطحية، مثل بعض الفكاهات والنوادر العادية.

وقد تكون القراءة لتحقيق هدف محدد كالوصول إلى تحقيق حادثة معينة أو



★ أبو عبد الرحمن ابن عقيل ★

● «الشعر العامي بنهجة أهل نجد»، تأليف **أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري**، صدر عن **دار العلوم بالرياض**.

الكويت

أسبوع ثقافي مغربي

أقيم في الكويت أسبوع ثقافي مغربي حيث أقيم معرض للفنون التشكيلية بالمغرب وأخر للصور الأثرية والفولكلور الشعبي، وقد احتوى معرض الفنون التشكيلية على مجموعة مختارة من الأعمال التشكيلية لفنانين مغاربة منهم «فريد بلكاهية»، و«المكي مغارة»، و«عبد الله الحريري» وغيرهم، كما احتوى معرض الفولكلور الشعبي على نماذج من صور الفسطوطات والمعالم التاريخية في المغرب وبعض نماذج من صور الخشوفات المغربية، إضافة إلى صور فوتوغرافية للمخطوطات، كما أقيمت في أثناء هذا الأسبوع أمسيات شعرية أحياها الشاعر علي الصقلي وغيره وبعض السهرات الفنية الممثلة للبيئة المحلية في المغرب.

كتب جديدة

● «ذكريات الأمس»، **مجموعة شعر شعبي** للشاعر **مسلم البحيري**، صدرت في **الكويت**.

الكويت

معرض للكتاب الخليجي

بمناسبة انعقاد اجتماعات الدورة السادسة للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية بالدوحة **أقيم معرض للكتاب الخليجي** عرض فيه أكثر من (١٢٠٠٠) كتاب في مختلف التخصصات تتعلق بمنطقة الخليج، وتعكس واقع حركة الإنتاج الفكري الخليجي.

معرض للجيولوجيا والأحجار الكريمة والمفرقعات

أقيم بقاعة المعارض بمتحف قطر الوطني اول معرض من نوعه في الوطن العربي «للجيولوجيا والأحجار الكريمة والمفرقعات المستحجرة»، وذلك تحت إشراف وتنظيم وزارة الإعلام والمتحف الوطني القطري، ضم المعرض (١٥٠٠) قطعة نادرة من [illegible] عاشت في البحار منذ ملايين السنين واستحجرت خلال الأحقاب الجيولوجية المتعاقبة. **المعروف أن هذا المعرض قد أقيم** [illegible] المعادن والأحجار الكريمة المقيم بألمانيا الغربية.

الجائزة الأولى في معرض المفكرات

حصلت المفكرة السنوية التي أصدرتها **وزارة الإعلام** القطرية على (الجائزة الأولى) للمعرض الدولي الثالث للمفكرات لعام ١٩٨٢م، الذي أقامه «المجلس الوطني للثقافة والفنون في باكستان». ومما يذكر أن المفكرة القطرية قد تفوقت على مفكرات ثلاث عشرة دولة أخرى اشتركت في المعرض هي: أندونيسيا، والعراق، والهند، واليابان، ومصر، وتركيا، وليبيا، وكوريا الشمالية، وكوريا الجنوبية، والصين، وألمانيا، وإسبانيا، وباكستان.

البحرين

الصحافة ودورها محلياً وخليجياً

أقامت «جمعية الاجتماعيين البحرينية» ندوة

فكرة مشكوك فيها ، أو التحقق من استنتاج توصل إليه الإنسان لأمر من الأمور . ومثل هذه القراءة تتحقق في البحوث أياً كانت نوعيتها . وهذه النوعية من القراءة لا تفيد القارئ فحسب بل وتفيد المجتمع ككل . لأن نتائجها في الغالب ستنشر على أوسع نطاق عن طريق القراء فيستفيد المجتمع منها كامل الاستفادة ، وتعطي لمثتبعها خبرات ومعلومات جديدة كل الجدة ، بل وقد تغير أحد أوجه الحياة السائدة أو تعكس وضعاً من الأوضاع المسلم بها كما هو الحال في تغيير الظواهر الاجتماعية بجميع أنواعها بل وتغيير بعض السلوكيات السائدة .

والقراءة إذا كانت لها كل هذه القدرات في اقناع النفس البشرية ، وصقل تجاربها ، وتزويدها بخبرات ، ومواجهات لأوضاع قد تعترض الفرد والمجتمع ، فإنها في نفس الوقت وسيلة من وسائل التدمير والتخريب الفكري ، وقلب الموازين التي تعترض توازنها في الفكر الإنساني .

كما أن القراءة إحدى الوسائل المبتكرة في التاريخ الإنساني لخلق التناقضات والزعزعة للمعتقدات الاجتماعية في الفكر الإنساني بطريق الاقناع المنطقي المتغير ، والذي يؤدي بصورة عادية وميسورة لخلق الفراغ الفكري لإثبات أشياء أخرى فيه . ومن هنا فإن القراءة على هذا الأساس تعتبر وسيلة من الوسائل الشديدة التأثير لقلب الأوضاع رأساً على عقب ، نظراً لأن التفكير البشري يستطيع بمدخل منطقي خاطئ غير ظاهر أن ينطلق إلى منطلقات تؤدي إلى هدا الرفيع ، الامثلة على ذلك لدينا حول التناقضات المنطقية لترميم هذا الفكر للدخول منه إلى ما يراد الوصول إليه .

لذلك نجد أن القراءة إذا كانت لها مميزات كثيرة فإن لها مساوئ خطيرة حيث تنساب بين السطور أفكار سامة ، وتتغلغل في عقل القارئ دون شعور منه إن لم يكن قد احتاط لنفسه باختيار نوعية القراءة والحذر فيما يقرأ .

فالعملة التي يتداولها الناس حقيقة واحدة ــ في كل زمان ومكان ــ ولكن ليس لها وجهان مختلفان ومتباينان ؟ فكذلك القراءة ــ رغم أنها في الأساس أهم وأكبر أبواب العلم ــ إلا أنه يشوب هذا المدخل ــ عند اجتيازه ــ مزالق ومهاوي خطيرة تلزم الإنسان بالحذر الشديد لتوقي الوقوع في الغاوية التي يصعب ــ في الغالب ــ الخروج منها بغير آثار سترتيب في عقلية القارئ وإنتاجه بالمعنى العام ، سواء بالكتابة أو المشافهة .

فليست القراءة « غذاءً للعقل » بل ويختلط فيها سم زعاف يسري في مسالك الفكر ليقضي عليه في النهاية .

وليست القراءة « متعة » مجردة ، بل فيها شقاء أبدي للعقل إن تشتت ووقع في مهاوي الإفراغ والتفريغ للمضامين والقيم الاجتماعية .

وليست القراءة « مشورة المجربين » لأن في بعض التجارب ضحالة أو تفاهة بل وتخريب للسلوك الإنساني بمجموعه .

وليست القراءة « فكر المثقفين » لأن فيهم من يدعي الثقافة ، وينتسب لها بمجرد كلمات قرأها في أي كتاب ؟!

وأخيراً ليست القراءة « نصح الناصحين » لأن بعض الناصحين يوجهون إلى مهاوٍ لا قرار لها .

فهل نستطيع أن نستبين الغث من السمين فنأخذ ونطرح ؟ هذا هو المنطلق الذي يجب أن نبحث عنه من خلال السطور !!.

عبد الله عبد الكريم المشاري ــ الرياض

عامة حول « الصحافة ودورها محلياً وخليجياً » شارك فيها عدد من رؤساء تحرير الصحف البحرينية بحضور مندوبي الصحف الخليجية في البحرين وعدد من المهتمين ، وقد دار محور الندوة حول دور الصحافة في البحرين ومدى نجاحها في معالجة القضايا اليومية إلى جانب دور الصحافة الخليجية في معالجة مشكلات المنطقة مثل الحرب العراقية الإيرانية وغيرها .

معرض مشترك

أقيم في (المنامة) المعرض المشترك الثالث للفنانين البحرينيين اشتمل على (٣٥) لوحة مثلت البيئة المحلية البحرينية استخدمت فيها أساليب فنية حديثة وذلك محاولة من الفنانين للتجديد في أعمالهم . هذا وقد شارك في المعرض أحد عشر فناناً منهم « أسامة الصالح » ، و « عبد اللطيف مفيز » .

سيطرة جديدة للكتب سيد قطب

اهتماماً بأعمال العلامة المرحوم سيد قطب ونظراً لنفادها فقد **صدرت طبعات جديدة للكتب التالية** عن



★ سيد قطب ★

دار الشروق ببيروت :

★ « **نحو مجتمع إسلامي** » ، صدر في طبعته الخامسة .

★ « **السلام العالمي والإسلام** » ، صدر في طبعته السادسة .

★ « **الإسلام ومشكلات الحضارة** » ، صدر في طبعته السابعة .

★ « **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته** » ، صدر في طبعته السابعة .

★ كتب جديدة ★

● « **الصبي الخادم** » ، رواية تأليف **فردينانند أيونو** ، صدرت عن **مؤسسة الأبحاث العربية ببيروت** ضمن سلسلة « **ذاكرة الشعوب** » .

● « **التقمص وأسرار الحياة والموت** ــ في ضوء النص والعلم والاختبار » ، تأليف **محمد خليل الباشا** ، صدر عن **دار النهار للنشر** .

الأردن

معرض للفن الإسباني

يهدف التعريف بحركة الفنون التشكيلية في إسبانيا واتجاهاتها ومدارسها المختلفة والمرتبة العالية التي وصلت إليها أقيم في عمان بقاعة المتحف الوطني للفنون الجميلة معرض للفن الإسباني المعاصر وذلك تحت إشراف وتنظم السفارة الإسبانية بعمان بالتعاون مع المتحف الوطني الأردني، وقد عرضت (٣٨) لوحة منتقاة من إنتاج أشهر الفنانين الإسبان المعاصرين الذين هم شهرة عالمية، وقد استمر المعرض أسبوعاً.

* كتب جديدة *

● «أصوات من النافذة الغربية»، ديوان شعر [illegible] عن وزارة الثقافة والشباب.

● «ذلك المجهول»، مجموعة قصصية للقاص سليمان موسى، صدرت عن رابطة الكتّاب الأردنيين.

● «من بصمات الأيام»، ديوان للشاعر راضي عبد الهادي، صدر الجزء الأول بعمان.

● «شاعر لم ينصفه عصره ـ محمد حسن علاء الدين»، تأليف محمد أبو صوفة، صدر في عمان.

● «مذكرات طالب جامعي»، مجموعة قصصية للقاص نبيل أبو السباع، صدرت عن أسرة القلم.

الجزائر

مهرجان شعري



★ عبد الحميد بن هدوقة ★

عقد في مدينة «بسكرة» في الجنوب الجزائري مهرجان شعري باسم «المهرجان الشعري محمد العيد آل خليفة»، وهو شاعر يحظى بمكانة خاصة في وجدان الشعب الجزائري حيث يعتبره بعض الباحثين ممثلاً لهذا الوجدان طوال نصف قرن من الزمان (١٩٢٩ ـ ١٩٧٥م)، وذلك بتجسيده روح سلطب بالمكافحة-سلمز بالسبيل الحرية والعدالة، ومواكبته الشعرية لمسيرة جمعية العلماء الجزائريين المسلمين في الإصلاح الديني والنهضة الوطنية، وبعد هذا الشاعر فإن الشعب هناك يطلقون عليه أمير الشعراء، ولا زالت ذكراه وذكرى شعره تتأجج في صدورهم الأمر الذي دفع الاتحاد العام للكتّاب الجزائريين لعقد مهرجان شعري باسمه ولي مسقط رأسه «بسكرة» استمر عدة أيام وذلك خلال شهر مارس (آذار) وأوائل أبريل (نيسان) لعام ١٩٨٢م. هذا وقد شارك في هذا المهرجان العديد من الأدباء الجزائريين منهم الدكتور العربي الزبيري الأمين العام لاتحاد الكتّاب الجزائريين والدكتور أبو القاسم سعد الله، وغيرهما من ذوي العلاقة.

سورية

ندوة عن دمشق

أقيمت في العاصمة السورية ندوة تحت شعار «دمشق تاريخ وحضارة شعب»، حضر الندوة ممثلون عن منظمة اليونسكو، وعن منظمة المدن العربية، واتحاد المهندسين العرب، ومؤسسة الترميم والحفاظ على الآثار في بولندا، وقد رافق الندوة معرض للصور الفوتوغرافية عن دمشق القديمة، وفي هذه الندوة اتخذ عدد من التوصيات والمقترحات العلمية الجادة التي تهدف إلى إبراز الطابع الحضاري والمعماري للمدينة، والحفاظ على أصالتها وصيانة آثارها التاريخية الهامة.

* كتب جديدة *

● «فرحة الأديب في الرد على ابن السيراني في شرح أبيات سيبويه»، تأليف أبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني، تحقيق وإخراج الدكتور محمد علي سلطاني، صدر عن دار قتيبة بدمشق.

معرض للكتاب الدولي

أقيم في (الجزائر) العاصمة أكبر معرض دولي للكتاب يقام في إفريقيا والعالم العربي، إذ اشتركت فيه (٢٨٥) دار نشر من (٢٦) دولة من دول أوروبا الغربية والعالم العربي وإفريقيا وغيرها من الدول، وعرض في المعرض أكثر من (مليون) ونصف المليون كتاب، وقد بيعت بأسعار مناسبة جداً. ومن المعلومات أيضاً عن هذا المعرض الدولي الكبير أن نحو (٢٢) ألف كتاب طبعت مؤخراً قد عرضت على مساحة تزيد على (١٣) ألف متر مربع بينها (١٨) ألف كتاب للبيع، وتسود اللغتان العربية والفرنسية إلى حد كبير الكتب المعروضة، أما من حيث الناشرين فقد اشترك فيه نحو (١٠٠) من أشهر الناشرين الفرنسيين إلى جانب (١٠٢) من دور النشر في الدول العربية وخاصة دور النشر اللبنانية، ومما يذكر بأن التخفيضات في هذا المعرض قد بلغت بنسبة تصل إلى أكثر من ٤٠٪ من قيمة كل كتاب مما جعل الإقبال عليه كبيراً.

مصر

★ محمد الدين الأعلاني ★



نوابغ الفكر العربي

أصدرت دار المعارف بالقاهرة طبع ستة كتب في «سلسلة نوابغ الفكر العربي»، وهي:

★ «أبو الفرج الأصفهاني»، تأليف شفيق جبري.

★ «الفرزدق»، للدكتور مصطفى هدارة.

★ «المتنبي»، للدكتور زكي المحاسني.

★ «أبو حيان التوحيدي»، للدكتور إبراهيم الكيلاني.

★ «عبد الرحمن الكواكبي»، للدكتور سامي الدهان.

★ «جمال الدين الأفغاني»، تأليف محمود أبو رية.

الأعمال الكاملة للشاعر دنقل

أصدرت مؤسسة روز اليوسف المصرية الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر «أمل دنقل»، وهي: «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة»، «تعليق على ما حدث»، «مقتل القمر».

بالإضافة إلى ديوانين شعريين هما: «لا تصالح»، و«أقوال اليمامة».

إعادة طبع أعمال السيوطي

بمناسبة مرور خمسة قرون على وفاة المفكر الإسلامي الكبير «جلال الدين السيوطي»، فقد أقامت (جامعة أسيوط) مهرجاناً ثقافياً حضره عدد من المسؤولين والمهتمين وقد تقرر في نهاية المهرجان إعادة طبع جميع (أعمال السيوطي) التي تضم (٦٠٠) كتاب في اللغة والدين والأدب ومختلف فروع الفكر الإسلامي، كما تقرر إطلاق اسم (السيوطي) على مكتبة الجامعة وعلى أحد مدرجاتها الكبرى، وسوف تتولى جامعة أسيوط بالاشتراك مع «مجمع اللغة العربية» و«هيئة الكتاب» إعادة طبع الكتب ومن أهمها «المزهر في اللغة»، «الجامع الصغير والجامع الكبير في الحديث»، «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»، وبهذه المناسبة فقد وضعت الجامعة خطة لإحياء ذكرى أبرز المفكرين والفقهاء العرب والمسلمين وإعادة طبع أعمالهم بعد تحقيقها وتقديمها بدراسات وشروح علمية. من بين المفكرين الذين ستحتفل الجامعة بذكراهم العلامة (ابن خلدون) رائد علم الاجتماع وصاحب (المقدمة) الشهيرة التي تعتبر البداية الحقيقية لهذا العلم، ولهذا فإن الهيئة المصرية العامة للكتاب ستقوم بإعادة طبع رسالة الدكتوراه التي قدمها المرحوم الدكتور طه حسين في مطلع شبابه بفرنسا وكان موضوعها يدور حول (ابن خلدون) ودوره في إنشاء علم الاجتماع الحديث.

تونس

★ كتب جديدة ★

● «نحو نقد أدبي معاصر»، تأليف الدكتور عيسى الناعوري، صدر عن الدار العربية للكتاب بتونس.

● «ابن الأنباري وجهوده في النحو»، تأليف الدكتور جيل علوش، صدر عن الدار العربية للكتاب بتونس.

● «ابن سينا»، تأليف محمد الهادي المسعودي، صدر عن دار سيراس للنشر في سلسلة «ما يجب أن تعرف».

★ د. عيسى الناعوري ★



الجامعة العربية

نظم مركز دراسات الوحدة العربية خلال الفترة من ٢٨ أبريل (نيسان) إلى ٢ مايو (أيار) عام ١٩٨٢م، ندوة في الجامعات بتونس عن «جامعة الدول العربية: الواقع والطموح»، قدم فيها سبعة عشر بحثاً عالجت الجوانب المختلفة للجامعة العربية ضمن ستة محاور هي:

★ نشأة الجامعة العربية وميثاقها.

★ المجالات الأساسية لنشاط الجامعة العربية.

★ الجامعة العربية وعلاقات العرب بالعالم.

★ الجامعة العربية كمنظمة إقليمية.

★ علاقة الجامعة العربية بأعضائها.

★ الجامعة العربية والمستقبل.

هذا وقد شارك فيها مندوبون عن الدول العربية.

العراق

ندوة عن اللغة العربية

عقدت في بغداد ندوة متخصصة عن «اللغة العربية لغير الناطقين بها»، وذلك بحضور خمسين متخصصاً في شؤون اللغة العربية من عرب وأجانب، استمرت الندوة ثلاثة أيام ناقش المجتمعون فيها (١٤) بحثاً حول مشكلات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وتوظيف علم اللسانيات الحديث والتراث العربي في تعليم اللغة وتقنيات تعليمها.

★ كتب جديدة ★

● «نصوص مدرسية من معبد نابوشخاري»، تأليف أنطوان كافينو، صدر عن المؤسسة العامة للآثار ببغداد.

المغرب

★ كتب جديدة ★

● «ابن رشد ومدرسته في الغرب الإسلامي»، صدر عن جامعة محمد الخامس بالرباط.

أسبانيا

كتب ابن رشد إلى الإسبانية

اهتماماً بأعمال فيلسوف قرطبة (ابن رشد) فقد انتهى فريق من المستشرقين الإسبان من **ترجمة بعض أعماله مثل كتاب (تهافت التهافت)** الذي ردّ فيه على كتاب الغزالي **(تهافت الفلاسفة)**، وكتب أخرى ستظهر في الأسواق اعتباراً من العام القادم. المعروف أن ابن رشد فيلسوف وطبيب وفقيه عربي أندلسي ولد بقرطبة عام ١١٢٦م، وتوفي عام ١١٩٨م، وعمل في بداية حياته قاضياً في (إشبيلية) ثم اتجه لدراسة الفلسفة التي برع فيها، وله مؤلفات قيمة في هذا المجال منها «**تهافت التهافت**» و «**فصل المقال**»، كما عني **بشرح كتب أرسطو الفيلسوف اليوناني** حتى إنه لقّب بالشارح الأكبر.

روسيا

* أحدث الكتب *

● «**حفنة من تراب الوطن**»، مجموعة من **القصص الفلسطينية** التي تصدر بالذكرى السنوية لأول «مرة» وتتحدث عن فلسطين المغتربة والمصير القاسي للفلسطينيين، **قدم للكتاب بوريس بالتوسوف**، صدر عن **دار التقدم بموسكو**.

اليابان

ترجمة القرآن الكريم إلى اليابانية

* الشيخ محمد علي الحركان *



اهتماماً بكتاب الله الكريم ورغبة في أن يكون في متناول يد كل مسلم وفي أية بقعة من بقاع العالم، **فقد اجتمع وفد من مسلمي اليابان** برئاسة الحاج «**محمد عمر ديكيبي**» **رئيس جمعية مسلمي اليابان** بفضيلة الشيخ **محمد علي الحركان** وعدد من المسؤولين في رابطة العالم الإسلامي، وقد تم خلال الاجتماع الاتفاق على إعادة طبعة القرآن الكريم باللغة اليابانية نظراً لنفاد الطبعة السابقة. هذا وقد تقرر طباعة (٥٠) ألف نسخة من النسخ المترجمة. هذا ومن المعروف أن الترجمة السابقة واللاحقة قد تكفلت **المملكة العربية السعودية** بنفقاتها وتحت إشراف **رابطة العالم الإسلامي** بمكة المكرمة.

فرنسا

جائزة فرنسية لكاتب إيطالي

حصل الروائي الإيطالي المعاصر (كالفينو) على جائزة الصقر الذهبي لمدينة «نيس» الفرنسية وذلك أثناء مهرجان الكتاب الذي أقيم في المدينة خلال الفترة من ٢١ ـ ٢٥ أبريل (نيسان) لعام ١٩٨٢م. المعروف أن «إيتالو كالفينو» ولد عام ١٩٢٣م، وتنقل بين باريس وإيطاليا واشتهر بثلاثيته الشهيرة «**البارون**»، ومن بين أعماله الأخرى «**مدن غير مرتبة**».

* أحدث الكتب *

* بيكاسو *



● «**جورجيو فارساي**»، **صدرت مؤخراً** في العاصمة الفرنسية **ترجمة لهذا الكتاب** وهو باسم مؤرخ الفن الإيطالي جورجيو فارساي ١٥١١ ـ ١٥٧٤م.

● «**مصادر الشعور المعنوي**»، تأليف **الفيلسوف الأميركي (بول ري)**، ترجم **إلى اللغة الفرنسية** وصدر في **باريس**.

● «**صورة متكاملة عن بيكاسو**»، تأليف **جاك بيري**، صدر في **باريس**.

● «**كيف تسرق قنبلة ذرية**»، تأليف **جون ماكفي**، صدر في **الأسواق الفرنسية**.

ألمانيا

خيزيش وجائزة دار النشر

حصل الكاتب الألماني «خيزيش بول» على جائزة دار نشر كتب الجيب الألمانية بمدينة «ميونخ» وذلك عن **قصته «خيايا مهرج»** وكذا عن **«كاترينا بلام»**، والجائزة عبارة عن كتابين للجيب من الذهب الخالص وقد قدمت هذه الجائزة **بمناسبة الاحتفال بمرور عشرين عاماً على إنشاء هذه الدار**. ومما يذكر أن هذه الدار قد قامت خلال هذه المدة بنشر مجموعة ضخمة من أعمال عدد كبير من **المؤلفين المشهورين** منهم **شيللر، وجوته، وكلايست، وجيمس جويس**، إلا أن **أكثرهم هو الكاتب خيزيش** الذي نشرت له ما يقرب من (٢٤) كتاباً. ومما يذكر بشأن «خيزيش» ولد في كولونيا عام ١٩١٧م، وله العديد من الروايات النقدية **وقد نال (جائزة نوبل) عام ١٩٧٢م**.

* خيزيش بول *



* شيللر *



هدية إلى جامعة الأزهر بمصر

أهدت ألمانيا الغربية

(١٠٠٠) كتاب في اللغة والأدب والمراجع العلمية إلى «كلية اللغات والترجمة» في جامعة الأزهر وذلك **بمناسبة عيدها الألفي**. هذا وتبلغ قيمة الهدية (٣٠) ألف مارك ألماني تقريباً، كما أهدت أيضاً أحدث معمل صوتي مزود بالأجهزة المتطورة لتعليم اللغات وذلك من قبيل التعاون الثقافي وزيادة العلاقة في التعليم وخدمته.

احتفال ثقافي

★ ليسنج ★



بمناسبة مرور مائتي عام على وفاة الكاتب الألماني «جوتهولد ايفرام ليسينج»، فقد أقيم احتفال توقف فيه العديد من الموضوعات عن أسلوب (ليسينج) منها موضوع حركة التنوير الفلسفية في يومنا هذا وليسينج والأجيال القادمة، كما تضمن الاحتفال عروض مسرحية على غرار أسلوب ليسينج منها «قصة إميليا جالوتي». المعروف أن (ليسينج) ولد عام ١٧٢٩م، وتوفي عام ١٧٨١م، وكتب العديد من المقالات النقدية التي كان يهاجم فيها الأسلوب الكلاسيكي الفرنسي وقد استخدم أسلوباً دراماتياً جديداً حيث ألف العديد من التراجيديات. من **أشهر مؤلفاته «ناتان الحكيم»** عام ١٧٧٩م.

أمريكا

العربية.. عالمياً

قرر المجلس الاقتصادي والاجتماعي ـ التابع **لهيئة الأمم المتحدة** ـ اعتبار اللغة العربية من بين اللغات الرسمية التي يستخدمها وذلك اعتباراً من أول كانون الثاني (يناير) عام ١٩٨٣م. هذا وقد جاء القرار استجابة لطلب تضمنه قرار للجمعية العامة صادر بتاريخ ١٧ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٨٠م، وقد وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على هذا القرار وعلى الاعتمادات اللازمة لإدراج اللغة العربية كلغة رسمية في المجلس.

* أحدث الكتب *

● **«سري للغاية»**، تأليف **مونت بوين**، صدر في **الأسواق الأمريكية** ويحتوي على مائة خطاب ومذكرة كتبها الرئيس الأمريكي الراحل **ترومان**.

● **«الفاكهة المرة»**، تأليف **ستيفن شلزنجر وستيفن كينزر**، صدر في **الأسواق الأمريكية**.



★ هنري ترومان ★

تأليف **ليو برسائي**، صدر عن **مطبعة كمبردج**.

● **«لغز غوغول»**، تأليف **ريتشارد بنيس**، صدر عن **مطبعة كمبردج**.

● **«التاريخ كعلم»**: فلسفة

بريطانيا

* أحدث الكتب *

● **«موت مالارمه»**، كولنجوود»، تأليف **فان ديبر داسين**، صدر عن **دار مارتينوس**.

● **«الاقتصاد العربي»**، تأليف **يوسف صايغ**، صدر عن **مطبعة جامعة أكسفورد**.

● **«من ديكارت إلى هيوم»**: فلسفة ما وراء الطبيعة في أوروبا وتطور الفلسفة الحديثة»، تأليف **لويس لويب**، صدر عن **مطبعة جامعة كورنل**.

● **«هيوم وقضية السببية»**، تأليف **توم بوشام والكسندر روزنبرغ**، صدر عن **مطبعة جامعة أكسفورد**.

● **«من ديكارت إلى فيتغنشتين»**، تأليف **روجر سكروتون**، صدر عن **دار روتلدج وكيفان بول للنشر**.

★ ديكارت ★



كاتب هندي يفوز بالجائزة الأولى



★ سلمان رشدي ★

فاز كاتب هندي اسمه «سلمان رشدي» **بأكبر جائزة أدبية تمنح في بريطانيا لعام ١٩٨١م**، وهي جائزة «**بوكر ماكونل في مجال القصة**» وذلك عن **قصته** (**أبناء نصف الليل**) بذلك القصة التي نشرت الشهر بعد الاستقلال مؤلف ولد في نفس الساعة التي أعلن فيها استقلال الهند. **المعروف أن هذه الجائزة إحدى الجوائز العالمية الكبرى** وقد كانت لجنة التحكيم هذه القصة مكونة من: **البروفسور مالكرم برادبوري** ـ كاتب روائي (رئيساً)، وعضوية كل من **بريان الدين** ـ مؤلف روايات الخيال العلمي، **صمويل هاينز** ـ أستاذ أمريكي في الأدب، **جوان باكويل، هرميون لي** ـ وهو ناقد ومحاضر أدب إنجليزي. وقيمتها عشرة آلاف جنيه استرليني، والكاتب يبلغ من العمر (٣٤) عاماً.

اليوم والغد

أكبر شاحنة في أوروبا

هذه الشاحنة العملاقة تبلغ سعة محرك الديزل الذي يدفعها ١٤ لتراً بقوة ٣٥٥ حصاناً بنته **شركة كينوورث الأميركية** . وكما هو واضح في الصورة ، فإن سيارة الفولكس ـ فاكن (نصف ياص) تبدو بجوار هذه الشاحنة الضريدة كالقزم بجانب العملاق .



أول مصعد كهربائي في العالم

قبل مئة سنة ، وبالضبط في أيلول (سبتمبر) ١٨٨٠م ، عرض **أول مصعد كهربائي في العالم في مدينة مانهايم الألمانية** ، وقد كان مفاجأة المعرض التي قدمتها **شركة سيمنز وهالسكي** . كان المصعد الكهربائي يتسلق على سكة مستقيمة نحو الأعلى . أما المحرك الكهربائي فكان مثبتاً على المصعد نفسه يدير عجلة تحرك المصعد على مبدأ قريب من مبدأ الدراجة النارية .



خلال أسابيع المعرض القليلة لم يتعرض المصعد إلى أي عطل ، علماً أن عدد الذين استخدموه بلغ أكثر من ٨٠٠٠ شخص انتقلوا بواسطته ـ بسرعة قدرها نصف متر في الثانية ـ إلى المنصة المطلة على المعرض على ارتفاع ٢٠ متراً .

بلغ وزن المحرك ٢٥٠ كيلوغراماً باستطاعة ٤ أحصنة وكان يدور بسرعة ٦٧٠ ـ ٧٠٠ دورة في الدقيقة .



مطاردة الأنوار القطبية

ليس من المعروف بالضبط لماذا تتشكل الأنوار القطبية على ارتفاع ١٠٠ كيلومتر فقط . ولقصد كشف هذا الغموض فقد تعاونت الشركات الألمانية كروب ومان و م . ب . ب ، على بناء « أذن كونية » في مدينة تروميو النرويجية .

يبلغ الوزن الإجمالي لهذه المنشأة ٨٥٠ طناً وهي تبث في الفضاء إشعاعات استطاعتها ٦ ملايين وات ، ولها « مستقبل » مكون من ٤ مجمعات ارتفاع كل منها ٤٥ متراً وعرضه ٣٠ متراً .

برقيات الراديو في السيارة

الاتصالات اللاسلكية في السيارات أمر كثير الانتشار ، إلا أنه يعاني من نقطة ضعف رئيسية : إذا لم يكن أحد في السيارة ، عندها لا يمكن إعلام صاحبها بشيء ، لأن الاتصال يعتمد على المكالمة الشفهية فحسب . وقد تم الآن التغلب على هذه المشكلة بواسطة **جهاز طابع للمعلومات** من ابتكار **شركة بوش الألمانية** . فعندما يراد إيصال « برقية » إلى صاحب إحدى السيارات ، **يتصل المرسل بمركز المعلومات ويبلغه اسم المستلم ونص البرقية الذي يطبع فوراً** . وخلال ثانية واحدة فقط تحول إلى رموز كي ترسل عبر قنال الاتصال اللاسلكي . والمرحلة الجديدة في الموضوع أن جهاز الاتصال في السيارة يستقبل البرقية ويطبعها رغم غياب صاحبها .



بين السطور ..

الحضارة.. والحب

كلمتان غاليتان .. الحضارة والحب .. لكنهما قد ابتذلتا في هذه الأيام . فما أكثر ما تسمعهما كأنما شيوع الكلمة ، وفشو القلم قد أرخصا هاتين الكلمتين ، فأصبحت كل أغنية حباً ، واضحت غارة الطاغية غزواً حضارياً .. يصنعون المبرر باسم الحضارة يمر الطغيان دون عقاب ، بل حتى إنهم بهذه المبررات يخضعون العذاب لئلا يكون .. وباستمرار الزمن يتذوق المعذب الكلام العذب عن الحصلة الحضارية .

إن الحضارة إنسانية الحياة على الأرض ، والحب حياة الإنسانية من الأرض .. من هنا أستطيع أن أعرف الحضارة كوناً وتكويناً وكياناً بأنها لن تكون إلا بهذا التعريف .. أعني أن الحضارة إنسان ومكان وزمان .. فإذا لم يكن هذا المثلث قد اجتمع لإنسان في الأرض الواحدة المتحدة التي هي مكانه ، والتي امتد به زمانه فإنه لن يكون حضارياً .

فالعرب من عهد قحطان عادياً وثمودياً وفرعونياً وكنعانياً وفينيقياً صنعوا الحضارة على أرضهم سواء في حجر ثمود ، أو في إرم ذات العماد وفرعون ذي الأوتاد (الأهرامات) أو في أبجدية الفينيقيين وأرجوانهم ، أو في حدائق بابل ، أو في ما صنع ساكن الشام في بعلبك ، وما حفلت به الأساطير كل ذلك كان عمل إنسان استطاع أمد وجوده على الأرض كما امتد زمنه فيها وعليها وبها .

فالادعاء بأن اليهود هم حضارة كذبة افتراها الادعاء المغلف بغفلة الساميين لذلك ، لأن اليهودي وهو إنسان بلا شك لكن ليس له مكان قد أقام فيه زمناً يبدي فيه معلماً حضارياً .. فقد فقد الزمان والمكان .. المكان ما تبعثر به وجوده في الدنيا كلها .. والزمان قصير جداً في فلسطين .. وقصير جداً في أي أرض .. وحتى لو امتد زمن في أرض كإسبانيا مثلاً فإنه وقد تكتل في سراديب بعيداً عن إنسان الأرض التي ساكن أهلها ، كل ذلك لم يمكنه أي دور له ليكون صانع الحضارة .

بينما العرب في الأندلس اتخذوا المكان واستقروا فيه ، وطال بهم الزمن فصنعوا الحضارة المشرقة التي لا تزال يشع نور برهانها على أن العربي هو الذي صنعني ، وأن اليهودي وقد أقام معي لم يصنع شيئاً .

فادعاء اليهود بأنهم حضاريون كذب .. فهم أهل بهتان ، ومع هذا قد يحتج بعض المغلفين بالترهات أن « نيوتن » مثلاً يهودي وهو علامة حضارية ، وأن « أينشتاين » يهودي وهو علامة حضارية .. لكن الإجابة بسيطة جداً هو أن نيوتن العلامة الحضارية لم يكن اكتشافه للجاذبية معدوداً في ثبت اليهود ، وإنما هو في ثبت الحضارة الإنجليزية .. وأينشتاين ما كان ـ ولن يكون ـ في ثبت الحضارة اليهودية لأنه في ثبت حضارة الألمان لترثة الحضارة الأميركية .

أما الحب فقد ضاع حين ابتذل الجمال ، وحين استرجلت الأنثى ، وحين استنوق الجمل .

فهاتان الكلمتان الحضارة والحب ليست المأساة أن ضاعا بهذه الصورة فإن المأساة أو الكارثة أن يضيع الإنسان من حياة الحياة ، إلى عيش قد ترتفع عنه بعض الحيوانات .

محمد حسين زيدان

الإسلام بين الدولة

رغم الكلام الكثير عن الإسلام، وعن تكامل الدين والدولة في نظامه، فإن الأمر يبدو لبعض الناس غامضاً، ويحتاج لمزيد من الشرح والإبانة، لأن حقيقة الإسلام غائبة عن حياة المسلمين أولا، ولأن الإنسانية عاشت تجربة الدولة الدينية في شكلها الغربي من قبل، وعانت تحت ظلها ما عانت، بحيث لم تنصرف في نهاية المطاف عن الدولة الدينية وحدها، بل كادت أن تنصرف عن الدين ذاته جملة وتفصيلاً.

وحين يتحدث المعاصرون عن إدخال الدين في قضايا السياسة وقضايا التحول الاجتماعي والثقافي، فإن عشرات الأسئلة تقفز إلى الأذهان، لأن في ذلك تحدياً مباشراً للنظام العام الذي استقرت عليه الأمور في معظم بلاد العالم الثالث المتأثر ببلاد الغرب التي فصلت الدين عن الدولة، وسارت في طريق العلمانية التي لا تهتدي في معالجة قضايا الإنسان بغير جهد الإنسان وفكره تشريعاً وتنظيماً وأخلاقاً، وهكذا انفصلت فيها القيم إلى قيم خاصة تهدي سلوك الإنسان في حياته الخاصة، وإلى أخرى عامة تهدي سلوكه في حياته العامة، وانفصل بالتالي القانون عن الأخلاق، واتسعت الشقة بمرور الزمن، ما بين القيم الأخلاقية التي جاءت بها الديانات وبين واقع الممارسات الاجتماعية التي انعكست بالتالي على الناحية القانونية، بحيث انتهى الأمر في نهاية المطاف إلى ما نشهده في عصرنا هذا من تحليل لكثير من المحرمات باسم القانون، حتى قويت الدعوة في بعض برلمانات الغرب، إلى إباحة زواج الرجال بالرجال والأخ بالأخت بدعوى الحرص على حريات البشر واحترام أمزجتهم، لأن كل ذلك أمر خاص لا علاقة له بحياة المجتمع العامة فيما يزعمون.

وما دام هذا **النظام العلماني** قد انتقل بالضرورة إلى الدول الخاضعة لنفوذ الغرب، فإن كل أحياء الاجتماعية والثقافية والسياسية في هذه الدول التابعة تظل محكومة بقيم النظام العلماني الغربي. فإن كان هذا النظام الغربي يحل **الزنا** تحت ظروف خاصة فليعكس القانون في الدولة التابعة هذا الوضع بصرف النظر عن المنطلق الحضاري للشعب الذي يطبق عليه هذا القانون. وهكذا الأمر في تحليل **الخمر** وفي كثير غير ذلك من الأمور التي تختلف فيها حضارة الغرب عن حضارات الأمم الأخرى، ومن بينها حضارة الإسلام.

والواقع أن هذا النظام العلماني الغربي الذي تنطقه معظم الدول التابعة للغرب والشرق، وليد ظروف تاريخية بعينها، وهو يعبّر في كثير من الأحوال عن أوضاع أمم الغرب التي عاشت التجربة فلخصتها في هذا النظام الذي يختلف في تفصيلاته من أمة غربية لأخرى رغم اتفاقهم جميعاً في الأساس الحضاري المستمد من تاريخهم البعيد والقريب. وليس الدين في واقع الأمر بعيداً عن هذه التجربة العاشة، فإن فهمهم لدينهم قد انعكس بوجه أو بآخر على نظامهم العلماني كما يستدل على ذلك من الخلافات الواضحة بين الدول الكاثوليكية والدول البروتستانتية، ويبدو ذلك على أشده في الدول الماركسية، والنتيجة أن النظام العلماني الغربي ليس مبرأ من التأثير الديني بل إنه يعكس في جوهره كثيراً من القيم الدينية التي انتقلت بالتبعية الكثير من الأمم التي لا تدين بديانات الغرب، بل إن قيم ديانتها قد تصادم كثيراً منها يأتيها من هذا الذي هو في جوهره فهم الغرب الخاص لبعض قيم الدين، كما تستدل على ذلك بتحليل الربا الذي هو مرفوض في **اليهودية والمسيحية** مثلما هو مرفوض في الإسلام، ولكن واقع الحال، كما تشهد بذلك المعارك الفكرية التي دارت في أوائل النهضة الأوروبية، قد فرض وجوده وأصبح لتحليل **الربا** هو أساس **التعامل التجاري** الذي التست به الأخلاقية البروتستانتية القائمة على السعي في طلب الرزق والاستزادة من المال دون لبذير أو إغراق في الملذات، ولغلبة هذا الاتجاه في **التعامل الاقتصادي الرأسمالي**، فقد طبع ذلك معاملات كل الدول الواقعة تحت نفوذ الاقتصاد الغربي وتأثرت به قوانينها المالية وعلاقاتها الاجتماعية ومن البديهي أن العلمانية في أساسها فهم خاص لوضع الدين في علاقات

الدينية والعلمانية

بقلم: د. عون الشريف قاسم

المجتمع نابع من تجربة الغرب ، وبالتالي فإن للدين فيها وضع خاص تشهد به الحياة السياسية في كثير من الدول الأوروبية التي تقوم الأحزاب المسيحية فيها بالدور الرئيسي .

ومن القضايا التي نالت عناية كبيرة في السنوات الأخيرة في كثير من المجتمعات الغربية ، وضع التعليم الديني في البرامج العامة التي تشرف عليها الدولة ، والتشدد في معالجة بعض العلل الاجتماعية بالاهتداء بقيم الدين مما أثار من جديد قضية العلمانية في مواجهة الدين في إطار جديد .

وما دام هذا هو وضع العلمانية في إطارها الغربي ، وإنها في جوهرها فهم خاص لوضع الدين كما يجب أن يكون في حياة المجتمع الغربي بأن يكون **ما لله لله وما لقيصر لقيصر** ، فإن ما لله تنظمه **القوانين الكنسية** التي لا تتعدى دائرة **الأحوال الشخصية** وما لقيصر تنظمه قوانين قيصر التي تنظم أحوال المجتمع العامة ، وكل ذلك يستقيم مع مواضعات حياتهم الروحية والاجتماعية والسياسية كما استبانت لهم تحت تلك الظروف التاريخية التي عاشوها في ماضيهم وحاضرهم دون أن يحول وضع بعينه بينهم وحرية الحركة . فما هو الوضع عندنا؟ وما انعكاسات وضعهم علينا؟ .

ولعل من البديهي أن بعضاً مما أتى به الغرب وأخذناه عنه صالح في جملته إن لم يكن في كل تفاصيله خيراتنا ، ولا يقتصر ذلك على التكنولوجيا ومؤسسات الدولة الحديثة وما يتصل بها من نظم وقوانين بل يتعداه إلى بعض من المواصفات الاجتماعية والمعاملات كما استبان للجنة مراجعة القوانين لتتلاءم مع أحكام **الشريعة الإسلامية في السودان** حيث وجدت أن أكثر من ثمانين بالمائة من القوانين الوضعية السائدة في السودان لا تخرج في جملتها على ما تقتضي به الشريعة الإسلامية من أحكام .

ولعل من أكبر عناصر قوة الحضارة الأوروبية المعاصرة قدرتها على الاستفادة من تجارب الآخرين وبالذات من التجربة الإسلامية في مجالات التشريع كما تروي المصادر عن قوانين **نابليون** التي استفادت في بعض جوانبها من الفقه المالكي الذي ظل سائداً في شمال إفريقيا وترجمت مدوناته إلى الفرنسية إبان عهد الاحتلال الفرنسي منذ عام ١٨٣٠ م .

ولكن هذا التوافق في بعض المجالات بين الحضارتين لا يلغي الفروق الأساسي بينهما الذي يجعل من إحداهما ، وهي الغربية ، حضارة منقسمة أحادية النظرة ، ويجعل من الأخرى وهي الإسلامية حضارة متكاملة شمولية النظرة ، بل إن هذا الفرق هو المبرر الأساسي لظهور حضارة الإسلام التي جاءت حاملة لرسالات السماء إلى الأرض ، لمعالجة هذا الانفصام القديم في كيان الإنسان أصلاً بين روحه وجسده وبين عقله وعاطفته ، وفي حياته تبعاً بين تطوره المادي وسلوكه الاجتماعي وبين دينه ودنياه .

ومن الواضح أن انفصام الدين والدنيا الذي عبّرت عنه علمانية الغرب في صورتها الحديثة قديم قدم الإنسان ، وقديم الصراع في ضميره بين مقتضيات إنسانيته من ناحية ، ومقتضيات وجوده المادي من ناحية أخرى ، وقد جاءت كل الديانات من لدن **آدم عليه السلام** إلى **محمد صلى الله عليه وسلم** لتذويب الإنسان حتى يستعلي فيه الإنسان على الحيوان فيجتاز بذلك هذا الاختبار الذي ابتلى به الله الإنسان حين جعله خليفة له في الأرض وامتحنه بهذا الصراع الدائم في ضميره بين الخير والشر وفي حياته بين نوازعه الإنسانية وغرائزه الحيوانية **فجاء الإسلام تلخيصاً لكل جهاد الإنسان الروحي ليقيم ميزان التعادل في ضمير الإنسان وفي حياته وسطية تجمع بين ما لله وما لقيصر في دخيلة نفس الإنسان بحيث تنتفي تلك الازدواجية في الحياة فينتقل بذلك المجتمع إلى ضمير الفرد فيصبح ضمير الفرد ضميراً اجتماعياً هو معيار الدين مثلما هو معيار الدنيا .** وبالتالي ظلت حضارة الغرب كبقية الحضارات القديمة حضارة مجتمع إذا

انهارت سلطة المجتمع أو انهارت دعائمه انهارت معه الحضارة ، بينما تظل حضارة الإسلام حضارة إنسان تبقى في ضمير الفرد وترسخ في عمق أعماقه وإن ذهب المجتمع وذهبت مظاهر الحضارة المتصلة به كما هو واقع حال المسلمين الذين ذهبت حضارتهم كمجتمع ، ولكنها بقيت في ضمائر المسلمين كأفراد .

[illegible]

وما ذلك إلا لأن الفرد في حضارة الإسلام يقوم مقام الجماعة والمجتمع في غيره من الحضارات القديمة المرجوحة ومنها حضارة الغرب المعاصرة التي هي في جوهرها الصورة الحديثة للوضع الحضاري القديم الذي جاء الإسلام أصلاً لمعالجة أدوائه والخلول محله ، لكي يستقبل الإنسان هذا الطور الجديد من مراحل تطوره بصياغة إنسانية جديدة تجعل من الفرد البشري مجتمعاً في فرد ودولة داخل الدولة فحابه مخاطر التطور الحضري المرتكز على تطور العقل البشري حيث تتدهور إنسانية الإنسان بمقدار ازدهار حياته المادية ، ولا علاج لأزمة الإنسان في هذا الطور وما يستجد من أطوار إلا بانتقال قيم الجماعة إلى ضمير الفرد ليصبح هذا الفرد هو المسؤول عن نفسه وعن مجتمعه وعن كل الإنسانية من حوله بدافع من الداخل لا بوحي أو رهبة من الخارج . ولهذا السبب ركز القرآن الكريم والسنة على هذه الصياغة الإنسانية والاجتماعية للفرد المسلم ، لأنه قوام المجتمع المسلم ، ومن ثم قلت الإشارات إلى الهياكل والمؤسسات وشكل الدولة في القرآن الكريم والسنة ، وكان آخر ما قاله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى قوله الشريف : «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي**» .

[illegible]

ومن صياغة الفرد تنبثق صياغة الجماعة ، ومن ثم ركز الإسلام منذ البداية على أن الفرد فرد في الجماعة (**ومن شذ عن الجماعة شذ إلى النار**) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يكن من ثم غريباً أن سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مجتمع أقامه في المدينة في أول أيام الهجرة بالأمة ، وهذه الأمة في الإسلام علاقات إنسانية حرة يتكامل فيها جهد الأفراد مع جهد الجماعة ليصبح المجتمع مجتمعاً إنسانياً متكافلاً تكافلاً عضوياً دون إلزام من دولة أو رعاية من حكومة ، بل إن تماسك المجتمع تماسك ذاتي يبقى وإن ذهبت الدولة وانهارت أجهزة الحكم ، كما هو حال كل المجتمعات المسلمة التي بقيت متماسكة طوال عهود الظلام التي أعقبت انهيار دولة الإسلام منذ قرون طويلة . ومن ثم كانت **العبادة في الإسلام** توجيهاً للفرد لا ليصبح فرداً صالحاً كفرد فحسب بل ليصبح فرداً صالحاً في مجتمع صالح وهذا السبب كان فضل الجماعة في العبادة يرجح فضل الأفراد ، وكان **الإجماع** الأصل الثالث من أصول التشريع بعد الكتاب والسنة .

وهذا السبب تظل العلاقة بين الفرد والمجتمع في حضارة الإسلام علاقة عضوية لا تنفصم ومن ثم يصبح الحديث عن تربية للفرد بمعزل عن علاقاته بمجتمعه حديثاً لا معنى له ولا مدلول في نظام الإسلام الذي يترجم الدين إلى معاملة ، والمعاملة لا تكون إلا بين الجماعة وهكذا يتصل الديني بالدنيوي في صياغة الأفراد وفي علاقات المجتمع بحيث يذوب الدين في معاملات الدنيا ليصبحا بمثابة وجهي العملة الواحدة وتكون الدنيا بذلك مزرعة للآخرة لأن الدنيا عمل والآخرة حساب وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ **ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا** ﴾ (سورة الإسراء ، الآية ٧٢) .

[illegible]

ومن هذه الصياغة الإنسانية الشاملة للفرد وللجماعة تنبثق صلات الأفراد الخاصة وعلاقات الدولة العامة وما التشريع إلا رسم وترجمة لهذه الأواصر الإنسانية في شكل ضوابط وإرشادات تنظم الحياة في كل أبعادها الشخصية والاجتماعية ، الدينية والدنيوية ، وهي في كل ذلك ليست قوانين للردع وإنما هي برنامج للعمل يلتزم به الفرد المسلم في تحركه اليومي ظهارة لجسده وتقاناً لعبادته وانضباطاً في معاملاته الخاصة في أسرته ومعاملاته العامة في مهنته وتعامله مع الآخرين . وحين يخرج الفرد المسلم عن كل هذه الضوابط التي تنبع قداستها من الإيمان بالله وحكمته في تنظيم الحياة المستقرة في ضمائر المؤمنين فإنه يكون قد تعدى حدود مجتمع المسلمين فيطبق عليه الحد . ولهذا السبب ظل المجتمع المسلم مجتمع أخلاق وإيمان وليس مجتمع قانون لأن القانون راسخ في ضمير المسلم بانتماء بأمر الدين عن ارتكاب ما حرمه الله من الموبقات والسقم والاعتداء على حرمات الآخرين . فالقانون يستمد حرمته من إيمان المؤمنين . وإن خرج عليه المسلم يكون قد خرج في تلك اللحظة عن إيمانه ، ولذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**) .

ومن هنا يمتزج الإيمان والأخلاق بالقانون . فالجرائم ليست جرائم ضد القانون أو ضد المجتمع فحسب ، وإنما هي جرائم في حق الله وفي حق نظام الإسلام وفي حق الفرد المسلم . ولهذا السبب صنفت أعمال العباد تصنيفاً أخلاقياً يلتزم به الفرد في تعامله بالتربية والقرآن قبل تدخل القانون . فالأمور إما **حلال** ويتدرج العمل بها من **الإباحة** إلى **الندب** إلى **الكراهية** في بعض الأحيان وإما **حرام** ، فينتهي الفرد من اتيانها ثم بعد ذلك يأتي القانون ليفصل كل هذه الحدود والضوابط . **ولعل حضارة الإسلام من الحضارات النادرة التي تجعل من كل**

ضوابطها وقوانينها جزءاً لا يتجزأ من حركة الحياة اليومية يحفظها الناس العاديون في عقولهم وضمائرهم، ولهذا السبب يهتم المسلمون بدراسة الفقه الذي ينظم كل علاقات المجتمع بهذه الطريقة التي ذكرناها. وهذا هو سر تماسك المجتمع المسلم الذي يستمد من روحه الجماعية كل عناصر التكافل والأمن والاستقرار، فهو مجتمع مكتف بذاته لا يحتاج للدولة إلا في جلائل الأمور التي لا يستطيع المجتمع التصدي لها، ومن ثم قل الشعور بضغط أجهزة الدولة على حياة الناس إلا في زمان الأزمات واضطراب الأحوال.

سلبية الدولة

ومن هذا النسيج الحضاري تنبع مسؤوليات الدولة ومؤسساتها القائمة على **الشورى**، وكل المسلمين فيها سواء في الحقوق والواجبات، **وليست الدولة في الإسلام دولة دينية** بمعنى أن القائمين عليها من رجال الدين، فليس هناك طبقة من رجال الدين في الإسلام وإنما هناك علماء متفقهون يستفاد بعلمهم في تبيين مسائل الفقه ودقائق التشريع ولكن لا سلطة لهم على أحد إلا بمقدار ما يوكل لهم من واجبات الدولة، ورغم أن الدين قد ذاب في حياة المجتمع بالطريقة التي فصلناها إلا أن **الممارسة الفعلية لواجبات الدولة العامة في بعض الدول الإسلامية تفصل فصلاً واضحاً بين ما هو دين وما هو دنيا**، وذلك في الواقع أقرب إلى العلمانية في إطار نظام الإسلام. فإن الدولة في تطبيقها للوائح والقوانين ليست معنية بمقدار عبادة هذا الفرد أو ذاك أو تقواه أو تسبيحه وإنما هي معنية بالظروف الموضوعية للقضية الثارة التي تحددها الإجراءات القضائية والقانونية الصارمة المنصوص عنها في كتب القضاء والفقه.

ولعل أبرز مثل لذلك قوانين الأحوال الشخصية المرتكزة على عقد الزواج، وهو عقد رغم ارتكازه على أسس دينية إلا أنه في جوهره عقد مدني وإن كانت كل الالتزامات في مجتمع المسلمين هي مدنية من ناحية ودينية من ناحية أخرى كذلك عقود البيع والشراء وكل المعاملات الاقتصادية والاجتماعية الأخرى. وكل المجتمع مسؤول عن صيانتها وعلماء الدين والمتفقهون جزء من المجتمع ولكنهم ليسوا القيمين على المجتمع إلا إذا منحوا هذه السلطة بتفويض من المجتمع.

وكما أن تنفيذ القوانين وإدارة شؤون الدولة تقوم به أجهزة محكومة بضوابط العدالة الصارمة، وبتفويض من المجتمع بالطريقة التي تحقق جوهر الشورى فإن التشريع في الإسلام رغم ارتكازه على الكتاب والسنة واجتهاد المجتهدين إلا أنه أيضاً جزء من مسؤوليات المجتمع، ولذلك كان إجماع الأمة المسلمة على الأصل الثالث من أصول التشريع. ولكل ذلك ضوابطه.

الحياة الحرة

وفي كل ذلك لا تختلف الدولة في الإسلام عن نظام الدولة في أي مجتمع حديث آخر، بل إن المرء ليذهب إلى القول إن معظم ما هو ممارس الآن من قواعد في تنظيم الدولة لا يخرج في عمومياته كأجهزة عما يمكن أن يكون تنظيماً لدولة إسلامية، وباب الاجتهاد في هذا المجال مفتوح بلا حدود، ولكن المهم في هذا الخصوص ليس الأجهزة التي قد تتماثل كما رأينا بل المهم هو محتوى هذه الأجهزة والأفكار والقيم التي تهتدي بها في مسارها، وهنا يختلف نظام الإسلام عن النظام الغربي اختلافاً جوهرياً في التوجه والمنطلق وإن تشابهت كثير من التفاصيل كما رأينا من قبل.

ومن كل ذلك يتبين أن النموذج الإسلامي صياغة جديدة للفرد وللمجتمع تلغي الانشطار في حياة الأفراد والمجتمعات، وهو العلاج لهذا الذي تفعله حضارة الغرب بتعميقها لهذا الانشطار في حياة الإنسانية، وذلك جهد لا تقوم به طبقة دينية أو حكومة دينية بالمعنى الغربي الضيق بل يقوم به المجتمع الإسلامي المتكامل في دينه ودنياه مستفيداً في تحقيق أهدافه بكل منجزات البشر فإن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها.

والحديث عن حكومة دينية في الإسلام حديث لا معنى له ولا مدلول لأن كل المسلمين دينيون ودنيويون في نفس الوقت، كلهم مسؤولون عن الدولة، ولا يمتاز علماء الدين عن الأفراد العاديين إلا في درجة التخصص لا غير، بل إن الحديث عن دولة دينية في الإسلام إنما هو انعكاس لهذا الانفصام بين دين الناس ودنياهم في مجتمع المسلمين المعاصر، الذي هو مجتمع منفصم شبيه بمجتمع الغرب المنفصم ولذلك سهل غزوه فكرياً واجتماعياً من قبل حضارة الغرب.

النهضة المرجوة

وما نحن بحاجة إليه نهضة روحية تعيد إلى حياة المسلمين وفكرهم هذا التكامل المفقود تربية وتشريعاً وممارسة بحيث يتجاوزون فترة التيه التي يتخبطون فيها الآن عالة على موائد الآخرين، وبذلك وحده يحققون استقلالهم الحقيقي كأمة لها كيانها المرتكز على وضع حضاري متقدم هو وحده المنقذ لإنسانية الإنسان في ظروف التحول الاجتماعي العاصف في عهود الانفجار التكنولوجي الهائل الذي يغير أوضاع البشر، ويزلزل من قدراتهم، ولا سبيل لمواجهته إلا بصياغة جديدة للفرد البشري تمتزج فيها هداية الله بإنجاز العقل البشري لتحقيق خلافة الإنسان لله في الأرض التي خلق الله الإنسان من أجلها، وذلك معنى النهج الإسلامي الذي نحسن بسبيله بناء للوطن واستعادة لفعالية الحضارة التي نستمي إليها وما التوفيق إلا بالله عليه نتوكل وإليه نتيب.

متى يُكتب تاريخ التعليم في بلادنا؟؟

إذا ما أراد الباحث أن يسجل تاريخ التعليم المعاصر في المملكة العربية السعودية فإنه سيجد هذا أمراً ميسوراً، ذلك أن التقارير والإحصاءات التي أصدرتها مديرية المعارف من قبل ثم وزارة المعارف فيما بعد، كفيلة بأن تمده بكثير من الحقائق والمعلومات. ولكنه حينما يرجع إلى تلك الحقب التي مرت بها البلاد في القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر، فإن عمله سيكون أكثر صعوبة، كما أن الصورة ستصبح أمام ناظريه أقل وضوحاً.

بقلم: د. محمد عبد الرحمن الشامخ

لقد شكا **المستشرق الهولندي سنوك هرخرونيه** حين تحدث عن **حياة مكة العلمية** من أن تواريخ مكة قلما تحفل بالحديث عن تاريخ الثقافة والتعليم في هذه المدينة. ولا يملك الباحث في تاريخ الحياة الفكرية **بالجزيرة العربية** إلا أن يبدي الشكوى نفسها، ذلك لأن هذا الجانب المهم من حياة هذه الجزيرة لم يحظ من المؤرخين إلا بإشارات موجزة وملاحظات عابرة، ولهذا أصبح على الباحث في تاريخ التعليم بالجزيرة العربية أن ينقب عن هذه الإشارات والمعلومات في كل ما يتصل بحياة الفكر في هذه البلاد من جرائد ومجلات وكتب في التاريخ السياسي والرحلات والأدب والدين وذلك لكي يوجد من هذه المعلومات المفرقة بناء يصور الماضي القريب للحياة الثقافية. وإذا كانت المواد التي يشيّد منها الباحث دراسته مشتتة متباينة، فلا عجب إن بدت الدراسات والأبحاث الأولى التي تعالج هذا الموضوع جزئية ناقصة.

لم يكتب تاريخ الثقافة في الجزيرة العربية بعد، ولم ينشر حتى الآن سوى دراسات محدودة تتناول جزءاً أو آخر من أجزاء هذه الجزيرة. إن كتب التاريخ السياسي لهذه البلاد مصدر مهم لمن يريد أن يتلمس أخبار الثقافة المتناثرة هنا وهناك، ولكنها لن تعطي الباحث صورة دقيقة للأحوال العلمية في الجزيرة، كما أن كتب الرحّالة الأوروبيين والعرب، تعتبر مصدراً آخر يمكن أن يمدّ الباحث بتلك النظرة الجديدة التي نظر بها هؤلاء الوافدون إلى الحياة الثقافية في هذه البلاد، ولكن يحسن ألا ننسى بأن أكثر هؤلاء الرحّالة لم يُولوا الجانب الثقافي إلا قليلاً من اهتمامهم. ولعل المستشرق الهولندي سنوك هرخرونيه ـ الذي أقام في **مكة وجدة** سنة كاملة في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وزار مكة متنكراً فقضى فيها ستة أشهر كطالب من طلاب العلم ـ خير من عالج النواحي التعليمية في الجزيرة العربية، إذ خصّ التعليم في مكة المكرمة بفصول من كتابه القيّم «**مكة في أواخر القرن التاسع عشر**». ولم يحاول كتابة تاريخ للتعليم في مكة المكرمة ولكنه سجل ما رآه ـ أثناء إقامته ـ من مظاهر التعليم في حرم مكة وكتاتيبها. لقد اتسمت ملاحظاته بالدقة، واصطبغت نظرته بالتقدير لوسائل التعليم التقليدية، ولا شك في أن من يريد أن يفهم حياة المجتمع المكي في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر سيجد هذا الكتاب من **أفضل** ما كتب حول هذا الموضوع. والحقيقة أن هذا الكتاب يعتبر حلقة من أهم الحلقات التي سجلت في تاريخ التعليم بالجزيرة العربية.

وإذا كانت **كتب التراجم** من أبرز المصادر التي تساعد في تصوير الحياة العلمية في فترة من الفترات، فإن مؤرخي هذا الجزء من الجزيرة العربية لم يسجلوا إلا القليل من تراجم العلماء في هذه الحقبة. ومن أسهم في هذا الميدان بنصيب وافر المرحوم **عمر عبد الجبار في** كتابه «**دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام**»، والشيخ **عبد الله بن عبد الرحمن البسام** في كتابه «**علماء نجد خلال ستة قرون**»، والشيخ **عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ** في كتابه «**مشاهير علماء نجد**»، والشيخ **محمد بن عثمان القاضي** في كتابه «**روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين**». وقد حفظت هذه المؤلفات سير عدد من العلماء الذين عاشوا في الماضي القريب، والذين كاد الجيل الحاضر ينسى ذكرهم وإسهامهم في حقل العلم والتعليم.

ومع أن الأماكن المقدسة تعتبر أحسن حظاً

من سائر أجزاء الجزيرة العربية الأخرى من حيث وجود بعض المصادر التي تتحدث عن تاريخها الثقافي، فإنها ما زالت في حاجة إلى مزيد من جهود الدارسين لكي ينقبوا عما خفي من مصادرها، ويبرزوا ما حجب من موادها.

أما الأجزاء الأخرى من بلادنا الغرامية الأطراف **كالأحساء ونجد وعسير**، فإن تاريخها العلمي في القرن الثالث عشر يكاد يكون غير معروف لدى الباحثين، ولا شك في أن هناك من المخطوطات والوثائق ما يلقي الضوء على الحركة العلمية في هذه المناطق، ولكن هذه المصادر ستظل مجهولة حتى يُهيأ لها من الباحثين من يعثر عليها، ويجمع ما تفرق منها. صحيح أن باستطاعة المؤرخ أن يعد أضراراً من أخبار هذا العالم أو ذاك، ولكنه لا يستطيع أن يدرك الصورة الكلية للحياة العلمية في هذه الأماكن. **والحقيقة أن الحياة العلمية في معظم مناطق المملكة العربية السعودية في القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر ما زالت مجهولة المعالم غير واضحة السمات.**

لقد بذلت في السنوات الأخيرة جهود مخلصة نحو جمع المصادر والمواد العلمية التي تتصل بتاريخ الثقافة والفكر في المملكة العربية السعودية. فأنشأت **وزارة المعارف** مكتبة للوثائق التربوية جمعت فيها بعض الكتب المتصلة بتاريخ التعليم، وحوت وثائق كتبها القدامى من رجال التعليم المعاصرين عن ذكرياتهم التعليمية. كما قامت الجامعات بتأسيس أقسام للمخطوطات، وحرصت على اقتناء ما يتصل بتاريخ هذه البلاد من وثائق ومخطوطات. إنها خطوات موفقة في سبيل جمع المواد التاريخية الأولية، ووضعها في متناول الباحثين.

ولكن يخيل إليّ أن تسجيل تاريخ التعليم بالجزيرة العربية في القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر تسجيلاً علمياً شاملاً ما زال أمراً بعيد المنال بالنسبة للدارسين، وذلك لسبب بسيط هو أن المواد الأساسية لهذا التاريخ مشتتة مبعثرة. لذا أصبح من الواجب في هذه المرحلة أن تبذل الجهود لجمع هذه المواد جمعاً منظماً يهدف إلى تدوين كل ما يتصل بتاريخ التعليم في أرجاء البلاد. لقد قامت **مكتبة الوثائق التربوية في وزارة المعارف** بتسجيل معلومات قيمة في هذا الشأن، ولكن معظم هذه المعلومات مما يتصل بالمراكز العلمية والمدارس التي كانت موجودة في المنطقة الغربية. أما المناطق الأخرى فيبدو أن موادها العلمية أقل وجوداً وأصعب اكتشافاً. والحقيقة أن محاولة مكتبة الوثائق في شد الرحال إلى مواطن التعليم الأولى وتسجيل ما لدى المعمرين من رجال التعليم من معلومات وذكريات محاولة جيدة، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى عدد من الباحثين المدربين الذين يستطيعون أن يجلبوا ما تقل حمله من المخطوطات والمؤلفات والتقارير، وما خلا لمسه من التسجيلات والملاحظات والمشاهدات، ولن يقوم بمثل هذه المهمة فرد من الأفراد، بل لا بد من أن يوكل أمرها إلى مجموعة من الباحثين.

وإلى جانب وزارة المعارف، فإن على **الجامعات** مسؤولية في خدمة هذا الجانب من حياتنا الفكرية. لقد أولت هذه الجامعات جمع المخطوطات وتصويرها الشيء الكثير من العناية، ولكنها ما زالت أمام تراث مشتت مبعثر يصعب جمعه، ويشق الحصول على ما أوصدت دونه خزانات الكتب الخاصة، وليس هناك من سبيل إلى معرفة هذا المجهول سوى استمرار البحث وفرع الأبواب الموصدة، والاستعانة بالشباب المثقف الذي شغف بحب التراث وكتبه، إذ لا شك في أن كل عام من العمل الدؤوب سيكشف المزيد من المخطوطات والوثائق والمعلومات.

ومما يساعد كذلك في إثراء مكتبتنا التاريخية أن توجه الجامعات بعض طلاب الدراسات العليا إلى الاهتمام بالأبحاث المتصلة بتاريخ التعليم وتشجيعهم على القيام بالدراسات الميدانية. ولكي تكون أبحاث هؤلاء الدارسين سريعة النتاج، متسمة بالشمول، فإنه يحسن أن توضع خطة هذه الأبحاث تضمن عدم التكرار، وتتلافى ما يمكن أن تتعرض له إحدى المناطق أو بعض الجوانب من إهمال.

إذا تم هذا فإنه لن ينتظر وقت طويل حتى يكون باستطاعة الباحثين أن يكتبوا تاريخاً شاملاً منظماً للحركة العلمية في الجزيرة العربية، وإذا ما قدر لهذا التاريخ أن يكتب فإنه سيكون خير أساس يبنى عليه تقدير هذه النهضة الفكرية التي نعيشها. أما إذا تركنا الأمر على ما هو عليه الآن، فإن السنوات المقبلة لن ترينا سوى أبحاث جزئية ينسج بعضها على منوال بعض، وتتركز حول تلك المناطق التي تكون موادها العلمية أكثر وفرة ويسراً. وصحيح أن الأيام المقبلة ستكشف عن بعض الوثائق والمخطوطات، ولكن السنوات التي تمر مر السحاب ستذهب ببعض المعمرين الذين يعتبرون سجلاً حياً لبعض جوانب تاريخنا الثقافي، وستذهب هذه السنوات كذلك ببعض المخطوطات والوثائق.

وأحسب بعد هذا أن مشكلة تاريخ التعليم ليست إلا جزءاً من تلك القضية التي تعاني بلادنا منها أشد المعاناة، ألا وهي قلة الدراسات التي تعالج حياتنا الفكرية والأدبية معالجة علمية دقيقة. إن قسطاً من اللوم يتجه إلى الدارسين في بلادنا إزاء هذا النقص في مكتبتنا الفكرية. كما أن تشتت المواد الأولية لهذه الدراسات وصعوبة الحصول عليها سبب من الأسباب التي أدت إلى تقصير الباحثين في أداء واجبهم. **ولقد أصبح من الضروري أن تُنشأ مكتبة وطنية كبرى تكون خزانة تحوي تراثنا الفكري مخطوطه ومطبوعه، وتكون واحة يتفيأ بظلالها أولئك الباحثون الذين أتعبهم المسير، وأملهم التنقل في أطراف هذه البلاد الشاسعة.**

كلمة طيبة

الحياة: اختيارات وقرارات

أوائل صيف ١٢٣٦ ميلادية

قرطبة العزيزة تقف عزلاء

البلدة الطيبة الكريمة التي كانت درة الدنيا وأجمل مدن أوروبا حتى موت المظفر عبد الملك بن أبي عامر سنة ١٠٠٩ ميلادية ، كان الزمان قد مال بها وعرفت الخوف والجوع والخراب مرة بعد أخرى ، لأن الذين ورثوا الدرة الغالية لم يكونوا جديرين بها ، صدق فيهم قول أحمد شوقي في سينيته الأندلسية المشهورة :

آخرُ العهد بالجزيرة كانت	بعد عزّك من الزمان وضرّس
فتراها تقول : رايةُ جيش	بادَ بالأمس بين أسر وحبْسُ
ومفاتيحها مقاليد مُلْك	باعها الوارث المُضيع ببخس
خرّج القومُ في كتائب صُمٌ	من حفاظ ، كموكب الدفْن خُرْس
ركبوا بالبحار نَعْشاً وكانت	تحت آبائهم هي العرش ، أمس
زُبَّ بانٍ لهادم ، وجوع	لبُغشت ، ونُحْسِ ، لبُخسُ

على كيلومترين غربي البلد وقف جيش فرناندو الثالث ملك قشتالة وأرغون يتأهب للانقضاض على البلد ، ولكنه يخافه . كانت قرطبة تقف لهؤلاء ، ولكن رهبتها كانت لا تزال تملأ القلوب . لم يكن للبلد رئيس يجمع أمر أهله ، فتجمع الناس ووقفوا بالسلاح فيما بقي قائماً من أبراج حصون البلد ليدفعوا عن حوضهم . كان أملهم في إخوانهم المسلمين عظيماً ، فقد ترامى إلى سمعهم أن قائداً مسلماً كبيراً هو سيف الدولة المتوكل ابن هود يسرع لنجدتها ، والمفروض أنها كانت في سلطانه ، ولكنه كان رجلاً متعجلاً خفيفاً وإن كان يقال إنه كان باسلاً لا يهاب عدواً . كانوا واثقين من أنه سيخف لنجدتهم .

* * *

وبالفعل أقبل سيف الدولة المتوكل بجيشه ووقف على نحو عشرة كيلومترات جنوبي قرطبة ... وأخذ يفكر : يهجم أم لا يهجم .

لو أنه تقدم لدخل البلد دون مشقة ولوقف إلى جانب أهلها ولأسرعت إليه الألوف بعد الألوف من المسلمين البواسل الذين كانوا ينتظرون قائداً يقودهم في معركة الفصل في مصير الأندلس .

في ذلك الوقت تجمع ألوف منهم حول قائد عربي آخر هو محمد بن نصر بن الأحمر ، وتمكن بعونهم من احتلال غرناطة وتحصينها وإنشاء مملكة غرناطة التي قدر لها أن تعيش بعد ذلك فوق القرنين ونصف من الزمان مناضلة عما تيسرت لها حيازته من أرض المسلمين في الطرف الجنوبي من الجزيرة .

وكان مع سيف الدولة المتوكل ابن هود فوق الثلاثين ألف مقاتل مسلم معظمهم من الفرسان . كان جيش فرناندو الثالث أكبر ، ولكن فرسان سيف الدولة كانوا أهل بسالة وقوة ، وقد تمكنوا من هزيمة النصارى قبل ذلك أكثر من مرة ... ولكن سيف الدولة خاف على نفسه .

كان أقل بكثير من الموقف الذي وضعه التاريخ أمامه ، والتاريخ اختيارات وقرارات ، هكذا يقول جان بول سارتر ، وهي من قالاته القليلة الصحيحة . فأما الاختيار فقد قضت به الظروف ووضعت الرجل أمام الموقف ، وبقي القرار .

لو قرر سيف الدولة ابن هود أن يهجم لأصبح من عظماء التاريخ . لأن فرناندو الثالث كان يعرف أن سيف الدولة

ابن هود رجل جسور ، وأن فرسان المسلمين بواسل فقال لمساعده الفارس الدوق دي لورا : لو أقدم هذا الرجل انصرفنا ، فلا ضرورة بنا لأن نهلك الألوف من فرساننا . ونحن نعرف المسلمين : إذا ثبتوا وقرروا القتال فلا يهزمهم أحد .

وأتت وفود أهل قرطبة إلى سيف الدولة تستعجله ، وأرسل إليه أهل جيان واندوجر واستجة وموروز يعلنون ولاءهم له ، وكان هو صاحب المرية ومرسية ، ولو اتخذ قرار الهجوم ودخل قرطبة لأصبح في طرفة عين صانعاً من صنّاع التاريخ ، فمن قرطبة وما ينضم إليها من بلاد الأندلس كان يستطيع أن ينشئ دولة هي أقوى من دولة ابن الأحمر . وكانت هناك قلاقل وفتن في بلاد فرناندو الثالث . كان يريد أن يفرغ من أمر قرطبة في أيام . لو تقدم سيف الدولة لتراجع فرناندو دون قتال مؤجلاً أمر قرطبة إلى فرصة أخرى .

ولكن سيف الدولة ابن هود لم يكن أهلاً للموقف ولا رجل القرار .

وبكل نذالة أمر رجاله بتقويض الخيام والعودة إلى المرية ..

وضج أهل قرطبة بالبكاء وهم يرون جيش المسلمين يقوض خيامه ويمضي بعيداً عائداً إلى المرية ...

ولم يصدق عينيه فرناندو الثالث ، تحول خوفه إلى إقدام ، فأمر طلائع فرسانه بالتقدم واحتلال الأبراج الأمامية ، ثم بقية الأبراج ..

ودخل البلد وهو لا يصدق نفسه .

وقصد هو إلى دار الإمارة .

وقصد الأحبار إلى مسجد قرطبة الجامع ، وأعلنوا تحويله إلى كنيسة ...

وغابت قرطبة في ليل التاريخ .

* * *

وعاد سيف الدولة المتوكل ابن هود إلى المرية بعد أن ضن بنفسه على الموت في ميدان الشرف . ودخل قصره ووقف جنوده يحرسونه على بابه .

وكان أكثر ما جذبه إلى المرية امرأة جميلة كان يهواها ، وكان قد استودعها واليه على البلد ، وهو رجل يسمى الرميمي .

وفي غيبة ابن هود حلت المرأة في عين الرميمي ، فأخذها لنفسه .

وبعد أن اطمأن ابن هود على ملكه وتحدث ما شاء مع وكيله الرميمي قال له ابن هود :

ـ وأين جوهرتي عندك ..

ـ تأتيك في الليل بإذن الله بعد أن تستعد لك وتتزين . لقد أخذتها إلى بيتي لتعيش مع حرمي في غيبتك ... بعد أن تعود إلى بيتك وبعد أن تفرغ من أعمالك مع الليل تجد جوهرتك عندي مصونة كما تركتها .

وفرغ ابن هود من أعماله وعاد إلى قصره وطعم وشرب ، ثم نهض يتمايل إلى مخادعه حيث ظن أن جوهرته في انتظاره .

وما كاد يخطو داخل المخدع حتى أغلق الباب من دونه وانقض عليه بعض العبيد كان الرميمي قد أرصدهم له فخنقوه ...

وحملوا جثته وألقوا بها بين القمامات .

والرجل الذي ضن بنفسه على الموت في ميدان الشرف لأنه لا يستحق الشرف مات ميتة الكلب واستقر في النهاية بين القمامات .

لقد اختار لنفسه الميتة التي استحقها .

والتاريخ كما قلت لك اختيارات وقرارات .

وابن هود عندما قرر ترك قرطبة وأهلها للمصير الأليم وضع نفسه في الموضع الذي يستحق .

دجين مونس

الحاجة إلى

بقلم:
د. حسين عطوان

يفتقر الأدب العربي إلى موسوعة كاملة شاملة تؤرخ له من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث. وليس ذلك أمراً سهلاً، بل هو مشروع كبير، ومطلب عزيز، يقصر الأفراد عن بلوغه، ويعجزون عن تحقيقه، مهما تطل أعمارهم، وتتصل أعمالهم.

ومعلوم أن هذا الأمر أرّق الباحثين المهتمين بالأدب العربي طويلاً، وراوده نفوسهم وأحلامهم كثيراً، فهو مطمح من مطامحهم البعيدة، وهو شغل بعضهم الشاغل الذي يفكرون فيه، ويقدّرون له، ويسعون إلى تذليل الصعاب، وتسهيل السُّبُل إلى إدراكه، لا يصرفون عن التنبيه على أهميته، ولا ينقطعون عن بذل الجهد تلو الجهد فيه. وأشارهم في نصف القرن الماضي تشهد على عنايتهم الشديدة به، وتدل على عملهم المتصل فيه، فقد دعوا إلى الاحتفال بتاريخ الأدب العربي مراراً.

ومن الإنصاف الإشارة إلى أن **الدكتور إحسان النّص** كان قد اقترح مشروعاً لكتابة تاريخ الأدب العربي، وأنه رأى أنْ يُفْرَد كتاب أو جزء للأدب في كل قرن من القرون. وقد وافق **قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الكويت** على المشروع سنة ١٩٨٠م، وأرسل نسخاً إلى **الجامعات العربية**، طلباً للمشورة والنصح، وأملاً في المساعدة والمشاركة. ولكن سعي قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الكويت لم يسفر - فيما أعلم - عن عقد ندوة علمية لبحث المشروع ومناقشته وتدقيقه، والعمل على تنفيذه.

وصنّف الباحثون أيضاً مؤلفات كثيرة في تاريخ الأدب العربي تتعلق بعصوره وفنونه وأعلامه، واتّبعوا فيها مناهج متعددة. ومن الإنصاف كذلك شكرهم على ما قدّموا، إذ كانوا روّاداً احتملوا العبء وحدهم، ونهضوا به على قدر طاقتهم، وأفادوا غيرهم من الدارسين فوائد جليلة.

وتحْسُنُ إلى جامعة أو مؤسسة علمية عربية صُنْعاً إذا دعت إلى **ندوة عالمية للأدب العربي**، وهيّأت السُّبُل إلى عقدها، لتبْحَثَ فيها قضايا الأدب العربي المختلفة بحثاً عميقاً، ويُخْرِج بنتائج واضحة، ويُنْتَهى إلى مناهج محددة، ويُتَّفَق على خطة وافية مُفَصَّلة من أجل البدء في تدوين الأدب العربي من جديد.

ويبدو لي أنّ تدوين تاريخ الأدب العربي تدويناً وافياً دقيقاً يحتاج إلى ثلاثة أمور: الأول إنشاء مؤسسة تشرف على هذا العمل. والثاني جمع النصوص وتوثيقها، والثالث الاتفاق على منهج البحث.

أما الأمر الأول فهو أساس تنظيمي لا يستغنى عنه، لأن تدوين تاريخ الأدب العربي تدويناً وافياً دقيقاً عمل جماعي لا عمل فردي. ولذلك لا بد من إنشاء مؤسسة خاصة به، يقوم عليها أهل المعرفة والخبرة من الباحثين المشتغلين بالأدب العربي، وتكون مهمتها تنظيم العمل وتقسيمه، واختيار الباحثين الذين سيتولون كتابة البحوث والدراسات المختلفة، ومتابعة أعمالهم، والسعي إلى إنجازها في أوقات محددة، ومواعيد معلومة.

وفي تجارب الأمم المتقدمة ما يؤيد الحاجة إلى ذلك، فإنها حين بادرت إلى تدوين تراثها والتأريخ له أنشأت المؤسسات المتخصصة الدائمة، التي استمر عمل بعضها لعقود كثيرة.

وفي وسع العالمين العربي والإسلامي اليوم أن يوفّرا الأموال التي يستلزمها إنشاء مؤسسة لتدوين تاريخ الأدب العربي، وفيها أيضاً علماء نابهون ممتازون يستطيعون أداء هذا العمل والقيام به على خير وجه.

وأما الأمر الثاني فهو أساس أوّلي لا يبدأ العمل ولا يستمر ولا يتم إلا به، إذ لا بد من **توافر المادة** التي ستعتمدُ عليها البحوث والدراسات المختلفة. ولذلك تشتد الحاجة إلى جمع النصوص وتحقيقها، ولا سيما نصوص بعض العصور والبيئات التي ما يزال أكثرها مطوياً.

ومما يبعثُ على الأمل أن تحقيق النصوص نَشَطَ نشاطاً قوياً في العالمين العربي والإسلامي منذ زمن بعيد، وكان للأفراد نصيب وافر فيه، وقد أحدثت الجامعات والمؤسسات العلمية المختلفة فيه اهتماماً بالغاً.

وإن المنشور الميسر من النصوص يُمكّنُ من الشروع في تدوين تاريخ الأدب العربي، ويستطيع الباحثون الذين سيتولون كتابة البحوث والدراسات أن يستكملوا بعض النصوص، وأنْ يَسُدُّوا النقص فيها.

وأما الأمر الثالث فهو أساس جوهري أيضاً، إذ لا بد من الإجماع على منهج يلتزم به كافة الباحثين في تدوين تاريخ الأدب العربي، حتى يكون هذا التدوين روح واحدة مُتّسقة لا تناقض فيها ولا تعارض بينها.

المنهج المطلوب

ويظهر لي أنه يحسن التمييز بين المنهج الذي سيصطنع في دراسة الأدب العربي القديم، وبين المنهج الذي سيصطنع في دراسة الأدب العربي الحديث.

أما الأدب العربي القديم فمن الأفضل الاعتياد في دراسته على منهج واحد مركّب يأخذ بالطَّرف الصالح من كل منهج من مناهج القدماء الذين درسوا الأدب العربي، لأنه **لا سبيل إلى فهم الأدب العربي القديم وتحليله، ومعرفة دقائقه وأسراره اللغوية والتركيبية والجمالية إلا في إطاره التاريخي الفكري والإبداعي والنقدي. ولا بأس من الاستعانة ببعض المناهج النقدية الحديثة التي تساعد على ذلك، وتتيح الوقوف على جوانب جديدة قصرت مناهج القدماء عن بلوغها، أو أشارت إليها إشارة سريعة، أو ألمّت بها إلماماً موجزاً.**

وأعني بالمنهج الواحد المركّب أن يكون مزاجاً من المناهج القديمة الأصيلة الراسخة. وقد يتكوّن هذا المنهج **من المنهج السياسي**، ومن **المنهج الإقليمي أو البيئي**، ومن **المنهج الموضوعي أو الفني**. فهذه مناهج القدماء في الدراسة الأدبية، وتلك تسمياتهم ومصطلحاتهم، التي يحسنُ الإبقاء عليها والاهتداء بها، لأنها تتيح المجال لبحوث جزئية تفصيلية كثيرة، تحيط بقضايا الأدب العربي في عصوره وأمصاره المختلفة، وتكشف عن فنونه وأعلامه كشفاً مبيناً.

ومن الصعب البدء في تدوين تاريخ الأدب العربي قبل هذه الدراسات الدقيقة المستفيضة، لأنها تمنع من التسرع والخوض واللغط، وتُصْحِحُ كثيراً من الأوهام، وتستدرك غير قليل من الحقائق التي خُفِيَتْ، وتساعد على أن تكون الأحكام قريبة من الصواب أشدَّ القرب، وتؤدي إلى رسم صورة واضحة وافية لا نَقْصَ فيها ولا اضطراب.

وغني عن القول أن بعض هذه المناهج قد أخذ عليها مآخذ مختلفة، أما **المنهج السياسي** فإن أشهر ما عيب به أن يربط الأدب وازدهاره وتعثره بالعهود السياسية، وسقوط دولة، وقيام دولة.

وهذا مأخذ صحيح، غير أنه لا يُقلّلُ من قيمة المنهج السياسي ولا بلغبها، ولعل التواصل بينه وبين غيره من المناهج يُخفّفُ هذا العيْبَ بعض التخفيف.

وأما **المنهج الإقليمي** فإن أظهر ما طعن به عليه أنه يُجرّدُ الأديب من ذاته ونفسه وعواطفه، ويجعله أسيراً لبيئته وظروفها.

وهذا مأخذ صحيح أيضاً، ولكن علماءنا القدماء لم يفهموا المنهج الإقليميَّ فهمَ «تين»، ولا فهمَ «الشيخ الحولي» له، بل اقتصدوا واعتدلوا في فهمه وتطبيقه أشد الاقتصاد والاعتدال، وملاحظاتهم النقدية، ومؤلفاتهم الأدبية تشهد على ذلك، فقد ذكر النقاد منهم أن للبيئة أثراً في معاني الشعر ومبانيه وصوره، واقتصروا على ذلك. وأما مؤرخو الأدب منهم فاعتمدوا المنهج الإقليمي لاتساع الدولة الإسلامية، وتعدد أمصارها، وكثرة الأدباء في كل مصر منها، ولم يجاوزوا في تطبيقه فكرة التيسير والتسهيل، ولم يريدوا في الأعم الأغلب إلا أن يحصروا أدباء كل مصر حصراً وافياً. فإذا أخذنا بفهمهم هذا للمنهج وتطبيقهم له تلافَيْنا عنه ما عيب به، وأعنانا على استقصاء الشعر والنثر في كل مصر من الأمصار التي يظن ظنٌّ أنها كانا ضعيفيْن فيها، وجلا لنا أمرهما جلاءً دقيقاً.

وأما **المناهج النقدية الحديثة**، وخاصة **المنهج الفلسفي، والمنهج النفسي**، فإنها يقومان على التحكم والتعسف والتحميل، في دراسة الأدب العربي القديم، إذ يحمّلان النص الأدبي أكثر مما يحتمل، ويستنبطان منه معاني ودلالات يبدو أنها لا تمتّ إليه بسبب، بل إنها يقطعان الصلة بينه وبين جذوره وأصوله ومصادره قطعاً تاماً. ولذلك يحسن الابتعاد عنها في دراسة الأدب العربي القديم.

ولا بد من **الاهتمام بالشعر والنثر اهتماماً واحداً متساوياً**، لأن الباحثين اهتموا في السابق بالشعر أكثر بكثير من اهتمامهم بالنثر. وإذا وسعت دائرة النثر كان ذلك أفضل، فإن الاقتصار على الخطب والرسائل والمقامات قد لا يُعْطي صورة دقيقة عن النثر العربي، ذلك أن في كتب التراث العربي الإسلامي قطعاً أدبية رائعة، ومثال ذلك كتب السيرة، والمغازي، والتاريخ، والبلدان، والطبقات، والتراجم، والتفسير، وغيرها. فإن أصحابها كانوا من علماء العربية، ومن أهل البيان فيها. ولن أستطرد في ذلك كثيراً، وحسبي أن أذكر منهم **الواقدي، وابن هشام، والبلاذري، والطبري، والمسعودي، وابن عبد البر، والزمخشري، والاصطخري، وابن خلدون**، ولو اجتزأت عنهم بمحمد بن جرير **الطبري** المؤرخ المفسر لكان في شخصيته وعلمه وبيانه ما يدل على فكره الرصين، وأدبه الرفيع، ونظره بالعربية بصراً شديداً عجيباً يكاد يفوق بصر علماء العربية المعروفين.

وأما الأدب العربي الحديث، فأكثر فنونه كالقصة والرواية والمسرحية والشعر المعاصر، سوى الشعر التقليدي، تتأثر آداب الأمم الأخرى، ولذلك لا مفر من اصطناع المناهج الأدبية الحديثة في التأريخ لها، وفي دراستها وتحليلها.

منشورة



●● إن التحديات الجوهرية التي تعرقل مسيرة الحركة الإسلامية في أساسها مادية وليست فكرية، ودينامية متطورة ومتحركة وليست يابسة أو ثابتة، نقصد أن أعداء الحركة الإسلامية ـ الدوليين منهم والمحليين ـ قد استنفدوا كل أوراقهم في مقاومة الإسلام على الصعيد الفكري، ومحاولاتهم المستمرة في تشكيكنا بجدوى الإسلام كمنهج قادر على انتشالنا من هزائمنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، تلك المحاولات قد باءت ـ بحفظ الله لدينه وقدرته على خلقه وهيمنته على العالمين ومكره على أعدائه ـ بالفشل. ولذلك، ولأنهم فشلوا فشلاً ذريعاً في المواجهة والمقاومة والتصدي الفكري للإسلام، فإنهم ـ وخاصة هذه الأيام ـ يركزون على الجانب المادي الواقعي من القضية. وهنا يكمن التحدي الجوهري والأساسي للحركة الإسلامية، وفي هذه الساحة المحددة من التحدي يتقرر نجاح الحركة الإسلامية أو عدمه ●●



خرجنا من السجن ثم الأسوف ... كما تخرج الأسد من غابها
نمرّ على شفرات السيوف ... ونأتي المنية من بابها
فإن نحن عشنا فيا طالما ... تذلل الحياة لسلطانها
وإن نحن متنا فكم قدمت ... كؤوس المنايا لشرابها

الشاعر الحي الراحل
عبد الحميد الديوي



●● إن الخوف في عالم أمة تتوارث عقيدة الوحدانية وتلتمس حقيقتها في ثقافة هذه العقيدة وتنتشي باعتزاز قوي كلما عادت بها الذكرى إليها، هذا الخوف هو في منطق التاريخ فتنة غيابها تفجير إرادة النصر، وتوثيق الصلة بالعقيدة، وتسليط الأضواء على مصادر القوة، والحريص على العودة إلى المعركة وخوضها في كل مرة بأمل متجدد ●●



●● ليس ثمة شك في أن لعامل البترول دوراً كبيراً في جعل الغرب يهتم أكثر بالعالم العربي الإسلامي، ولعله اهتمام استراتيجي أكثر من أي شيء آخر، بل إن العالم الغربي ينظر دوماً إلى الغير من منظار استراتيجية المصلحة الخاصة والكسب، ومحاولة التقرب إلى العرب إن هي في حقيقة الأمر إلا محاولة معرفة ما إذا كان هؤلاء قادرين ومستعدين لتزويد الغرب بما يحتاجه من نفط، والمحافظة بالتالي على مصالحه الذاتية.

ورغم كل ما يبرر هذه الخلفية فإنني أشعر اليوم أن ثمة رغبة متزايدة لدى الكثيرين من الغربيين لمعرفة الحضارة العربية الإسلامية وما يحيط بها من غموض وما يعتريها من ملابسات.

كيف سيتطور الأمر؟ وماذا سيحدث بعد عشر سنوات أو عشرين سنة أو أكثر؟ التاريخ وحده قادر على الإجابة ـ وإجابته ـ ستكون جاهزة في الظرف المناسب ●●

المستقبل العربي
الديوي سيكال
صحيفة (الرياض)

الوجه الجديد للفلسفة الأميريكية المعاصرة

بقلم: د. عبد الفتاح الديدي

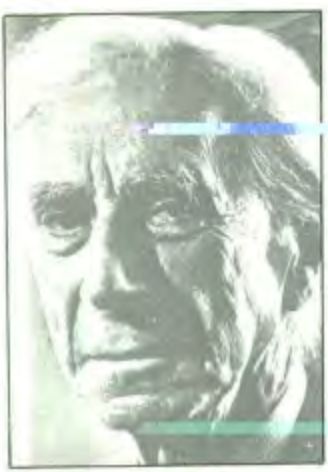
الوجه الجديد للفلسفة الأميريكية

استطاعت الفلسفة الأوروبية أن تفتحنا بأفكار خاصة عن الفلاسفة الأميريكيين، وجعلنا الأوروبيون الذين درسنا عليهم وتأثرنا بمناهجهم ننظر إلى فلسفة أميريكا بمنظارهم ونعتقد مثلهم في أن الأميريكيين ليسوا فلاسفة بالأصالة. وحجتهم في ذلك أن الفلاسفة الأميريكيين لم يمشوا على منوال المنهج الفلسفي المتبع في أوروبا، ولم يخطوا لأنفسهم نفس الخطط التقليدية التي ظلت تسيطر على الفكر الأوروبي أجيالا طويلة. **وقد رسمت فلسفة أوروبا لنفسها قنوات محددة ينبغي أن يسلكها كل من يرى في نفسه الرغبة في ارتياد هذا المجال العقلي. وليس من الضروري أن يمضي كل فيلسوف وفقاً لأرائهم وأن يتأثر بخطاهم. ولا يغفر الأوروبيون لأحد أن يخرج على الإطار الذي وضعوه أساساً للنظرة العقلية.**

موقف الفلاسفة الأوروبيين

وقد تحدد هذا الإطار الأوروبي للتفكير منذ العصور الوسطى حيث مضت كل التيارات الفكرية محبوسة داخل الأطر العقلية الاسكولائية وأصبح كل فيلسوف ملزماً بأن يتخذ نقطة البداية في فلسفته من جملة المفاهيم التي تداولها فلاسفة هذه العصور. وانتقلت عدوى الرهبنة، والزهد، والتقشف، وعدم الانغماس

وأن الفلاسفة الأميريكيين لم يمشوا على منوال المنهج الفلسفي المتبع في أوروبا ؟!



★ برتراند رسل ★

في مطالب الحياة، أو الإقبال على متعها وثرواتها إلى الفلاسفة، فتنكروا لكل ما يشغلهم عن الفكر الخالص، وابتعدوا عن وسائل الكسب الزائد، وانصرفوا عن الواقع. **وصارت الفلسفة الأوروبية تفرض على كل رجالها أن يعيشوا بعيداً عن تناول المشاكل اليومية وأن يبتعدوا عن لغة الناس.** ونقطة البداية عندهم دائماً هي فلسفة **ديكارت واسبينوزا وكانط وهيجل** فضلاً عن الاتجاهات العقلانية والنسوية والوجدانية والروحية والمادية. وعندما ألف الفيلسوف الجامعي المعاصر **ألكيه** كتابه عن **السيريالية**، حاول أن يعتذر في مقدمته اعتذاراً طويلاً كأستاذ متخصص عن تناوله هذا الموضوع. وفيلسوف آخر متحرر من أبناء هذا العصر مثل **برتراند رسل** لم يستطع أن يرى في **البراجماتيزم الأميريكية** إلا أنها فلسفة التجار. **وقال رسل إن حب الحقيقة قد خيمت عليه في أميريكا روح التجارة وهي ما يسمى براجماتيزم بلغة الفلسفة.**

رد الفلاسفة الأمريكيين

ولم يلبث الفلاسفة الأمريكيون أن ردوا الصاع صاعين لفلاسفة أوروبا وسخروا منهم بنفس هذا الأسلوب . فقال **ديوي** إننا إذا حاولنا الاعتماد على نفسية الشعوب في تفويم الفكر الأوروبي لعرفنا أن **الواقعية الجديدة** هي البناء السامي الأيديولوجي لترفع الأرستقراطية الإنجليزية .

والواقعية الجديدة هي فلسفة **رسل** نفسه . أما الاتجاه الفلسفي الفرنسي المعتمد على الثنائية في نظر **جون ديوي** فهو تعبير عن ميل شعوب الغاليين (**الجولواه**) إلى الاحتفاظ بعشيقة إلى جانب الزوجة !! أما المثالية الألمانية في نظر **ديوي** فهي مظهر العبقرية الألمانية في الجمع بين البيرة والسجق وسماع موسيقى بيتهوفن وفاجنر! .

ومن الأمور ذات الدلالة على الفوارق الجوهرية بين الفكر الأوروبي والفكر الأمريكي أن كتاب الفيلسوف **اشبنجلر** عن **أفول الغرب** لم يلق رواجاً بصورة ملحوظة في ربوع أمريكا ، وكان توزيعه محدوداً (**حوالي عشرون ألفاً من النسخ**) في حين أن مؤلفات المؤرخ **توينبي** لاقت ترحيباً كبيراً . ومرد ذلك أن فلسفة **اشبنجلر** الحضارية والتاريخية تحمل في طياتها ما يشير إلى التشاؤم في حين أن فلسفة التاريخ عند **توينبي** على ما هنا من طابع ديني تحمل دلالة إيجابية أو وضعية . والأمريكيون يفضلون العنصر الإيجابي .

ويترتب على هذا التمييز بين **اشبنجلر** و**توينبي** على ما لفلسفة **اشبنجلر** من مكانة كبيرة عند الأوروبيين ـ وتفضيل الأمريكيين للفكر النابع من فلسفة **توينبي** التاريخية . . . يترتب على هذا التقسيم بين المفريقين أيضاً في مجالات فلسفية عديدة . فالفلسفة عند الأمريكيين ليست وسيلة لتهدئة الخواطر وإرضاء الفضول وإشباع القلق ، ولم يكن لمظاهر القلق في الفكر الأوروبي سوى أثر ضئيل جداً على الفكر الأمريكي . **وذلك لأن الروح الأمريكية مشبعة بالثقة ، وحياة الضمير بالنسبة إليها هي أساس العقيدة الدينية** . ولا تزال راية الفكر الفلسفي الأمريكي ترفرف تحت اسم الديمقراطية . . . **الكلمة التي لا تبلى مهما جرى استعمالها على الألسن أو على الأقلام ، ومهما تكرر تداولها عند الفلاسفة والمفكرين** .

ولعله من أقرب المظاهر إلى الفكر الأمريكي أنه لم ينشأ في إطار الأوضاع الإقطاعية على نحو ما حدث للفكر الأوروبي . وجذور الفكر الأمريكي لم تمتد لتلحق بالمناخ **الاسكولائي** الذي عاش فيه فلاسفة أوروبا . فالأمريكيون أحرار كما قال **أليكسي دي توكفيل** في كتابه عن **الديمقراطية في أمريكا سنة ١٨٣٥م** . وهم أحرار من أي رباط نسبي ومن الأحكام المسبقة الأسرية أو الطبقية أو القومية . ولذلك لم يظهر ما يحد من تقدمهم وانفتحت أمامهم مجالات الاكتشاف الذي كان يمكن أن تعطله الدغمائية الدوجماطيقية .

الفلسفة الأمريكية

وفي سلسلة من المؤلفات التي ظهرت في فترة قريبة عن الفلسفة الأمريكية تحت إشراف **رالف وين** (سنة ١٩٥٥م) أشار أحدهم إلى أن الفلسفة الأمريكية وليدة الفراء الطلق لأنها تمثل الحياة في تنوعها ، وفي مجالاتها المختلفة التي أدت بها إلى التحرر والازدهار ، في حين أن الفلسفة الأوروبية وليدة المكتب المقفل والتدبر التالي . ويمكن القول باختصار على حد تعبير « **لودفيج ماركوزه** » إن الفلسفة الأوروبية نبات من نتاج القاعات الزجاجية لتنمية النباتات في أماكن مغلقة في حين أن الفلسفة الأمريكية كالنتاج الطبيعي من النباتات .

ويشير **لودفيج ماركوزه** إلى أنه لم يوجد فلاسفة من رهبان « **دير البورروبال** » في أمريكا ولا فلاسفة من أساقفة **هيئة توبينجن** ولا أدعياء رهبنة من أمثال **هيجل وهيلدرلين وشيلنج** الذين ورثوا منذ صغرهم الأفكار والتجارب الباطنة للمفكرين الكبار ، والذين تم تدريبهم منذ طفولتهم على فن تفتيت التصورات البالغة الدقة . وهم لم يعيشوا في الأديرة ولكن الفارق بينهم وبين رهبان الأديرة ضئيل . وكانوا يفكرون ويتأملون ويعيشون في قصور الفكر الهائلة . أما من حيث هم بشر وكائنات مادية فكانوا يعيشون كما قال **كيركجارد** عن **هيجل** في حظيرة الخنازير!! .

والأمريكيون من جانبهم لم يؤسسوا قصوراً من التصورات الفلسفية المجردة ، وعاشوا فعلاً فيما يشبه القصور ، وفضلاً عن ذلك لم يكونوا تلاميذ للرهبان . **واليوم أكثر من الأوروبيين لم يعد عندهم طابع التلمذة** .

وفي حين اتجهت الفلسفة الأوروبية إلى التغلغل إلى الأعماق من أجل إبراز المضامين الغامضة ، تملكت الفلسفة الأمريكية رغبة قوية في إعادة تركيب البنيان . ولذلك لا تزال تعتمل في ضمير الفكر الأمريكي خصائص **عصر التنوير** ، وكأنها مرحلة دائمة وقد تخطتها أوروبا خلفها منذ أجيال . ومن هنا لا تلمح لدى الأمريكيين في فلسفتهم القوالب أو الأنساق المعدة سلفاً على شكل شعارات . ولا توجد عندهم رسوم مكررة أو أنماط مصبوبة على طريقة الأوروبيين . وكما قال **سيدني هوك** سنة ١٩٥٧م ، عندما سألوه عن الفرق بين الأمريكيين والأوروبيين في التفلسف إننا نهتم بالحلول العملية أكثر مما نهتم بالخلاص ، ونعارض التجريدات الشائكة .

وهذا يعتقد الأمريكيون أنهم توصلوا إلى تحقيق ما ظل موضوعاً لتفكير الأوروبيين أجيالا طويلة . فقد اتجهوا إلى جانب التحقيق العملي

بالنسبة إلى الأفكار التي ظلت مخزونة في عقول الأوروبيين وكتبهم . وجعلوا الدراسات الفلسفية الخالصة في أقسام الفلسفة تهتم بالمنطق أكثر من اهتمامها بما عداه من أفرع الفلسفة . ومن هنا شهدنا التحول الضخم الذي ساد الفكر الأميركي ممثلاً في فلسفة **شارلز بيرس ، ووليام جيمس ، وجون ديوي ، وفان أورمان كواين** . فهؤلاء جميعاً خصصوا للمنطق معظم أوقات تفكيرهم وصفحات كتبهم وأوقفوا عليه جهودهم ومحاضراتهم .

ولم يظهر الإنسان كموضوع للتفكير الفلسفي الأميركي إلا من خلال العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية . واعتبر الأميركيون تخطيهم لمشاكل الوجودية الأوروبية نوعاً من النضج والاكتمال الصحي . **فليس الأميركيون من هواة بناء المذاهب الشاخة أو من أشياع الهدم العاطل** . وفي حين اعتادت أوروبا الغوص في الأسئلة الفلسفية المتكاملة عمد الأميركيون إلى الاتجاه مباشرة نحو الفلسفات المتواضعة . واختص **بيرس** بدراسة المنطق ، ونظرية المعرفة ، وعلم مناهج العلوم ، والسيانتيك أو فقه اللغة . ويسمي الأميركيون المرحلة الحاضرة مرحلة التفكيك . . . **تفكيك التصورات الأساسية وتحليل الأفكار الكبيرة وتشخيص الظواهر الحضارية . حتى العقيدة الدينية حولوها إلى صيغة عمل إيجابي . وقال ديوي إن الإيمان فعل** .

فلسفة ديوي

وقرر **ديوي** أن الفكر عضو مثل أعضاء الإنسان الأخرى . فهو أداة من أجل تحقيق شيء كما تفعل اليد والأسنان . وظهر بذلك مفهوم **الأداتية** الذي أصبح يشير بوضوح إلى موقف **جون ديوي** ، ويطلق على مذهبه الفلسفي . ولا ينبغي أن نفهم موقف ديوي بوصفه أسلوباً تقليدياً في إخضاع الفلسفة لمعايير المنطق على النحو التقليدي وإنما تؤخذ البراجماتية عنده بوصفها جهازاً استطلاعياً في مقدمة المذهب النظري من أجل المواجهة وتفتيت الصعاب . **فليست النظريات ردوداً وإجابات على معضلات عقلية ، وإنما هي أبنية ، ينبغي استخدامها كأدوات ، وينبغي استعمالها كوسائل لتحقيق الأغراض الموضوعية والعملية** .

وأراد **ديوي** أن ينزيل عن أذهاننا كل الأفكار المسبقة ، والأحكام الموروثة عن مفهوم **الشيء العملي** ، فقد اعتاد الفلاسفة السابقون أن ينظروا نظرة شك وارتياب إلى كل ما هو عملي . وأحس ديوي بأن هناك كثيراً من سوء الظن وسوء الفهم لهذا التعبير . وقال **ديوي إنه من السهل أن نخرج أسطورة إلى العالم ، ولكن من أصعب الأمور أن نقوم بعد ذلك بطردها من العالم** .

وحارب **ديوي** كل التفسيرات الرديئة . وقال إن البراجماتية فكر يشرح التفكير بمؤدياته العملية ، سواء كان ذلك في مجال فلسفة الجمال ، أو الأخلاق ، أو السياسة . وحدد **ديوي** معالم فلسفته الأداتية بأنها تتميز في مجال نظرية المعرفة بأنها اسمية ، وتتميز في مجال علم النفس بأنها إرادية ، وتتميز في الكونيات بأنها فلسفة الطاقة ، وتتميز في الميتافيزيقا بأنها لا إرادية ، وتتميز على المستوى الأخلاقي بأنها مآربية .

والاسمية هي أحد الاتجاهات الرئيسية التي طبعت الفلسفة في كل العصور الوسطى والحديثة والمعاصرة وهي الاسمية والواقعية الأفلاطونية والتصويرية . **والاسمية هي السمة الغالبة على كل فكر لا يتطلع إلى الأشياء في الواقع وإنما إلى أسمائها وتعريفاتها وصفاتها** . وتطلق الاسمية العلمية على المذاهب الحديثة التي تتمسك بمسميات الأشياء ومقدار النجاح الذي تحرزه في المجال التجريبي ، أو بعبارة أخرى تحصر الاسمية اهتمامها في المؤديات العملية لكل مسمى من المسميات . **أما المآربية فهي تحقيق التعامل الخلق على أساس المصلحة العامة . والمآرب هو الهدف العام للمجتمع في إسعاد الناس بالتعامل الحكم** .

وكان كل من **بيرس وجيمس وديوي** براجماتياً ولكنهم اتصفوا بهذه الصفة من حيث المنهج الذي اتبعوه . ويتلخص هذا المنهج في تحديد التصورات والنظريات من حيث تطور مؤدياتها ومن حيث ما يترتب على نتائجها . ولكنهم بالرغم ذلك لم يكونوا براجماتيين وحسب ، وكان لكل منهم طابعه الخاص به ،



★ أرشيف تويتي ★



★ فردريك نيتشه ★

ومواقفه المختلفة عمن عداه . وهذا أصبحت البراجماتية موقفاً عقلياً ، أو سمة من السمات التي تسيطر على اتجاه فكري عام شأنها شأن المثالية ، والواقعية ، والتصورية . **فهي مجرد خاصية عامة تميز ملامح التفكير .**

واقتصرت مهمة الفلسفة في نظر **ديوي** على أمرين :

● **أولهما** أن تقوم بدور ضابط الاتصال بين مختلف مجالات الثقافة .

● **وثانيهما** أن تقوم بتغيير العالم الخارجي بحيث تؤدي إلى ظهور الفرد المتحرر عن طريق التعليم والتربية . وليس من شأن الفلسفة في نظره أداء مهمتها من حيث تقديمها لصورة عن العالم . فهذا هو ما تحاشاه **ديوي** في فلسفته . ولا يعني ذلك أن الأمر لم يكن يهمه ، أو أنه كان يعتقد بأنه لا أمل في بلوغ الفلسفة هذا الغرض ، وأن مشروعها ذاك لا يحقق خيراً من وراءه . ليس هذا هو موقف ديوي . بل رأيه في هذه النقطة يتلخص في أن أهم سمة مميزة للبراجماتية هو نظرتها إلى فكرة الحقيقة بوصفها نظرية عامة غير ممكنة ، أو مستحيلة وغير ضرورية بشكل من الأشكال . **وما كان يعتبر حاجة ميتافيزيقية يحتاج الإنسان إليها في نظر كانط ليست سوى نزوة .**

أما الحقيقة عند **ديوي فهي** مجموعة الحلول الموقفة لمجموعة المشاكل العملية في حياة الإنسان . وتنحصر هذه الحقيقة في المجالات الأخلاقية والاجتماعية حيث تتألف من مواقف عديدة يقال عن كل منها إنه موقف صحيح . والفكرة الصحيحة هي التي ترشد صاحبها في مرحلة السلوك ، بحيث يمكن أن يوصف بأنه سلوك صائب . وكل ما هو صائب هو بالضرورة ما يؤدي إلى توجيه موفق في حياة الإنسان . والتنفيذ الفعلي الناشئ عن هذا التوجيه الموفق هو ما نسميه الصواب . **وتتألف الحقيقة من جملة مواقف صائبة ، ولذلك فهي ذات حركية معينة ، وتظهر مع كل إنسان بالنسبة إلى العديد من المشكلات التي يواجهها ويرغب في حلها .**

والمدرسة في نظر ديوي هي المعمل الذي يمكننا أن نجري فيه التجارب الحاسمة التي تهدف إلى نمو التنظيم الإنساني الأفضل والأوسع . ولهذا جعل ديوي من التربية مجال الفكر الأرحب لمعالجة القضايا الفلسفية وأصبحت التربية مسرحاً لفلسفته العامة . وقال : **إن التعريف الأكثر دلالة الذي يمكننا اعطاؤه للفلسفة هو أنها نظرية التربية في منحاها العام** . ولا يعني هذا أن الفلسفة ملزمة بالتوجيه وحسب ، بل وأنها ملزمة كذلك بإعطاء التوجيه البالغ الأهمية فيما يتعلق بالفرد ، فالتوجيه تعطيه أكثر أهمية بالنسبة إلى الفرد ونجعله في المقام الأول على التوجيه بالنسبة إلى الجماعة .

وتقدم **ديوي** في هذا الصدد بفكرة أصيلة من أهم أفكاره الفلسفية وهي أنه لا يمكن تمييز المسالك الساقطة والسفلى من الحضارة السامية ، كما لا يمكن تمييز المسلك العملي السفلي من الفكر السامي . أو بعبارة أخرى يصعب أو يستحيل أن نفصل بين الأفعال الدنيا ذات الفائدة المحققة ، والمستويات الحضارية السامية ، كما تستحيل التفرقة بين التصرفات الدنيا العملية ، وبين المستويات الفكرية السامية . لقد ظهرت هذه التفرقة وذاك التمييز في المجتمعات السابقة نتيجة الانفصال الذي كان قائماً فيها بين الطوائف التي تقوم بالأعمال الفكرية ، وبين الطوائف ، التي كان عملها قاصراً على أداء الأعمال اليدوية على المستوى الاجتماعي . **وجعل ديوي لنفسه رسالة محددة وهي القضاء على التفرقة بين النافع والعملي** . وأراد أن يعيد تقويم الفائدة والفعل من جديد بحيث تحتفي القيم العالية في المجتمع ، ويعود الناس إلى الإيمان بأنه لا يمكن فصل المفيد النافع من الفعل على المستويات السامية والدنيا في الحضارة الإنسانية . ولا يوجد تخصص عقلي بحت كما لا يوجد تخصص عملي بحت . **ونظم ساعات الدراسة بالمدرسة على هذا الأساس حتى يزيل هذه المفاهيم التقليدية التي تفصل بين المستويات الدنيا والسامية .**

والواقع أن رفض **ديوي** للتربية القديمة يمثل جزءاً من رفض السيطرة الأوروبية على مظاهر الثقافة بعامة ، وعلى الأساليب العقلية بخاصة . فقد خضعت أمريكا في القرن الماضي ، وأوائل هذا القرن لمؤثرات أوروبية شديدة في التعليم ، وفي الثقافة ، وفي الفلسفة . وحاول الأمريكيون أن يقفوا بكل قواهم ضد التيارات الأوروبية التي نفذت إلى كل أوجه الحضارة ، وصبغتها بصبغتها العقلانية ، وأرادوا أن يتخلصوا من القوالب الجامدة ، والأفكار المصبوبة ، وأن يدفعوا بعجلة التقدم إلى الأمام . وتأثروا فيما تأثروا به بآراء **نيتشه** التي ذهب فيها إلى القول إن **الإغريق** لم يتعلموا في مدارس مقفلة ، وإنما في مدارس في الهواء الطلق ، حيث كانوا يتعلمون من الطبيعة مباشرة ، ولا يخضعون للأفكار التقليدية . ووضع **ديوي** عبارته المشهورة التي أراد أن يعدل بها مسار الفكر والتعليم بأمريكا على أساسها وهي « **الحرية لصالح المبادرة والابتكار والدهشة والفضول** » .

ويسمي ديوي المعتقد الفلسفي الجديد باسم « **فلسفة التجربة** » . وأراد عن طريقه أن يحافظ على الطابع الأصيل الخاص بالمنهج الذي أسسه **بيرس** ولكنه أضاف إليه التناسق والاكمال ، ونصب من نفسه مدافعاً أمام كل الهجمات ، ورفض كل التفسيرات السيئة للمبدأ الفلسفي الذي اعتنقه .

مدينة وتاريخ



★ منظر عام لمدينة بيروت، ويبدو منطقة الفنادق الفخمة ★

بيروت أم الشرائع

بقلم: ريمون الكك



★ بيروت من الجبل ★

الفيصل العدد (٦٢) ص ٣٥



★ ساحة الشهداء ★

بيروت
أم الشرائع

★ مرفأ بيروت ★



بيروت عاصمة لبنان، وقلبه النابض، تقعد على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في أجمل موقع وأبدع مشهد.

دعيت في عهد الرومان «أم الشرائع»، وما زالت إلى اليوم مدينة العلم يفد إليها طلاب العلم والثقافة من الدول العربية والغربية. وهي، إلى ذلك تشكل الصلة ما بين الشرق والغرب.

إنها مدينة حديثة بعمرانها، جميلة بشوارعها، زاهية بأسواقها، ذواقة بمقاهيها[1].

إلا أن الحداثة التي عرفت بها، في نواحيها العمرانية والاجتماعية، لم تكشف حتى عراقتها في "التاريخ"، بل هي قمة الهرم لتطور عظيم يضرب بجذوره إلى أقدم العصور.



★ صخرة الروشة على الساحل السياحي ★ ★ بيروت على الخارطة ★



الموقع .. والحدود

تقع بيروت على الشاطئ الشرقي من البحر الأبيض المتوسط. يحدها البحر من الشمال والغرب، وساحل جبل لبنان جنوباً وشرقاً.

تقوم المدينة فوق هضبة بشكل رأس يمتد في البحر مسافة تسعة كيلومترات، وترتفع عن سطح البحر من الجهة الجنوبية الغربية، ثم تنخفض انحدارا تدريجياً إذا ما اتجهنا إلى الجهة الشرقية[٢].

وتقع المدينة في إقليم معتدل المناخ، فلا يلحق بسكانها أذى البرد القارس شتاءً، ولا الحرارة الشديدة صيفاً، فضلاً عن قربها من الجبل إذ يتمكن أهلها من التمتع بنسيمه العليل.

لماذا سميت «بيروت»؟

لم يتفق المؤرخون على جذور هذا الاسم. فالمؤرخ الفينيقي «**سنكن يثُن**»، الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، يذكر أن الإله «إيل» وهو أول ملوك جبيل، اتخذ له زوجة الإلهة المدعوة «**بيروت**» ثم بنى جنوبي جبيل مدينة دعاها باسم زوجته بيروت. **وهكذا تكون بيروت مدينة من بناء الفينيقيين.**

ورجح بعض المؤرخين اشتقاق اسم بيروت من الآرامية «بَروتا»، ومعناها الصنوبر لوجود هذه الأشجار منذ القدم في جوار المدينة.. وهناك من قال بأن بيروت كلمة عبرانية تفسيرها الآبار، لكثرة الآبار التي



حفرها الأقدمون في أحيائها[٣] .. وخلاصة القول : لم يتفق العلماء على أصل الاسم ، فتعددت الآراء في هذا المضمار .

بيروت الفينيقية

بيروت مدينة بناها أهل جبيل حوالي سنة (٣٠٠٠) قبل الميلاد ، وهذا ما اتفق عليه المؤرخون كافة . فقد جعلها الجبيليون مملكة مستقلة متاخمة لمملكتهم . وقد أدى تعدد الممالك الفينيقية الساحلية ، مع صغر مساحتها ، إلى منازعات فيما بينها . فحاولت مملكة صيدون مراراً السيطرة على أهل بيروت ، لكنها لم تتمكن من تحقيق مرادها .

إلا أن استقلال المدينة لم يعمّر طويلاً . فالغزاة القادمون من بلاد ما بين النهرين تارة ، ومن وادي النيل تارة أخرى ، سيطروا على البلاد السورية ، وكذلك على بيروت .

في ظل الفراعنة

خضعت المدينة ، كسائر المدن الفينيقية القديمة ، مدة طويلة للحكم المصري . فقد سيطر عليها الفراعنة في القرن السادس عشر قبل الميلاد (بدءً من سنة ١٥٨٠) . ويصف أحد ملوك جبيل في رسائله إلى فرعون مصر مدينة بيروت على أنها ميناء بحري هام ، ويتحدث عن سفنها التجارية وبوارجها الحربية . ثم يصف أحد أمراء بيروت المدعو « **أمونيرا** » المدينة فيقول إنها مدينة منيعة ، ومقامها عال ، وتجارتها مزدهرة[٤] .

في عهد الآشوريين والفرس واليونان

قام الآشوريون بحملات إلى بلاد الشام وفينيقية . « ومن المرجح أن بيروت عند مرورهم في أربعاعها فتحت لهم أبوابها سلماً مفضلة أداء الجزية مع الأمان على فتحها عنوة »[٥] .

واشتهرت المدينة ، أثناء السيطرة الفارسية عليها في أواسط القرن السادس قبل الميلاد ، بصناعة السفن لكثافة الغابات في جبال لبنان .

ولما بدأ نجم الفرس بالأفول ، سعت المدن الساحلية إلى الاستقلال ، وحاول البيروتيون الاستقلال ، لكن التنازع على حكم بيروت اشتد ما بين جبيل وصيدون .

وبعد انتصار **الإسكندر المقدوني** على الفرس ، دانت بيروت لسلطته . وفي القرن الرابع قبل الميلاد ، زار بيروت سائح يوناني يدعى « **سيلاكس** » وذكر « أن بيروت مدينة ومرفأ » ، ولم يزد على ذلك شيئاً .

في عهد السلوقيين

بعد وفاة الإسكندر المقدوني ، سيطر قواده على المدينة . فترجحت السيطرة بين **بطليموس** سيد مصر و**سلوقس** ، وسيطرت السلالة السلوقية نهائياً بين ١٩٨ ق . م . إلى ١٧٥ ق . م .

وفي عهد هذه السلالة ، ازدهرت في بيروت الحضارة الهيلينية ، وأداتها اللغة اليونانية ، بين الخاصة . وشيّدت الأبنية الفخمة والهياكل التي ازدانت بالتماثيل[٦] . وسكّت في هذا الزمن النقود التي دلت على الاستقلال الإداري .

ازدهار بيروت في عهد الرومان

سيطر الرومان على بلاد الشام سنة ٦٤ قبل الميلاد ، وأقصوا السلوقيين عن سائر المدن الفينيقية بما فيها بيروت . وقد حازت هذه المدينة مكانة خاصة فكانت أقدم مستعمرة رومانية . وغدت ، في عهد الرومان ، مركزاً إدارياً مهماً ، ومدينة الثقافة والعلم ، ومحطة تجارية[٧] .

الامتيازات في عهد أوغسطس قيصر

أصدر الإمبراطور الروماني أوغسطس قيصر قراراً تولى بموجبه القائد

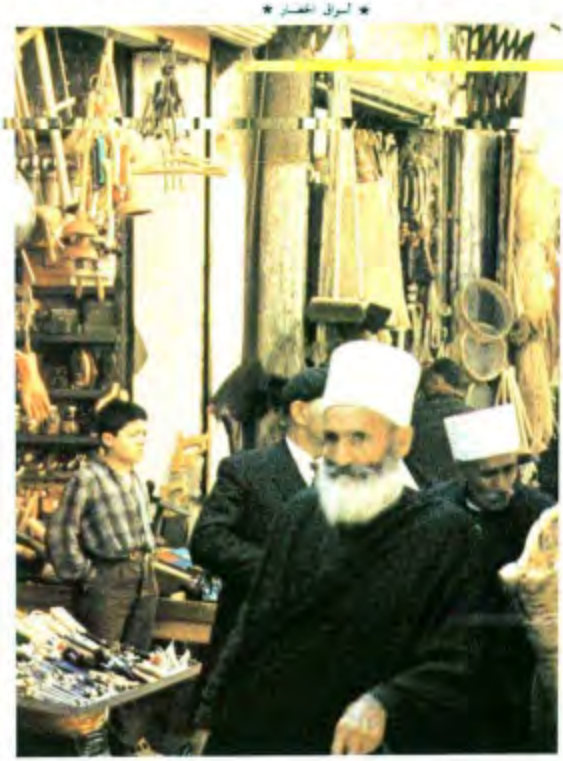




★ جامع الأمير منصور عساف ★

«**مرقس أغريبا**» أمر بيروت . واهتم هذا القائد بالمدينة ، فاختارها لتكون معسكراً لبعض الجيوش الرومانية . ثم منحها **أوغسطس قيصر** امتيازات المستعمرات الرومانية في السنة ١٥ قبل الميلاد . فقد أطلق هذا الإمبراطور على المدينة لقب «مستعمرة جوليا أوغسطا السعيدة ، بيروت» (Colonia Julia Augusta Felix Berytus) وذلك تيمّناً باسم ابنته جوليا . كما أنه ضرب باسمها نقوداً بيروتية . وتمتع السكان بامتيازات

★ أسواق الحمدار ★





★ الجامع العمري الكبير من الداخل ★

وحقوق يمنحها القانون الروماني ، كالحكم الذاتي ، والإعفاء من ضريبة الرؤوس وضريبة الخراج . وفي القرن الثالث الميلادي ، ألغيت هذه الامتيازات بعد أن أصدر **الإمبراطور «كركلا»** قانوناً منح بموجبه المواطنية لجميع المواطنين الأحرار في إمبراطوريته[٨] .

العمران في عهدي أغريبا الأول والثاني

كرّم **أغريبا الأول** بيروت وجمّلها بتشييد مسرح فاق بجماله وفخامته مسارح المدن المهمة . وبنى ميداناً فخماً يُظنّ أنه على شاطئ البحر بقرب ميناء الحصن المعروف بخان الصاغة ، وحمامات عامة ومعاهد أنفق عليها مالاً وفيراً . وبعد إتمام هذه المباني ، دعا الأهلين إلى حفلة التدشين حيث أقيمت الحفلات الموسيقية وألعاب المبارزة[٩] .

أما **أغريبا الثاني** فسار على خطى والده في تزيين بيروت رغم أنه تولى بلاد البقاع . وقد بنى قصراً ليقيم فيه ، ومسرحاً فخماً لإقامة الحفلات

★ شارع ويغان ، والمبنى البلدي ★





التمثيلية السنوية . وأقام التماثيل ورفع الصور التي رسمتها أيدي الفنانين القدماء ، وشيّد في المدينة أربعة وستين ناديا جديداً .

ومن هذه المباني بقي أعمدة وأسوار ضخمة ورؤوس منتشرة في أنحاء المدينة . وتتصف بمقياس ملحوظ جدا .

مركز معهد الحقوق

ذاعت شهرة بيروت كمركز ثقافي هام . فقد أنشئ فيها أشهر معهد روماني للحقوق في الإمبراطورية خارج إيطاليا . وقد تخرّج من هذا المعهد القضاة والحكام في المقاطعات الشرقية للإمبراطورية .

ويُرجح أن مؤسس هذا المعهد هو **الإمبراطور « سبتموس سفيروس »** (١٩٣م ـ ٢١١م) . واحتل المعهد مركز الصدارة ، وتحول إلى مركز فكري جمع أبرز المشترعين الرومانيين أمثال **« بابنيانوس »** (Papinien) الفقيه الشهير الفينيقي الأصل ، و **« أولبيانوس »** (Ulpien) المشهور . وحذا **الملك « ديوقليسيانوس »** حذو سابقيه في الحقوق في بيروت من الضرائب العمومية ، مما أثر إيجابياً في رواج دراسة الحقوق .

ولما ملك « يوستنيانوس » في القسطنطينية ، صمّم على تنظيم الشرائع الرومانية وحصر أبوابها ، فاختار لجنة من أبرز الفقهاء لتقوم بهذا العمل كان من بين أعضائها ثلاثة من معهد بيروت[١١] . لذا فضل يوستنيانوس المدينة اللبنانية على غيرها ، وكان يلقبها « أم الشرائع ومُرضعتها » . وما كاد القرن الخامس الميلادي يشرف على نهايته حتى غدا هذا المعهد جامعة تضم كليات عدة : الآداب ، الفلسفة ، والقانون .

ثم أصيبت بيروت بزلزال عنيف سنة ٥٥١م ، أدى إلى خسارة في الأرواح والممتلكات ، منها تهدم بناء معهد الحقوق[١٢] . عندئذ ترك أهالي بيروت مدينتهم وأنشأوا مدينة جديدة في **منطقة خلدة** .

بيروت العربية

ومع الفتح العربي دخلت بيروت في حكم العرب في أيام **الخليفة « عمر بن الخطاب »** . وأخفت المدينة بجند دمشق ، وعرفت بأنها مرابط أهل الشام تصد غارات المعتدين .

وحوالي السنة ٦٦٣م ، صمم **« معاوية بن أبي سفيان »** على تحصين المدينة ، فاستدعى جاليات من الفرس ليستوطنوا المدن الساحلية ومنها بيروت . وهدف معاوية من هذا العمل إلى رد غزوات أساطيل

الروم إذا ما هبت الرياح . ومنذ ذلك الوقت بدأ المسلمون يتكاثرون والروم يهجرونها تدريجياً حتى أصبح أكثر أهلها من المسلمين[١٣] .

وفي زمن الخلافة العباسية ، غدت أخبار المدينة نادرة . وقد زارها **الخليفة « أبو جعفر المنصور »** وأبدى إعجابه **« بالإمام الأوزاعي »** الذي كان يخطب في المسجد . ومن آثار بيروت في هذه الفترة مقام الإمام الأوزاعي الذي ما يزال حتى اليوم قائماً في جنوب المدينة[١٤] .

وفي القرن التاسع ، أعلن **« أحمد بن طولون »** عامل الخليفة العباسي استقلال مصر . ثم وجّه جيوشه واحتل فلسطين وسورية الداخلية وبيروت (٨٧٧م) . وقامت فيها بعد **دولة الإخشيديين في** القرن العاشر وسيطرت عنوة على بيروت وهيبت المدينة (٩٧٤م) .

وفي نهاية القرن العاشر (٩٩٤م) ، سيطر الفاطميون بعد زوال الإخشيديين على بيروت ، واستمر حكمهم حتى سيطرة السلاجقة الأتراك على سواحل الشام وبيروت .

في عهد الصليبيين

أوكل السلاجقة حكم بيروت إلى أحد الأمراء التنوخيين . ولما سيطر الصليبيون على قسم مهم من سواحل الشام بلغوا مدينة بيروت في أيار (مايو) ١٠٩٨م . عندئذ طلب حاكم دمشق السلجوقي من المهاجمين الصليبيين الكف عن إيذاء المدينة . فهدأ الوضع بعد أن نال الجنود الصليبيون حاجاتهم من القوت والذخيرة بأسعار معتدلة[١٥] .

ثم حاول الصليبيون احتلال بيروت ، لكنهم فشلوا . وعند دخول الجند إلى المدينة أعملوا فيها النهب والسلب وهلك عدد لا يستهان به من المسلمين ، وهرب بعضهم إلى جزيرة قبرص[١٦] .

وفي السنة ذاتها ، بنى **الملك « بغدوين الأول »** كنيسة كبيرة على اسم القديس « يوحنا المعمدان » . وعندما عادت المدينة إلى الحكم الإسلامي عام ١١٥١م ، أصبحت الكنيسة مسجداً يُعرف اليوم **بالجامع العمري** ، وهو أكبر جامع في العاصمة[١٧] .

صلاح الدين في بيروت

حاول السلطان **صلاح الدين الأيوبي** سنة ١١٨١م ، انتزاع المدينة من الصليبيين . لكن الصليبيين تمكنوا من إبعاده . وبعد انتصاره **في واقعة حطين** في فلسطين سنة ١١٨٧م ، توجه صلاح الدين إلى بيروت وحاصرها ثمانية أيام . في هذا الوقت طلب الصليبيون الأمان وخرجوا إلى صور . وهكذا دخلت بيروت في سلطانه ، فأوكل أمرها إلى أحد رجاله .

عودة الصليبيين

بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٩٤م[١٨] ، قرر الصليبيون السيطرة على المدينة . فتحركوا من **عكا** في اتجاه بيروت ، فحصلت عدة

مناوشات في نواحي صيدا . ثم أكمل الصليبيون طريقهم إلى بيروت ، فخرج منها حاكمها وجميع من معه من المسلمين ودخلها الصليبيون سنة ١٠٩٧م ، واطلقوا عليها اسم [illegible] .

باشر الصليبيون بعد سيطرتهم هذه المرة بتحصين بيروت ، فرفعوا أسوارها ودعموا أبراجها بحيث أصبحت مدينة منيعة . واهتموا بفتح المدارس فأنشأوا المعاهد كما ركّزوا اهتمامهم على التجارة بين الشرق والغرب ، فكانت تصل إلى مرفأ بيروت سفن **البندقية وجنوى وبيزا** حاملة إليها بضائع أوروبية وناقلة منها محصولات بلاد الشام .

في عهد مماليك مصر

سارت جيوش المماليك من مصر لاحتلال الساحل الفلسطيني واللبناني . وفي أثناء حصار المماليك لمدينة عكا ، أرسل أمير بيروت الصليبي إلى **الملك «الأشرف خليل»** سلطان المماليك يطلب منه الأمان ، فأجابه إلى طلبه . ثم بعث الأشرف **الأمير «سنجر الشجاعي»** ليضع يده على المدينة في تموز (يوليو) ١٢٩١م . وقام هذا الأمير بهدم سور المدينة وقلعتها ، وأرسل أهل المدينة إلى مصر وهناك أطلقهم السلطان حسب الأمان الممنوح لهم من قبله[١٨] .

وقد عهد المماليك إلى **الأسرة التنوخية** بحماية الشاطئ ضد هجمات الإفرنج . وقامت هذه الأسرة بتشجيع الحركة التجارية بين ميناء بيروت وجزيرة قبرص . وقد سُمح للتجار الأوروبيين ببناء الخانات والحمامات ، فارتفع عدد سكان المدينة إلى عشرة آلاف نسمة[١٩] . وهكذا توطدت الصلات بين بيروت والممالك الصليبية وبعض بلدان أوروبا . . ومن الناحية الإدارية ، تبعت بيروت نائب السلطنة في دمشق ، واعتبر حاكمها برتبة أمير[٢٠] .

في ظل الحكم العثماني

ظلت بيروت في يد مماليك مصر حتى كانت **معركة مرج دابق** سنة ١٥١٦م . ففي هذه السنة تمكن **السلطان سليم الأول العثماني** من الانتصار على دولة المماليك ، وضم إلى دولته العثمانية مصر والشام وغيرها . [illegible] ومن ضمنها بيروت التي أصبحت إحدى سناجق دمشق العثر . وفي بداية العهد العثماني ، حصل في المدينة غلاء ومجاعة بسبب الاضطرابات ، وظهر الجراد مما سبّب ارتفاعاً في الأسعار . وظل ميناء بيروت صالحاً وهذا ما أثار مطامع الأمراء المعنيين ، وبني عساف فبادروا إلى فرض سيطرتهم عليها .

وفي عهد **الأمير قرقماز** المعني الذي حكم إمارة الشوف بين ١٥٤٤ ـ ١٥٨٤م ، أسندت الدولة العثمانية حكم بيروت إلى **الأمير «منصور عساف»** ، فحكم المدينة مدة من الزمن وبنى فيها قصراً ثم جامعاً نُسِبَ إليه .

في عصر فخر الدين المعني الثاني

تولى هذا الأمير حكم إمارة الشوف بين ١٥٩٠ ـ ١٦٣٥م ، ودخلت بيروت في نطاق حكمه سنة ١٥٩٨م . واعتنى الأمير المعني بالمدينة ، فعمل على تحصينها وتجميلها مستعيناً بالخبراء الطليان . وقام بترميم ما تخرب من أبنيتها ، وأعاد تشجير غابة الصنوبر . واختار هذا الأمير بيروت مقراً شتوياً له بدلاً من صيدا . وبنى له قصراً فخماً تحيط به حديقة كبيرة ، وأنشأ الحمامات والأسواق . وعهد المعني بهندسة هذه المباني إلى مهندسَيْن إيطاليَيْن اسمهما «**تشيولي**» (Cioli) و «**فاني**» (Fagni) . وغدت المدينة في عهد فخر الدين الثاني «مزدانة برونق جديد كان يستوقف أنظار القادمين إليها من السيّاح»[٢١] . وازدهرت الحركة التجارية بفضل السفن الفرنسية والإيطالية والهولندية التي كانت تنقل إلى بيروت محاصيل البلاد الغربية ، وتشحن منها الإنتاج الشرقي لا سيما الحرير والمنسوجات .

بعد وفاة الأمير المعني ، تولى حكم بيروت ابن أخيه الأمير ملحم الذي استمر في حكم المدينة قرابة عشرين سنة . ثم عمدت الدولة العثمانية إلى تعيين والٍ على المدينة لقهر الأمراء اللبنانيين .

أحمد باشا الجزار

إن أبرز ما تميزت به هذه المدينة هو الصراع الذي نشأ بشأنها بين **الأمير يوسف شهاب وأحمد باشا الجزار** والي صيدا وعكا . فقد عيّن الأمير الشهابي أحمد الجزار متسلّماً على بيروت . فتحصن الجزار في المدينة وأعلن العصيان على سيده . فاضطر الأمير يوسف إلى طلب النجدة من الأسطول الروسي الذي قدم وقصف المدينة وحاصرها لمدة أربعة أشهر . وعندها عاد الجزار إلى الطاعة ، وخرج سالماً مع أتباعه ، وعادت بيروت إلى الأمير يوسف سنة ١٧٧٢م .

وفي السنة ١٧٧٦م ، عاد الجزار واستولى على المدينة . فهدم قصور الشهابيين فيها ورمم بحجارتها سور المدينة ، وقطع الأشجار في ضواحي بيروت . وقد أثرت أعمال الجزار سلباً على المدينة ، فهجرها قسم من السكان وخمدت الحركة الصناعية فيها وكسدت التجارة .

★ متحف سرسق ★







بيروت في القرن التاسع عشر

بعد كساد التجارة في عهد الجزار، عادت بيروت إلى ازدهارها أيام خلفه **سليمان باشا** والي صيدا. إذ أصبحت الميناء الرئيسي، ومقر القناصل، ومركزاً للإرساليات التبشيرية والتعليمية من أميركية وفرنسية وإنكليزية، ومركزاً تجارياً يقصده التجار من أوروبا.

وخلال سنتي ١٨٣١ ـ ١٨٤٠ م، سيطر المصريون على بلاد الشام وعملوا على تنشيط التجارة ونشر الأمن، ثم سلّموا أمر المدينة إلى **الأمير محمود نامي** (١٨٣٣ ـ ١٨٤٠ م) الذي عمل في سبيل رقيّها. ففي هذا العهد أنشأ المصريون مجلس شورى بيروت، وديواناً للصحة، وآخر

[redacted]

وفي هذه الفترة أخذت بيروت في الاتساع. فبعد أن كان عدد سكانها حوالي خمسة آلاف نسمة عام ١٨٠٥ م، ارتفع هذا العدد إلى تسعة آلاف سنة ١٨٣٠ م[٢٢]، وإلى ستة عشر ألفاً خلال السيطرة المصرية. وهذا ما دفع السكان إلى بناء البيوت خارج أسوار المدينة، أي في مناطق **زقاق البلاط، والخندق الغميق، وطريق الشام، والزيتونة**. وما إن أطل العام ١٩٠٠ م، حتى بلغ عدد سكان هذه المدينة حوالي خمسة وسبعين ألف نسمة[٢٣]. وتباهت بيروت بأسواقها الأوروبية، فكان أصحاب الحوانيت من المالطيين والإيطاليين ومن المدن الإيونية، وأنشأ الإيطاليون واليونان فنادق عرفت باللوكندات.

وغدت المدينة مركزاً ثقافياً هاماً. فقد أنشأ المرسلون الأميركيون مدرستين، ونقلوا مطبعتهم من **مالطة** إلى بيروت سنة ١٨٣٤ م[٢٤]. وكذلك فعل اليسوعيون الذين وصلوا المدينة سنة ١٨٣١ م، فأنشأوا ثلاث مدارس، ثم **المطبعة الكاثوليكية** سنة ١٨٤٨ م. وأنشئت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر «**الجامعة الأميركية في بيروت**» وذلك سنة ١٨٦٦ م، وقد دعيت في أول عهدها **المدرسة السورية الإنجيلية**. ثم أنشأ اليسوعيون «**جامعة القديس يوسف**» سنة ١٨٧٥ م.

وفي هذا الوقت، انتشرت في أنحاء **لبنان** مدارس أجنبية، وكان هذا حافزاً للبنانيين على إنشاء مدارس وطنية. وقد تأثر الوطنيون [redacted] بها المرسلون الأجانب.

وأقام المسلمون معاهد للعلم جليلة الشأن. وقد شهدت بيروت طائفة من المدارس الإسلامية أسهمت في إطلاق النهضة قدماً. وفي المقدمة نذكر «جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية» التي كان لها اليد الطولى في نشر العلم في صفوف

المسلمين. وقد تأسست هذه الجمعية في شعبان ١٢٩٥ هـ/ تموز (يوليو) ١٨٧٨ م[٢٥]، بهمة الشيخ «عبد القادر القباني» [redacted] وقد انشأت الجمعية بعد مضي شهرين مدرسة للبنات في بيروت ثم مدرسة ثانية. وأكملت الجمعية نشاطها بإنشاء مدارس البنين الابتدائية[٢٦].

وقامت «**الكلية العثمانية الإسلامية**» التي أدارها نخبة من الأدباء البيروتيين ووجهاء المسلمين برئاسة **الشيخ «أحمد عباس الأزهري»**[٢٧].

بيروت ولاية

وعند صدور نظام لبنان الأساسي سنة ١٨٦١ م، وضعت بيروت تحت إشراف الدولة العثمانية ثم جعلت متصرفية سنة ١٨٦٤ م. وفي أواخر القرن التاسع عشر (١٨٨٨ م)، فصل **السلطان العثماني عبد الحميد الثاني** مدينة بيروت عن ولاية دمشق وجعلها ولاية منفردة ألحقت بها متصرفيات اللاذقية وطرابلس وعكا ونابلس.

بيروت الحديثة والمعاصرة

في أوائل القرن العشرين، توالى على ولاية بيروت عدة ولاة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م. وقد أثرت هذه الحرب (١٩١٤ ـ ١٩١٨ م) على وضع بيروت، فأقفلت القنصليات، وارتفعت الأسعار، وانقطعت المواصلات التجارية مع الخارج. وأجبر الكثيرون من سكان المدينة على الالتحاق بصفوف الجيش العثماني، وحرم طلاب كثر من نعمة التعليم. وفي السادس من أيار (مايو) سنة ١٩١٦ م، نفذ **جمال باشا**، حاكم المنطقة العسكري، حكم الإعدام شنقاً بعدد من وجهاء المسلمين والنصارى في بيروت بتهمة الخيانة العظمى لسعيهم مع



★ الحرب اللبنانية دمرت منشآته العمرانية ★

الدول الأجنبية إلى الانفصال عن الدولة العثمانية . وعرفت الساحة حيث نُصبت الشانق **بساحة الشهداء** المعروفة سابقاً **بساحة البُرج** .

وبعد انهيار الحكم العثماني ، أعلن **الجنرال غورو** في بيروت دولة لبنان الكبير سنة ١٩٢٠م ، وغدت المدينة عاصمة لبنان .

بيروت عاصمة لبنان

تكمن أهمية بيروت في أنها عاصمة لبنان الأولى في جميع الميادين .. فهي عاصمة لبنان السياسي والإداري تتركز فيها جميع أجهزة الإدارات المركزية والبعثات الدبلوماسية .

وهي أولى المدن اللبنانية من حيث عدد سكانها ، إذ يسكن فيها حوالي ٢٣ ٪ من مجموع سكان لبنان . وإذا ما أضفنا سكان الضواحي ، ارتفعت النسبة إلى ٤٠ ٪ . ويبلغ عدد سكان محافظة بيروت الآن نحو المليون نسمة .

وتتركز النشاطات الاقتصادية ، ما عدا الزراعية منها ، في بيروت وضواحيها .

وفي بيروت يتركز القسم الأكبر من النشاط الثقافي والتربوي . فجامعاتها أربع أقدمها عهداً **الجامعة الأميركية** ، **فاليسوعية** ، **فاللبنانية** (١٩٥٣م) ، **فالعربية** (١٩٦٠م) ، ينضم إليها عدداً من الكليات والمعاهد . كما أنشئت في بيروت المؤسسات التعليمية والأندية الثقافية والرياضية والفنية ومؤسسات التعليم الجامعي والعالي ، وهذه كلها تستقبل اللبنانيين وأبناء الدول العربية والأجانب .

وفي بيروت عدد من المكتبات العامة المهمة بينها **دار الكتب "الوطنية"** [illegible] (ديسمبر) سنة ١٩٢١م ، **الفيكونت « فيليب دي طرازي »** . وقد أنشأت بعض الجامعات مكتبات لها منها **مكتبة الجامعة الأميركية ، ومكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة القديس يوسف ، ومكتبة الجامعة اللبنانية .**

وتعتبر بيروت مدينة سياحية مهمة بفضل موقعها على شاطئ البحر ، حيث المسابح التي توفر أسباب الرفاهية . وتنتشر الفنادق الفخمة على طول شاطئ بيروت فيقصدها السيّاح ولا سيما في فصل الصيف . وتوفر متاحف بيروت ، من **المتحف الوطني ومتحف الجامعة الأميركية ومتحف سرسق** ، للسيّاح مقصداً مهماً للتعرف إلى تاريخ لبنان . ومن الأماكن التي تؤهل المدينة سياحياً نذكر مناطق : **الروشة ، والحمراء ، والفنادق** .

بيروت اليوم

وبعد .. ماذا جرى لبيروت منذ العام ١٩٧٥م ؟ . الحرب اللبنانية أدخلت لبنان في جو مظلم وقاتم ، وعملت على تدمير منشآته العمرانية . ونال قسم من مدينة بيروت قسطه من الدمار . فبدت الأسواق مهدمة ، والشوارع مخربة ، والأبنية أطلالا . وتعطلت فنادقها ، فخمدت الحركة السياحية فيها .

وعلى الرغم من ذلك فإن الحرب المستمرة منذ سبع سنوات لم تقزّم بيروت ، ولم تفقدها دورها الريادي في مجالات الثقافة والاقتصاد . فهي ، وإن فقدت الكثير من مصانعها وحركية سوقها المصرفية والنقدية وزخمها [illegible] ، ما تزال محافظة على مستوى جيد في هذين المجالين تُصارع تضارب مصالح الدول فوق أرضها .

والأمل كبير في أن تستعيد بيروت مكانتها الاقتصادية والسياسية والثقافية ، وأن تعود إلى سابق عهدها مصعّدة في معارج الرقي والازدهار .

تأثر الشاعر الكبير « نزار قباني » للحالة التي وصلت إليها مدينة بيروت ، ثم تساءل :

ماذا بقي من بيروت ؟

ماذا بقي من بحرها ، ورملها ، وصدفها ، وقرميدها الأحمر ، وأمطارها الخريفية ؟



وأردف قائلاً :

إن موت بيروت ليس موتاً طبيعياً . .

وسقوطها ليس سقوطاً اعتيادياً . .

إن سقوط بيروت يشابه إلى حد كبير سقوط شمعدان بملايين الشموع . .

ولكن هل هذا الذنب يكفي لتذويب جسدها الجميل في حامض الكبريت ؟؟

إننا جميعاً مسؤولون عن موت بيروت .

ومن قصيدة عنوانها « يا ست الدنيا يا بيروت . . » اخترت هذه الأبيات :

يا ست الدنيا يا بيروت

يا ستَّ الدنيا يا بيروتْ . . .
مَنْ باع أساورَك المشغولة بالياقوتْ ؟
مَنْ صادر خاتَمَك السحريَّ ،
وقصَّ ضفائرك الذهبيّة ؟
مَنْ ذبح الفرح النائم في عينيك الخضراوينْ ؟
مَنْ شطّب وجهك بالسكين ،
وألقى ماء النار على شفتيك الرائعتينْ
مَنْ سمَّم ماء البحر ، ورش الحقد على الشطآن الورديه ؟
ها نحن أتينا . . معتذرين . . ومعترفينْ
أنّا أطلقنا النار عليك بروح قبليّه
فقتلنا امرأة . . كانت تدعى (الحرّيه) . . .

★ ★ ★

الهوامش

١ ــ اليمني ، نجيب ، تذكرة سفر إلى لبنان ، ص ١١ .

٢ ــ عطارة ، شفيق ، « معالم بيروت القديمة » في أوراق لبنانية ، ج ١ (١٩٥٧م) ص ٦ .

٣ ــ شيخو ، لويس ، بيروت تاريخها وآثارها ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٥م ، ص ٨ ــ ٩ .

٤ ــ المرجع السابق ، ص ١٥ .

٥ ــ المرجع السابق ، ص ١٦ .

٦ ــ المرجع السابق ، ص ١٧ .

٧ ــ MOUTERDE, Rene, et LAUFFRAY, Jean, Beyrouth ville romaine, Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1952, p. 5.

٨ ــ حتي ، فيليب ، تاريخ لبنان ، دار الثقافة ، ١٩٧٢م ، ص ٢٧١ .

٩ ــ MOUTERDE, Rene, Regards sur Beyrouth phénicienne, hellénistique et romaine, Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1966, p. 27.

١٠ ــ Op. cit., p. 37.

١١ ــ للمزيد من التفاصيل راجع : حتي ، فيليب ، تاريخ لبنان ، ص ٢٧٦ حتى ٢٨٤

١٢ ــ ابن يحيى ، صالح ، تاريخ بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٧م ، ص ٢٣ .

١٣ ــ يتكون المبنى الحالي للمقام من قسمين : أحدهما قديم والآخر حديث ، وبالقرب من هذا المبنى أقيم مسجد جديد باسم الإمام الأوزاعي في عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٤م .

١٤ ــ شيخو ، ص ٥٠ .

١٥ ــ ابن يحيى ، صالح ، ص ١٧ ــ ١٨ .

١٦ ــ حتي ، فيليب ، ص ٣٨٢ ــ ٣٨٣ .

في السادس عشر من حزيران (يونيو) عام ١٩٣٦م ، صدر مرسوم جمهوري رقم ٦١٢ ، اعتبر بموجبه مبنى الجامع في لائحة المباني الأثرية .

١٧ ــ هذا ما يذكره أكثر المؤرخين ، إلا أن بعضهم يعيّن وفاته عام ١١٩٣م .

١٨ ــ ابن يحيى ، صالح ، ص ٤٣ ــ ٤٤ .

١٩ ــ المرجع السابق ، ص ٣٩ ــ ٤٠ .

٢٠ ــ مصطفى ، صالح لمعي ، مساجد بيروت ، منشورات جامعة بيروت العربية ، ١٩٧٨م ، ص ٤ .

٢١ ــ شيخو ، ص ٧٩ .

٢٢ ــ POUJOULAT, Baptistin, et MICHAUD, Joseph Francois, Correspondance D'Orient 1830-1831, Paris, Ducollet, 1833-1835, tome 6, p. 123.Œ

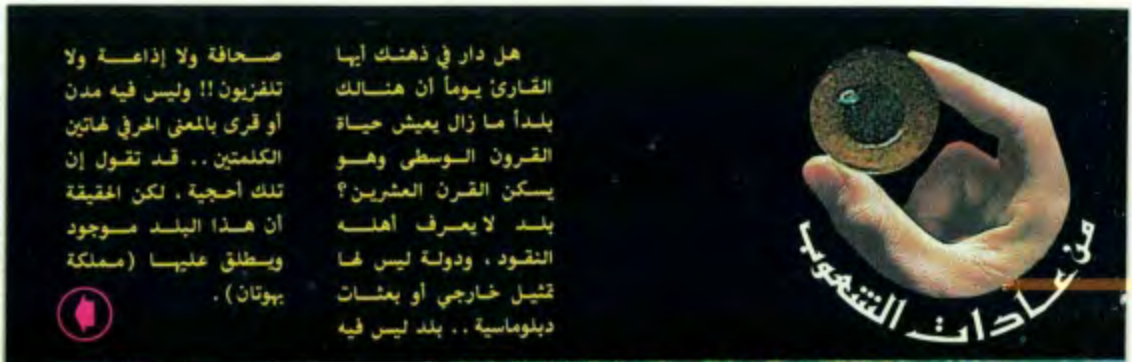
٢٣ ــ الولي ، طه ، « بيروت القديمة : تاريخها وتطورها » في مجلة الفكر الإسلامي ، ١ (١٩٨١م) ، ص ١٠١ ــ ١٠٢ .

٢٤ ــ صابات ، خليل ، تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٨م ، ص ٤٤ .

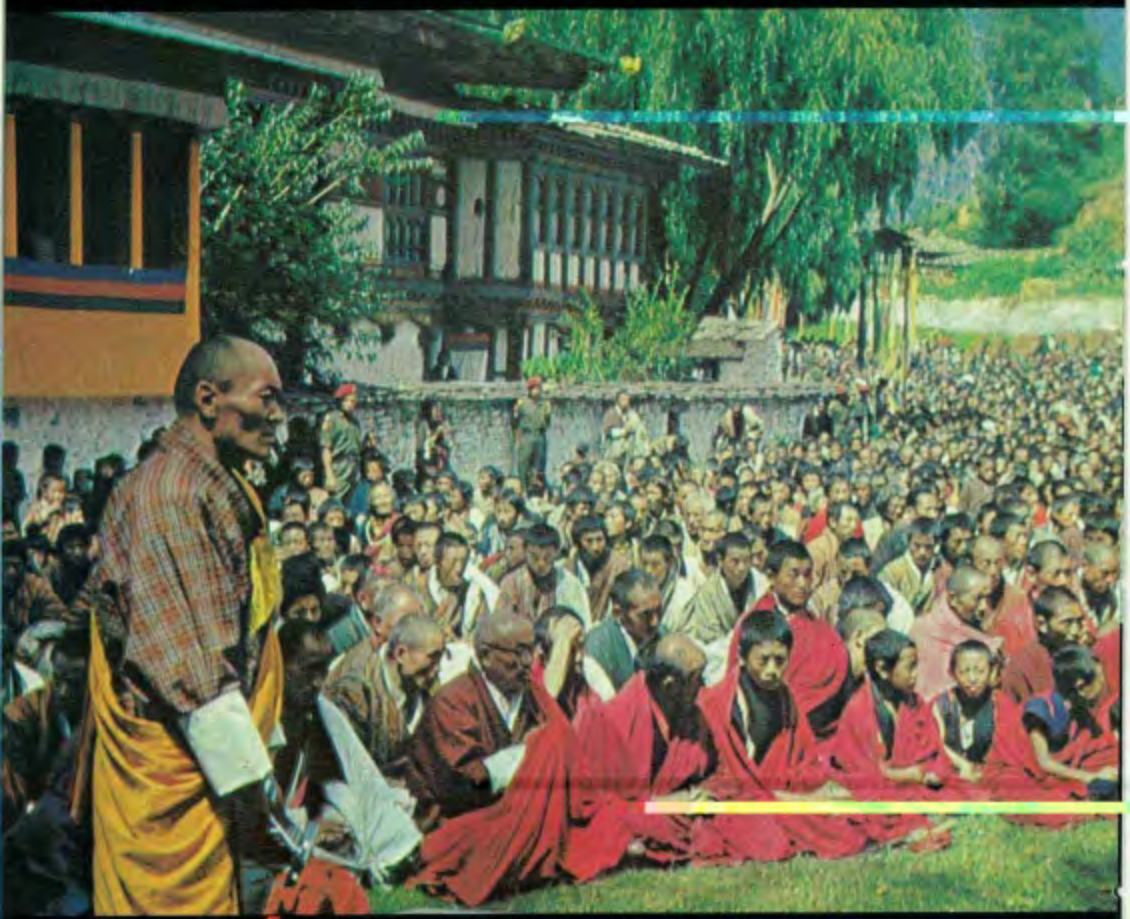
٢٥ ــ الأيوبي ، جهينة حسن ، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت ، بيروت ، ١٩٦٦م ، ص ٣٧ .

٢٦ ــ المرجع السابق ، ص ٤٩ .

٢٧ ــ زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، القاهرة ، مطبعة الهلال ١٩١١ ــ ١٩١٤م ، ج ٤ ، ص ٤٠ .



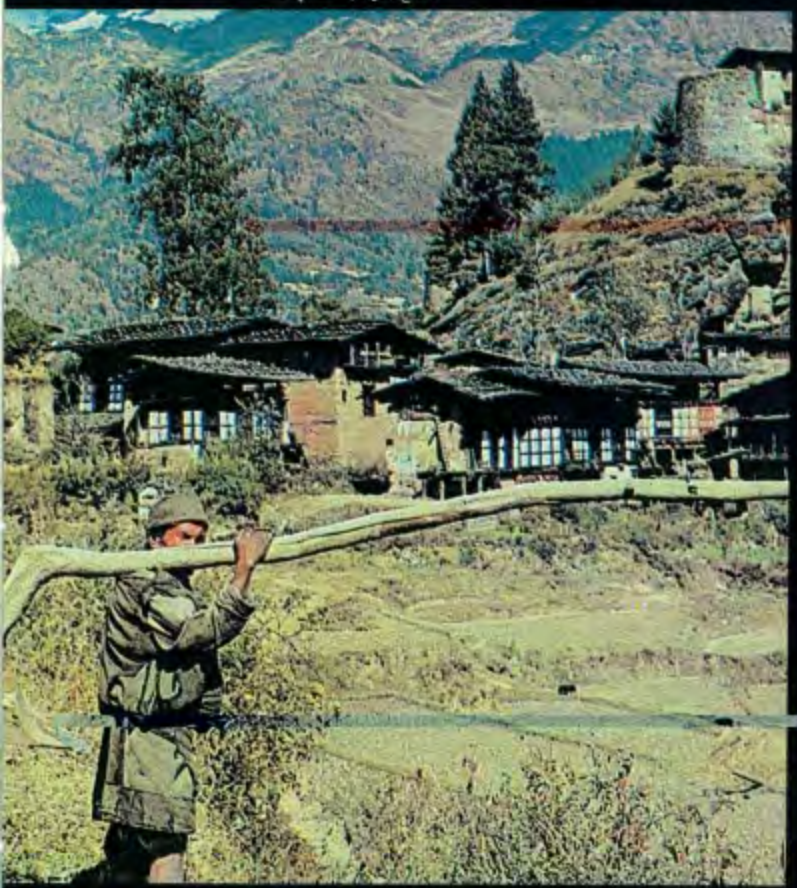
هل دار في ذهنك أيها القارئ يوماً أن هنالك بلداً ما زال يعيش حياة القرون الوسطى وهو يسكن القرن العشرين؟ بلد لا يعرف أهله النقود، ودولة ليس لها تمثيل خارجي أو بعثات دبلوماسية.. بلد ليس فيه صحافة ولا إذاعة ولا تلفزيون!! وليس فيه مدن أو قرى بالمعنى الحرفي لهاتين الكلمتين.. قد تقول إن تلك أحجية، لكن الحقيقة أن هذا البلد موجود ويطلق عليها (مملكة بهوتان).



★ اعداد شعبي ورسمي لحضور المعاهل ★

بهوتان

★ علاج بعض مرضاه الخشبي ★



و (بهوتان) Bhutan تعني **(طـــرف الأرض)**، وهي مملكة مستقلة ذات سيادة في **جبال (الهيملايا)**، تحدها هضبة **(التبت)** من الشمال والغرب، **والهند** من الجنوب والشرق، و **(سيكيم)** من الجنوب الغربي؛ مساحتها (٤٧,٠٠٠) كم²، ويبلغ عدد **سكانها مليون نسمة** حسب آخر التقديرات، يعيش ٩٧٪ منهم في الريف، وتبلغ الكثافة السكانية ٤٦ شخصاً/ كم². يدين معظمهم بالبوذية.. عاصمتها الصيفية هي **(پوناخا)** Punakha وعاصمتها الشتوية هي **(تيمبهو)** Thimphu.

وترتبط (بهوتان) بالهند معاهدة صداقة، وتتلقى من الهند معونة سنوية، كما تقبل (بهوتان) الاسترشاد بالهند في سياستها الخارجية، **وتستخدم (الروبية) الهندية في تعاملها الرسمي.**

علم الدولة مستطيل مؤلف من مثلثين أحدهما أحمر والآخر أبيض وتظهر صورة **(التنين)** على العلم، لأن البوتانيين يعتقدون أن هذا الحيوان الأسطوري هو جدهم!

ومن الإحصائيات الطريفة أنه يوجد فيها حوالي مئة مدرسة ابتدائية فقط، أما **عدد السيارات** فلا يتجاوز ٨٨ سيارة! وبالطبع فهي بلاد جبلية تغطيها غابات تمتد على أطراف (الهيملايا)، وفيها وديان عميقة تجري فيها أنهار ناتجة عن ذوبان الثلوج أو الينابيع، وتتجه كلها جنوباً لتصب في نهر **(براهما بوترا)**؛ وترتفع الأرض تدريجياً من الغابات المدارية في الجنوب حتى تصبح جبلية وعرة عسيرة المسالك في الشمال، حيث تكاد تصل إلى القمم العالية التي تغطيها الثلوج.

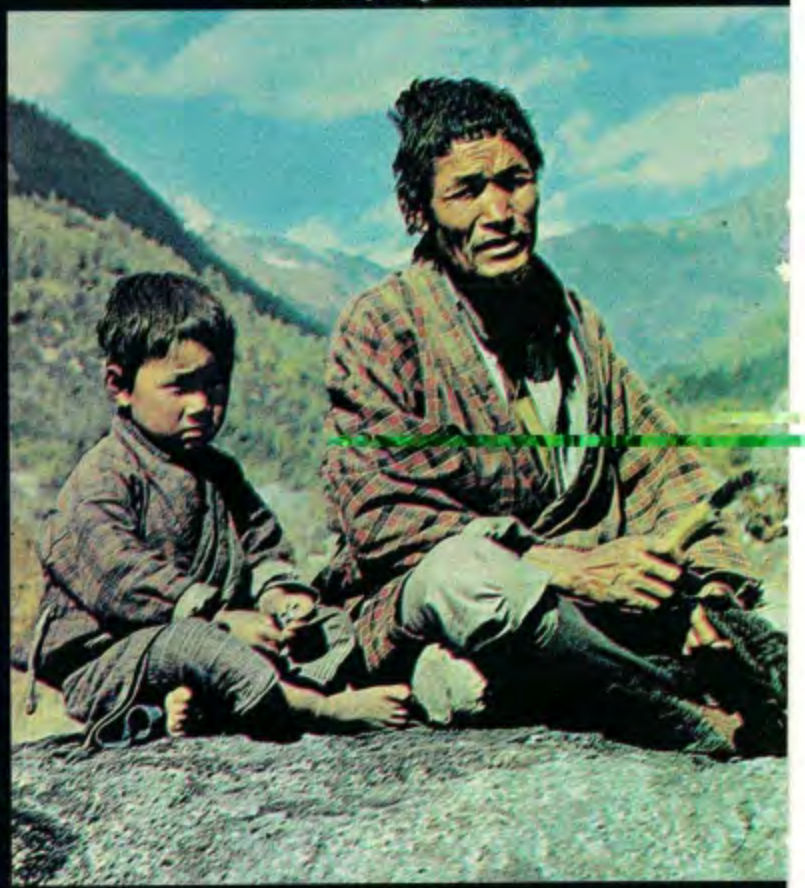
ويعيش أغلب السكان في الوديان في المنطقة الوسطى ذات المناخ المعتدل، ولا توجد مدن أو قرى، بل إن السكان يتركزون على شكل تجمعات سكانية حول **(قصور الحكم)** Dzong التي كان يقطنها **المهراجات** (ج: مهراجا)، وهي المركز الإداري والقضائي والديني. وقد بقيت تلك القصور مقراً للمهراجات حتى سنة ١٩٠٧م، حين تم تنصيب أول ملك للبلاد.

والسكان مزيج من التبتيين والمغول والهنود، ويتكلمون لهجة قريبة من لغة سكان (التبت)، وتبلغ

★ الرمي بالقوس ★



★ صور رواده وتظهر ملامح أثنية من قسمات وجوه ★



نسبة الأمية بينهم ٩٥٪ .

يعتمد اقتصاد البلاد ـ بشكل رئيسي ـ على **الزراعة** (الأرز والذرة وحب الهال والبهارات) ، وعلى **تربية المواشي** من الخيول والأبقار والخراف وحيوان (الياك) . وتتركز تجارتها مع الهند ، وفيها **صناعات يدوية** كصناعات الجلود والأخشاب . **والمواصلات الداخلية** فيها صعبة وتعتمد على العربات التي تجرها البغال ، ولذلك لا يزور هذا القطر إلا القليل من السياح نظراً لصعوبة الوصول إليه وانقطاعه عن العالم .

● العادات والتقاليد ●

يطلق البهوتانيون على أنفسهم اسم (دروك پا) Druk-Pa أو (رجال التنين) . وتظهر صورة التنين على علم البلاد وعلى سجاجيد الجدران ، وتطبع ملونة على الأقمشة .

وهم رجال جبليون أقوياء الأجسام محبون للمرح ، يعيشون ـ كما قلنا ـ على شكل تجمعات سكانية بالقرب من قصور الحكم أو الأديرة البوذية . **ويبلغ عدد قصور الحكم Dzongs الثمان وثلاثون قصراً** ، بنيت على شكل قلاع لمقاومة الغزو القادم من التبت ، أما الآن فإن تلك القلاع هي مراكز تجارية وسياسية ودينية ، إضافة إلى أنها مركز للقضاء لحل الخلافات بين المتخاصمين .

● المساكن والبناء ●

طراز البناء في (بهوتان) تبتي (نسبة إلى التبت) ، وتتميز الأبنية بسماكة جدرانها ، كما أن النوافذ تكون مائلة إلى الداخل . وتسقف البيوت بجذوع الأشجار ، كما توضع الحجارة فوق السطوح لمقاومة العواصف الشديدة في جبال (الهيملايا) .

ولا يستخدم في البناء حديد أو أسمنت ولا حتى مسامير . فالبيوت تبنى من الطين المجفف في الشمس والمضروب على شكل قوالب مستطيلة (اللبن) ، ومن الحجارة وجذوع الأشجار .

أما الأبواب فإنها تدور على محاور خشبية .

وغالباً ما يتكون البيت من **ثلاثة طوابق** ، وله شرفات (مطلات) إلى داخل ساحة البيت . وفي **الطابق الأرضي** يوجد إسطبل الحيوانات ، ومستودع المؤونة . وفي **الطابق الأول** يوجد المطبخ والمعبد وقاعة الجلوس وغرف النوم . أما **الطابق الثاني** فهو يستخدم (سقيفة) حيث يعلّق الفلاحون حزماً من القمح والشعير وغير ذلك من المؤن بعيداً عن الجرذان والحيوانات القارضة .

وتشاهد في الدروب الجبلية قرى صغيرة ومساكن خاوية على عروشها ، وحقيقة الأمر أن



★ ملكة البوتان في قصرها ★

★ بناء الجلس الوطني ★

سائل هذا الإنسان إرهاقاً أية بيوت مات أصحابها بالوباء ، إذ يعتقدون أن الأرواح الشريرة التي حلت بمن سبقهم قد تحل فيهم فتقتلهم إذا سكنوا تلك البيوت !

● طقوس معقدة ●

يدين البهوتانيون بالبوذية اللامية (نسبة إلى **الدلاي لاما** في بلاد التبت) ، وقد اختلط مذهبهم باليوغا التنترية وهي نوع من اليوغا الصوفية . وفي أيام الأعياد يقوم أحد الرهبان Lama بقيادة الطقوس وبالترتيل والإنشاد وتجاوبه جوقة من الرهبان على أنغام الموسيقى . ويستخدمون الأبواق الطويلة التي لها صوت شبيه بآلة (**الأرغن**) ، كما يطلقون البخور ويحملون الشمعات (ج : شمعة) ويشعلون الشموع . وفي داخل المعبد يوجد هيكل (أو مذبح) مطعم بالذهب والفضة ، وتماثيل لبوذا ؛ ومئات من القناديل النذرية .

وهناك سوء الاتفاق مضحكة غريبة في إظهار الورع : تلك هي (**طاحونة الدعاء**) ، وهي أسطوانة خشبية كبيرة لها عنفات على محيطها الخارجي يديرها تيار ماء النهر كالناعورة ، وتوضع في داخلها قطع من الأحجار أو الورق كتب عليها أدعية وتمائم وتعاويذ . ويعتقدون أن الوقوف بجانب الطاحونة وقراءة ما عليها — وهي تدور — يجلي روح القارئ ، ويصقل نفسه ، كما يفيد ذلك الذي تبرع بتلك الطاحونة .

وهنالك كلمات لا معنى لها ، يرددونها ويلفظونها بقوة وبصوت عال ، يقولون إن لها قوة في صقل النفس وجلاء الفكر ، منها كلمة (أوم) OM ، وشروط التلفظ بها أن تبدأ من الحنجرة عند لفظ المقطع الأول وتنتهي على أطراف الشفتين عند لفظ حرف الميم بحيث يشعر الشخص باهتزازات صوته القوي تنطن في رأسه ، وهكذا يفرغ الرأس من الهموم ومن الصراع الداخلي !

ويحتل الكهنوت البوذي دوراً هاماً في المجتمع ، **ويبلغ عدد الأديرة حوالي ألف دير** ، وهي إما مبنية أو محفورة على شكل كهوف في الجبال يصعب الوصول إليها . وفي داخل المعابد توجد تماثيل بوذا وسيوفاً وخناجر يضفون عليها صفة القداسة . كما أن هنالك تماثيل لبوذا صنعت من الزبدة تستخدم لتغذية المصابيح بدلاً من الزيت أو النفط . وفي داخل قاعات المعبد المعتمة توجد مئات من **المخطوطات** دوّن فيها تاريخ الدير وحياة كبار الرهبان والحكام .

ويرقص الرهبان رقصة دينية اسمها (**رقصة الشيطان**) . ويقوم الراقصون — وقد ارتدوا الأقنعة الملونة على وجوههم والتي صنعت من القماش والجص الملون — بتمثيل الفضائل والخبائث حيث تنتصر الفضيلة في النهاية . ويرافق الرقص إيقاع الطبول والنايات والأبواق الضخمة والصنوج مما يجعل لموسيقاهم وقعاً خاصاً يؤثر في المستمعين .

وثياب الرجال مزركشة كثيرة الألوان ، وهم يرتدون العباءة القصيرة التي تصل إلى الركبتين ، ويعقدون على وسطهم حزاماً حريرياً . وترتدي النساء قطعة من القماش تبلغ عدة أذرع ، تلف على الجسم ، وهي في الغالب غير مخيطة ، ذات ألوان

زاهية مخططة ، وتثبت بواسطة دبابيس من الفضة . وتتألف الحلي من المرجان الخام والفيروز والكهرمان وسلاسل الذهب .

● حفل الزواج ●

يستمر حفل الزواج عدة أيام . ولكن عقد الزواج نفسه لا يبدأ إلا عند عتبة باب (القصر) Dzong ، وذلك عندما تتبادل كل من الحماة والعروس المناديل الحريرية البيضاء . وتتزين العروس بالجواهر والأحجار الكريمة ، وتعتمر طاقية من اللآلئ .

وفي داخل القاعة الرئيسية للقصر يقوم (اللاما) المكلف بعقود الزواج بمباركة العروس قبل أن تذهب لتجلس بالقرب من زوجها . ثم يدعو للعروسين . وبعد ذلك يقدم الشاي الممطر **بالزعفران (السورس) و (الخشاف)** المصنوع من نشا الأرز المطبوخ بالسكر .

ويتم إشهار الزواج أمام الحاضرين ويرتل (اللاما) أدعية الزواج . ثم يقدم إلى المدعوين شراب (الشانغ) المصنوع من الأرز أيضاً . ثم ينتظم المدعوون على شكل صف طويل ويقدم كل منهم منديلاً أبيضاً إلى العروسين الجالسين ، وهكذا حتى يكاد العروسان يختفيان خلف كومتين من المناديل الحريرية البيضاء .

وبعد حفل الزواج يقوم المدعوون بألعابهم ويعرضون مهاراتهم خاصة في رمي النبال بالقوس . وبينما يقوم الرماة بالتسديد يصرخ الناس بالقرب منهم ، كما تقوم الفتيات بالتلويح بالمناديل الحريرية أمام وجوه المتبارزين وذلك لجعل التسديد أكثر صعوبة .

● الصناعات التقليدية ●

حافظت المهن التقليدية في (بهوتان) على أصالتها وذلك بسبب عدم اختلاط هؤلاء بالحضارة الصناعية . ويعمل كثير من الفنانين والنقاشين في خدمة أكابر الناس والأثرياء ، وهم يعملون في حرية تامة . أما في القرى فإن الفلاحين ينسجون أطباقاً وسلالاً من القش الملون . كما أنهم يغزلون الحرير ويحيكونه وكذلك القطن والصوف . كما يصهرون المعادن بطريقة قديمة جداً ، ويصنعون منها الأجراس الضخمة وآلات الموسيقى كآلات الرنين والصنوج وآلات النفخ كالأبواق ، كما يصنعون السيوف والخناجر وأواني المنزل .

أما في الأديرة فإنهم يطرزون الحرير (بواسطة أشغال الإبرة) ويصنعون قطعاً نفيسة من السجاد المطرز والملون .

● الحياة في بهوتان ●

لم تفتح (بهوتان) أبوابها للعالم الخارجي إلا في سنة ١٩٦٨م ، وقد تم ذلك بكثير من الحذر . إذ إن الانفتاح على الحضارات الأخرى وإدخال (التكنولوجيا) قد يعني كثيراً من المشاكل .

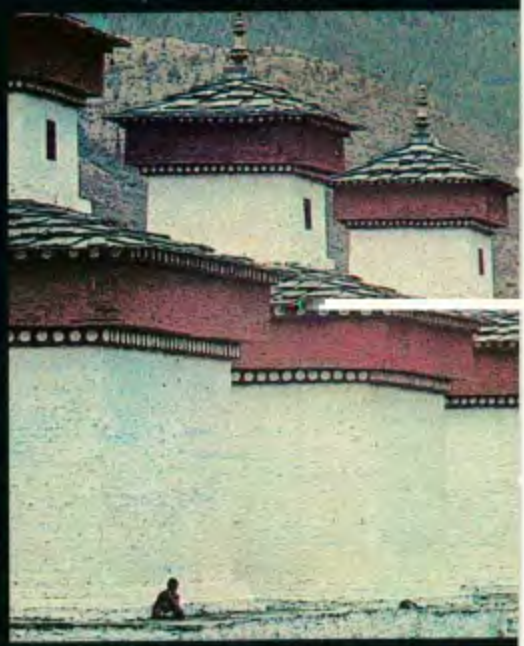
وفي سنة ١٩٦٢م ، وبمساعدة الهند ، تم إنشاء أول طريق معبّد ؛ ومع ذلك لا بد من انتظار عشرات السنين حتى يتخلى حيوان (الياك) عن مكانه للسيارة .

وبما أن العملة تكاد تكون غير معروفة فإن **البيوع وتقديم الخدمات يتم على أساس المقايضة** ؛ كما أن الضرائب تدفع لحكام المقاطعات من الغلال العينية التي تنتجها الأرض .

ويوجد في (بهوتان) حوالي (٢٠,٠٠٠) شخص تقريباً يطلق عليهم اسم (**العبيد**) ، وهم أصلاً من أبناء أسرى الحرب الذين وقعوا في الأسر خلال الغزوات المختلفة في القرن التاسع عشر ؛ وهم الآن في ملكية الدولة ولا يمكن بيعهم . ومع أن ملك بهوتان قد أصدر أمراً بإلغاء نظام الرق سنة ١٩٦٤م ، إلا أن ذلك لم يغير من أمر هؤلاء شيئاً ، فهم يعملون في الأرض لدى أسيادهم دون أجر . علماً أنه لا يوجد في (بهوتان) نظام للطبقات الاجتماعية كالسائد في الهند .

وفي سنة ١٩٦٤م ، حدث انقلاب سلمي لتحديث البلاد دون إحداث تغييرات خطيرة في المجتمع ، وهكذا تم خلال سنتين افتتاح مئة مدرسة ابتدائية . ومن المفارقات الغريبة أنهم بدأوا يعلّمون الرياضيات الحديثة لتلاميذ ما زالوا يكتبون بأقلام القصب ويصنعون حبر الكتابة بأنفسهم ويجهلون ما يحيط بهم .

★ حبر بودي ★





سيكو
تقدم

مجموعه ساعات سيكو "الأسد"

مجموعة سيكو "الأسد" الجديدة الحديثة جداً
مصممة بعناية فائقة وفريدة تجمع بين
التكنولوجيا الأكثر تطوراً وإحساس
سيكو الهندسي . سيكو كوارتز



الوكيل العام

الحصني

جده ـ الرياض ـ الدمام
مكه ـ المدينة المنورة ـ أبها

SEIKO



ليوبولد
سيدار
سنجور

ترجمة وإعداد:
خديجة سليمان

صاحب إعلاء الذات الزنجية



□□ أكثر الإفريقيين فرنسة وأكثر الفرنسيين أفرقة هو الشاعر «ليوبولد سيدار سنجور» الرئيس السابق للسنغال البالغ من العمر أربعة وسبعين عاماً، الذي عرف بأنه «حالة خاصة» في عالم الأدب والسياسة معاً.. فهو عضو «الاشتراكية الدولية»، وبطل الاستقلال الإفريقي، والمنادي بعدم انحياز دول العالم الثالث، وهو في الوقت نفسه الحاصل على درجة الأجريجاسيون التي تفوق الدكتوراه في فرنسا، وصاحب إعلاء النزعة «الزنجية» والداعي للإصلاح والنهضة الفكرية في البلاد الناطقة بالفرنسية.

قضية الاسم

●● ليوبولد سيدار، اسم مركب له نصيب في ذلك الصراع الذي أدرتموه فيما بعد حول التراث أو الموروث الشعبي الإفريقي.

● سنجور: «سيدار» هو الاسم في شهادة الميلاد، أما «**ليوبولد**» فهو الاسم الإضافي أو اسم «**التدليل**».. وقد اختار والدي اسم «**ليوبولد**» لاعتزازه بأحد أصدقائه ولأنه كان اسم أمير بلجيكا الذي أصبح فيما بعد «**ليوبولد الثالث**» وكان متشرداً أو كان «**موضة**».. بينما «**سيدار**» كلمة تعني «**الذي لا يخجل**» أو «**الذي يصعب اخجاله**»، وهي عادة إفريقية قريبة من فكرة «**الحجاب**» أو «**البركة**».. من حسن الحظ أنهم لم يطلقوا عليَّ «**أنت دميم**» أو «**لا أحد يتقبلك**».

«**سنجور**» من أصل برتغالي، لأن أصل العائلة من «**جابو**» وهي مقاطعة تقع في غينيا العليا البرتغالية التي أصبحت بعد ذلك تحت

● لم أشعر بتعارض بين منصبي كرئيس للجمهورية وبين هوايتي ومهنتي الأولى كمكاتب .. المهم هو تنظيم العلاقة بينهما!

السيطرة الفرنسية .. وأصل الاسم «سنهور» ومعناها «سيد» .. وما يؤكد أنني من أصل برتغالي أنني أنتمي إلى فصيلة الدم «A» وهي منتشرة في أوروبا ونادرة في إفريقيا السوداء.

عندما بلغت سن الخامسة ـ في عام ١٩١٣م ـ تعهد خالي بتربيتي الدينية والأخلاقية، واكتشف والدي بتعهدي اجتماعياً ومدنياً، فالتصقت أكثر بعائلة والدتي التي تعتقد بوجود الروح في كل الأجسام الحية، وهو المذهب الذي شكلني فكرياً وأخلاقياً ودينياً.. ولذلك تكلمت كثيراً في أشعاري عن «مملكة الطفولة» مملكة البراءة والسعادة، حيث لم تكن هناك حدود ولا فواصل بين الموتى والأحياء، بين الواقع والخيال، بين الحاضر والماضي والمستقبل.. بهذا المفهوم كنت وأصدقائي الصغار نخاطب الموتى من الأقارب والمعارف وكأنهم يعيشون بيننا.. وعندما بلغت السابعة من عمري، التحقت بالمدرسة، وكانت مدرسة دينية.

العقل المركب.. والفكر المنظم

●● ما الأفكار والآراء التي جذبت اهتمامكم وانتباهكم أثناء دراستكم في فرنسا؟

● سنجور: تعلمت في الأساس استثمار العقل المركب والفكر المنظم، أي استخدام «المنهج».. وهذا ما تأكد لدي من خلال أساتذتي في مدرسة «لويس الكبير» أنا وزميلي الصديق «جورج بومبيدو» رئيس جمهورية فرنسا الراحل.. لكنني لم أتعلم أن أكون أكثر شجاعة ولا أكثر إباء ولا أكثر فضيلة.

في هذا الوقت، وفي ذلك المناخ بدأت في إيجاد الدلائل والأدلة والحجج والبراهين للدفاع عن فكرة «الزنجية».. ثم التقيت بثلاثة «جزر الأنتيل» الكبار «لوي آشيل»، و«أوجست بوكولون»، و«إيميه سيزير».. أما «آشيل» فقد جعلني أقرأ الكتّاب.. الزنوج الأمريكيين «من أبناء عصر النهضة الزنجية» منهم الشاعرين «لانستون هوج» و«كونتي كولان».. وأما «سيزير» فقد شاركني واشتركنا معاً في وضع نظرية «الزنجية» بعد أن اكتشفنا معاً إفادة السرياليين كتّاباً وفنانين في مدرسة باريس بالذات (بيكاسو، ماتيس، شاجال) من الفن الزنجي الذي أفادت منه أيضاً فرق «الجاز» الموسيقية.. وأما «بوكولون» فقد نبهني إلى اهتمام الفيلسوف الفرنسي «أندريه كريسون» بالأبحاث الفلسفية التي كنت قد قدمتها للأستاذ «روبير شيلنج» مدير المعهد اللاتيني بجامعة ستراسبورج.. ولا أنسى المجالات التي فتحها أمامي «جورج بومبيدو» وجماعة «الخريجين»، فقد تنظمنا وانتظمنا يومي الخميس والأحد من كل أسبوع للقراءة وزيارة المتاحف والمعارض وعروض المسرح والموسيقى وخاصة مسرحيات «كلوديل» و«مونترلان» و«جيرودو».. هذه السنوات فيما بين ١٩٢٨م، و ١٩٣١م، كانت بالنسبة لي هي سنوات التكوين والتي انتهت بحصولي على ليسانس الآداب (الفرنسية، اللاتينية، اليونانية) بتقديرات ممتازة.

وفي عام ١٩٣٢م، حصلت على دبلوم الدراسات العليا بتقدير «جيد» عن بحث موضوعه «الغربة عند بودلير» ولكني لم أوفق في اختبار الالتحاق بمدرسة المعلمين العليا.. وفي عام ١٩٣٣م، تقدمت للحصول على شهادة الأجريجاسيون فجاء ترتيبي في الاختبار التحريري «الخامس والعشرين على ثلثمائة» بينما رسبت في الاختبار الشفهي الذي تقدمت له مرة ثانية بعد عامين أثناء تأدية الخدمة العسكرية ونجحت هذه المرة.

ولقد سجل المناخ الفكري والثقافي في الثلاثينات من هذا القرن، تقدماً ملحوظاً في الغرب بل في العالم أجمع منذ «سقراط» و«أرسطو» حتى نهاية القرن التاسع عشر الذي أسميه بالقرن الغبي، فيما عدا «ثورة ١٨٨٩م» أو ظهور كتاب (تجربة على معطيات الضمير المباشرة لبرجسون)، ففي هذا الوقت وذلك التوقيت انفتحت أوروبا على حضارات ما وراء البحار، ومنها الحضارة الزنجية الإفريقية بشكل خاص، حيث اكتشف «بيكاسو» قناع «باوولبه» الشهير، وبدأ «عمانويل بيرل» عملية «الثورة الزنجية».

كل هذا ترجم إلى أعمال شعرية وفنية، فظهرت مجموعة تعد بحق مجموعة الكبار في تاريخ القرن العشرين الفرنسي، نذكر منهم هؤلاء الذين تعاطفوا مع مجموعة الدارسين السود: شارل بيجي، أندريه بريتون، تريستان تزارا، بول كلوديل، سان ـ جون بيرس، وأندريه جيد..

التقارب بين الزنوج والبيض

●● أفكارهم وآراؤهم وإنتاجهم فحسب، أم صداقاتهم على المستوى الشخصي أيضاً؟



● قد تُتاح لرئيس الجمهورية الشاعر أكثر من غيره، الفرصة لتفهم روح الشعب والانطلاق به إلى آفاق أرحب وأجدى!

● **سنجور** : كنا نحن الدارسين السود مأخوذين **ببرجسون** كما كنا معجبين بالكتّاب الذين ذكرتهم .. ولذلك تكلمت مثلاً عن «**أسلوب بيجي الزنجي**» وعن العلاقة بين «**الكلمة عند كلوديل وعند الزنوج الأفارقة**».

أما على المستوى الشخصي والشعوري، فقد كان الدارسون البيض يحسون بافترابهم منا وتقبلنا كزنوج .. وأذكر أن مدرسة «**ليسيه لويس الكبير**» كانت تضم إلى جانب الأثيليين، التونسة والمغاربة والجزائريين واللبنانيين والإيرانيين والأتراك .. وكانت في صداقات حميمة وقوية بعدد منهم، فضلاً عن «**بومبيدو**» الأول دائماً على دفعتنا نحن الستين طالباً الذين كنا نكوّن ما أسميناه فيما بيننا «**مملكة الطفولة**» التي نرفرف عليها أعلام الحرية والتخيل.

بومبيدو .. والصداقة

نتوقف قليلاً عند

● الشعر يثري ويزداد ثراء بحياته وسط المجموع، أعني الشعب!

●● الحضارة الأوروبية - الأمريكية في سبيلها إلى تخريب الطبيعة وتدمير نفسها باختراعاتها المتقدمة والمتطورة ●

صداقتكم لجورج بومبيدو وصداقته لكم؟

● **سنجور** : انجذبت لشخصيته تماماً .. جاء ترتيبه الثامن في مسابقة امتحان القبول بمدرسة المعلمين العليا والأول في **الأجريجاسيون**، رغم أنه كان يستغرق وقتاً أقل في استذكار الدروس ووقتاً أكثر في القراءة، وهو الذي شجعني على القراءة، وجعلني أهتم بالشعر الفرنسي وأحبه، فلولاه، لما قرأت كثيراً ولما تعلمت أكثر.

كان تكوين **بومبيدو** الحياتي متميزاً كما كان تكوينه العقلي كذلك متميزاً .. شعر شديد السواد، بشرة شديدة البياض، عينان شديدتا البريق واللمعان .. تعمقت صداقتنا قبل أن يتولى كل منا رئاسة بلاده، حتى أني أمضيت في قصر «**حماه**» إجازات صيف السنوات العشر التي سبقت عودتي إلى بلادي .. أما السياسة فقد باعدت بيننا، سواء على مستوى الصداقة [illegible] عن المصالح الفرنسية في مقابل دفاعي عن المصالح السنغالية، وكم كانت العلاقات الدبلوماسية متوترة دائماً .. حدث أن بعثت إليه رسمياً برسالة شديدة اللهجة مبيناً الاختلاف الواضح بين ما تقوله فرنسا وما تفعله تجاه العلاقات الفرنسية السنغالية .. وقمت بعدها بشهرين بزيارة رسمية إلى فرنسا فقلت له في أول لقاء : «**لماذا لم ترد على رسالتي؟**..» فقال على الفور : «**أيها الماكر لأنك كنت على حق في كل ما قلته .. ولكنها المكاتب والرسميات!**» حزنت جداً لوفاته، وبدأت وأنا في زيارة رسمية للصين، في كتابة «**مرثية لجورج بومبيدو**» انتهيت منها وأنا في مدراس، وتصدرت آخر دواويني «**مرثيات كبرى**».

الشعر .. والرئاسة

●● وبالنسبة لكم، ألم يحدث تعارض بين رئاسة الجمهورية والشعر؟





● **سنجور** : لدي إحساس بأني لو ظللت مدرساً لأصبح شعري أقل إثراء ، ذلك أن الشعر يثري ويزداد ثراء بحياته وسط الجموع ، أعني الشعب ، شعبي .. صحيح أني أعبّر عن ذاتي في أشعاري ، ولكني أعبّر عنها في الوقت نفسه كزنجي إفريقي .. فأنا لا أحيا بشكل كامل متكاملاً إلا وأنا في القرى مع الفلاحين .. ولذلك **خصصت ٣٠٪ من ميزانية الدولة للإنفاق على التربية والرعاية الاجتماعية والثقافية .**

حقيقة لم أشعر بتعارض بين منصبي كرئيس للجمهورية وبين [illegible] تنظيم العلاقة بينهما .. أما التعارض فهو في جوهر الأشياء ، فقد كنت مضطراً كرئيس للدولة إلى اتخاذ قرارات لا أرضى عنها كأديب أو حتى كإنسان .

في عام ١٩٦٦م ، حدث على سبيل المثال أن اعتدى عليّ أحد المتعصبين دينياً ، وبعد أن نجوت من الحادث أخذت أفكر في ذلك الإنسان الذي يدفع حياته ثمناً لمبادئه ، وفكرت جدياً في العفو عنه ، ولكن المسؤولين حولي والشعب من حولي ، دفعوني جميعاً إلى استبعاد تلك الفكرة ، ومجازاته حتى تستقيم الأمور وتدار الدولة بالحزم والقانون ، فاضطررت بعد ثلاثة أسابيع من الكوابيس المفزعة إلى اتخاذ قراري كرئيس للدولة وليس كشاعر وإنسان .. ولكن ليس معنى هذا أن يحدث بالضرورة للإنسان الشاعر ذلك الانفصام عندما يصبح رئيساً للدولة ، بل على العكس من ذلك ، قد تتاح له الفرصة أكثر من غيره لتفهم روح الشعب والانطلاق به إلى آفاق أرحب وأجدى .. هذا ما حاولت أن أفعله في السنغال .

●●● استحدثنا أدباً جديداً وفناً تشكيلياً جديداً وموسيقى جديدة ورقصاً جديداً ومعماراً جديداً بل وفلسفة جديدة

أزمة العالم

●● العالم الذي نعيش فيه ، عالم في أزمة ، وإن جاءت هذه الأزمة في أعقاب وهم أو إيهام شاعري ، فما رأيكم ؟

● **سنجور** : العالم في أزمة منذ انتصار « **هتلر** » الذي وضع نهاية لتفاؤل « **ويلسن** » .. وهي أزمة على جميع المستويات .. **أزمة عقائدية** : أزمة في العالم المتحضر وليس فقط في الاتحاد السوفيتي والصين ، وهي تمتد إلى الهند والشرق الأوسط وإفريقيا .. **وأزمة ثقافية** : وخاصة في دول العالم الثالث ، حتى تلك التي نالت استقلالها ، ولا زالت تطبق القيم الأوروبية ـ الأمريكية ، ذلك أن التفرقة بين الغرب والشرق في هذا المجال ليست سوى تفرقة شكلية ، أما الهدف الموضوعي أو المادي فواحد .. **وأزمة سياسية** : فالرأسمالية وضعت بذورها في أوروبا الشرقية ، والدليل تلك الأزمة داخل الدول الاشتراكية .

ومن ناحية أخرى ، فإن المشاكل ليست داخل الأمم فحسب ، ولكنها تقع بين العالم المتحضر والعالم النامي ، ذلك هو التناقض الأساسي . ولكي أكون محدداً ، فإن **الأزمة تحدث ـ رغم مظاهر الحرب الباردة ـ بين الشمال والجنوب ، بينما كانت تحدث فيما مضى بين الشرق والغرب ، فلم تعد الأزمة بين « الأبيضين العظميين » . إن الحضارة الأوروبية ـ الأمريكية في سبيلها إلى تخريب الطبيعة وتدمير نفسها من الداخل باختراعاتها المتقدمة والمتطورة ، القنبلة الذرية ، تلوث البحار ، وتلوث البيئة .**

الأزمة .. والثقافة

●● والأزمة التي تجتاح العالم المعاصر تتخذ أيضاً طابعاً اقتصادياً وثقافياً ؟

● **سنجور** : ولكنها ترجع إلى القرن الخامس عشر ، عندما بدأت « **تجارة العبيد** » التي استمرت ثلاثة قرون ونصف قرن من الزمان متسببة في نفي عشرين مليون زنجي وإبادة مائتي مليون منهم .. أليست هذه هي أكبر كوارث وأعمق مآسي التاريخ ؟ ومن هنا بدأت تتكون الرأسمالية ، بدأت على أكتاف الزنوج المهاجرين بالقوة إلى أمريكا ، لتبدأ القوة الاقتصادية الأوروبية الأمريكية .. في قرننا العشرين . يقول الاقتصاديون : **لكي تحل المشاكل الاقتصادية ، يجب دراستها من نواحي أخرى ، وبصفة خاصة من الناحية الثقافية .. الدول الصناعية سواء في الشرق أو الغرب ، وبالذات**



●● لكي تبني حضارة الصوت الإنساني لا حضارة الآلات في القرن الحادي والعشرين لابد أن تستوعب الدول الأوروبية ـ الأمريكية ثقافات العالم الثالث ●

الدول الأوروبية والأمريكية لا تعترف بالمساواة الثقافية .. في الدول الأوروبية ـ الأمريكية وحتى في فرنسا، لا زالت «**الفكرة الزنجية**» غير مقبولة ولا مفهومة بين الغالبية العظمى من المثقفين .. وعلى ذلك، ولكي تبني حضارة «**الصوت الإنساني**» لا «**حضارة دوي الآلات**» في القرن الحادي والعشرين، لا بد وأن تستوعب الدول الأوروبية ـ الأمريكية ثقافات العالم الثالث كثقافات مختلفة ولكنها مكملة ومشاركة في الحوار البادئ في الواقع منذ اكتشافات عصر النهضة.

وفي المقابل ينبغي على الأفارقة والآسيويين تحديد النموذج انطلاقاً من الإنسانية الإفريقية والإنسانية الآسيوية .. أعني النموذج الذي يفيد من النموذجين الغربي والديمقراطي في إطار من عدم الانحياز .. وفي هذه المناسبة علينا أن نذكر المؤسسين لعدم الانحياز «**تيتو ونـاصر ونهرو**» إنهم «**ثالوث العالم الثالث**» بحق .. دون أن ننسى «**ديجول**» الذي منح الاستقلال الأعمق مُعرضاً حياته أكثر من مرة للخطر مطبقاً بذلك سياسة عدم الانحياز لأول مرة.

ولكن مؤتمرات عدم الانحياز في باندونج والجزائر ونيروبي وكولومبو نسيت في زحمة وضع الأسس السياسية والاقتصادية وإعلانها من خلال ما سمي بالصوت الثالث، التنبه للخط الثقافي وهو قاعدة أي حوار، وخاصة إذا تعلق الأمر بحوار حضاري، حتى بين الدول العربية ـ الإفريقية.

فرنسا .. والأفارقة

●● من المظاهر التي كان ينتقدها المفكرون الأفارقة في علاقاتكم الخارجية، تلك العلاقات المتميزة مع فرنسا، ليس فقط بسبب اللغة!

● **سنجور**: إذا كانت لغتنا الرسمية هي اللغة الفرنسية، فهي كذلك في المحافل الدولية فحسب، بعد أن جعلنا من لغاتنا الست الرئيسية «**لغات قومية**» تدرس في المدارس وتستخدم في التعاملات اليومية على جميع المستويات.

ولقد استحدثنا، بعد الاستقلال، أدباً جديداً وفناً تشكيلياً جديداً وموسيقى جديدة ورقص جديد ومعمار جديد بل وفلسفة جديدة.

البحث عن الذات الزنجية

●● نعود إلى «البحث عن الذات الزنجية» أو الفكرة الزنجية، لمزيد من الإيضاح.

● **سنجور**: **الفكرة الزنجية**، الإفريقية بصفة خاصة تتلخص في العودة إلى النبع الأصيل، إلى الجذور، وبناء الشخصية الجديدة بعد الاستقلال والتحرر ليس فقط من الاستعمار العسكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي ولكن منه تربوياً وثقافياً وفنياً وأدبياً، بناءً حضارياً شاملاً لا ينبهر بالحضارة الغربية ـ بالتحديد ـ وهو يبحث ما في حضارته القديمة من تراث أو موروث نهل منه الغرب كثيراً وعميقاً، مع التمسك بأهم منجزات التقدم العلمي والتطور التكنولوجي بغير تعال أو إنكار أو استخفاف، في الوقت الذي نتمسك فيه بقيمنا الروحية والدينية الراسخة بغير تراخ أو تراجع أو استحياء، معتزين بلون بشرتنا الأسود وقلوبنا البيضاء، غير مبالين بمشكلة الفاصل اللوني بين الشعوب والقارات، لأننا نحلق بوجداننا فوق المكان والزمان متفتحين أمام أهون نسمة وأقل نفثة بصوفية طبيعية وسجية فطرية متوحدين بحب جوهري مع «الله» خالق الكون كله!

جوانب مطمورة في فنوننا

بقلم: أبو عبد الرحمن ابن عقيل





مما يجب أن يراعى في دراسة الأدب العامي والفنون الشعبية في بلادنا فقرهما إلى الألحان والمناسبات إذا ما قورنت «بنجد» بغيرها.

ففي أواسط «نجد» يكاد يكون الغناء النسائي ساذجاً قليلاً سوى ومضات في أغاني العرس ورقص الفتيات في الأعراس، وإنما يوجد الثراء في نساء بادية الشمال وقد استفادوا ذلك من عرب سورية والأردن.

وفي أواسط «نجد» سجعات تلق بهيئة غناء ساذج تمططه النساء على الرحى وعند طرق الأبواب للتسول وعند هدهدة الطفل لتنويمه.. وفي أواسط «نجد» مواسم للغناء أي غناء كمناسبة مساهرة الديغ وحفلات العرس.

وهنالك مواسم لغناء معيّن إلا أنها مواسم فقيرة بالنسبة للبلاد العربية، بدليل أننا نفقد الأغنية المعيّنة لعدد من المناسبات وها هو أنموذج أغلبي لما نفقده من مناسبات:

(١) أغاني ترقيص الطفل بشكل أوسع من السجعات القليلة المعدودة أو الكلمات النثرية المرنحنة.

(٢) أغاني الختان.

(٣) أغاني الأطفال الخاصة بهم والتهاليل.

(٤) أغاني العرس من إعلان الخطبة إلى التحول لبيت الزوج.

(٥) أغاني النساء بشكل أوسع من السجعات التي يترنم بها البناؤول.

(٦) مناسبة الرعي لا تتميز عندنا بغير الألحان العادية على الربابة.

(٧) مناسبة جمع الحشائش وصيد الجراد.

(٨) منح الماء من الآبار وإخراج ما وقع في البئر من آدمي كبير أو غريق وغيره. إنما توجد لدينا هيئات وسجعات في البادية والحاضرة.

(٩) مناسبة الطحن على الرحى وجرش القمح.. فهذه المناسبة فقيرة للغناء.

(١٠) أغاني صنع الهريس[1].

(١١) المواويل والأغاني التي تغنى على العود والآلات الموسيقية والسمسمية لأن أهل نجد لا يعرفون هذه الآلات.

(١٢) مناسبات الزراعة.. وإنما توجد عندنا هيئات ساذجة للحصاد والدياس والمنحاة.

(١٣) أغاني الباعة المتجولين في الدروب، والخراس (الغفر).

(١٤) ترنيمات النداء على الضالة.

(١٥) أغاني الرقص، فعلى قلة الرقص في مآثر العامة بنجد فأغانيه فقيرة جداً.

(١٦) أغاني السخرية والسياسة.

(١٧) أغاني القصص والرواية.

(١٨) أغاني المطر لا سيما في ليبيا وصعيد مصر.

(١٩) أغاني جز الأغنام[2]

قال أبو عبد الرحمن: هذا أنموذج أغلبي لما فات الشعر العامي من المناسبات الفنية (الغنائية) **وإنني أدعو شعراء العامية وشعراء الفصحى والملحنين والمطربين إلى استثمار جديد للشعر الفصيح والعامي يثري الفن الغنائي لدينا لتوجد عندنا ألحان من بيئتنا لكافة مراحل العرس من خطبة وحناء وزفاف**.. إلخ، وأغنية للمناسبات الوطنية وللمواسم المتكررة من جداذ وحصاد، وأغنية لأسبوع المرور، وأسبوع النظافة والنوعية

الصحية .. إلخ ، وبهذا يخرج شعرنا العربي والعامي من قوقعته .. أنا **المواسم التي يرفضها ديننا ووالقعنا العربي فلا تدخل في صميم أدبنا** .

وقد أثبت الشبيهة النجدية لترنيمات (**الشوباش**) وهي اصطلاح تركي على مغن يستحث الحاضرين على مساعدة صاحب المناسبة في ليالي الفرح ، لأن المساعدات عند أهل نجد يستحمد فيها السر .

ولم تسمح ظروف نجد بمناسبة لأغاني التظاهرات كالتي توجد في العراق احتجاجاً على ثمرة الفتاة وخلعها للحجاب وكالمظاهرات السياسية .

وهناك أغان مهملة في نجد ، وأهل نجد معذورون في إهمالها إما لأنه لا يفرضها واقع كمختلف أغاني البحار وإما لأنها تتالى واقع الدين الإسلامي كأغاني الموالد والأعياد البدعية التي اكتسبها بعض العرب من الاستعمار وأروقة **الدراويش** ، وكأغاني المواسم السديمة الصحيحة أو البدعية كأغاني **ليالي رمضان** والإيقاظ للسحور وتوديع الخير واستقباله مما أوجدته لنا تركيا وغداء الدراويش .

وكأغاني النواح على الميت التي تسربت إلى الأدب العامي في العراق من جذور اجتماعية الأولى بتأليس من نواح الروافض على الحسين ، وكترنيمات الفأل وهي من التنجيم .. وكأغاني خسوف القمر احتجاجاً على الحوتة التي شوهت جمال القمر . فليس عند أهل نجد سوى الصلاة المشروعة .. وكأغاني الشرب والمنادمة .

وليس في نجد دراويش ولا طوائف دينية تسمح بترنيمات وأغنيات لتنفير الميت وتشييعه بالطبل كسوق الدراويش في طنطا وغيرها ، وتوديع شهر رمضان وترتيل الأوراد والشجان (**الروزخونية**) وهي قراءة الشبر الحسيني في العراق في شهر محرم .. وكذلك تسابيح الصالحين ، وتعويذات الخائفين ، وترنيمات المطوفين في الأضرحة المقدسة !! .

وتلك المهرجانات المبتدعة في بعض البلاد الإسلامية جاءت مضاهاة لأعياد أهل الكتاب كمهرجان سنتا سريم ، **وعيد الفصح ، وعيد النبي موسى ، وأحد الشعانين** (أحد النخلة) ، **وخميس الغسل ، والجمعة العظيمة ، وسبت النور ، وأحد الفصح** .

أما مآثر العامة في نجد فقد خدم منه ثلاثة فروع هي :

١ ـ **الشعر** .

٢ ـ **المثل** .

٣ ـ الأسطورة والحكاية الخرافية (**السجونة**) والقصة الواقعية .

ولم يخدم في الفروع التالية :

(١) المقارنة الثقافية المستمدة من المأثور المادي والمأثور القولي .. وإنما هناك مقالات عن بعض الجوانب الثقافية وتعريجات طفيفة في دراسة الأدب العامي .

(٢) معجم الألفاظ العامية ودراستها .

ويقوم الآن **الشيخ محمد العبودي** بإعداد هذا المعجم ، ولقد حفيت بالألفاظ العامية في شرحي للشعر العامي بأسفار يقوم الآن **الأستاذ العوهلي** بنشرها .

(٣) التدوين الموسيقي والعروضي للشعر العامي .

(٤) دراسة الرقص ـ على قلته ـ مع ما يصاحبه من إيقاع أو غناء .

(٥) دراسة اللهجات الحضرية والبدوية وتسجيلها صوتياً قبل أن تندثر أو تتغير .

(٦) الطب الشعبي .

(٧) قاموس عام بالمصطلحات والأسماء العامية عن العادات والألعاب والأزياء والمواقع والأعلام الثقافية العامية .. إلخ .

(٨) دراسات متخصصة لمصادر الثقافة العامية كالألعاب وحدها والغناء عند البدو ، والعرف القبلي ، وعادات الحواضر والقرى ، وأدب الفكاهة والأطعمة والأزياء .. إلخ .

★ ★ ★

والملاحظ في رواية الشعر العامي بنجد أنها تتم بتصرف في اللفظ والمعنى دون تحرج .

فبعضهم ينسى الكلمة أو الشطر فيتمم النقص من عنده وربما جاءت روايته مختلة الوزن إذا لم يكن ذا حس موسيقي .

وبعضهم ينقل القصيدة من كتاب آخر فيجد تصحيفاً أو تحريفاً ، أو لا يحيط بمناسبة القصيدة فيستبهم عليه المعنى ومن ثم يضطر إلى التعديل من عنده غير مراع للهجة الشاعر .. وقد لفيت لصاحب **التحفة الرشيدية** تصرفاً كثيراً من هذا النوع .

وبعضهم يرى في القصيدة بيتاً لا يليق خلقياً أو دينياً ، أو يرى أنه يثير حزازة فيغير لفظه ومعناه .. وربما أعجبه معنى البيت فتممه بأبيات من عنده .

وأنا أعرف هذا التصرف لشيخ وقور معاصر من أعظم الرواة للشعر العامي .. لهذا ينبغي لدارس هذا الشعر أن يستزيد من الرواية ، ويقارن ويرجح بلهجة الشاعر ومناسبات شعره وما أشبه ذلك من وجوه الترجيح .

والشعر النجدي الذي طبع في الكويت والبحرين وقطر والأردن طبع بلهجات أهل تلك البلاد فيجب رده إلى لهجة الشاعر نفسه ليفيد هذا الشعر فائدة صريحة في دراسة اللهجات .

وهكذا تماماً الشعر النجدي الذي روي مشافهة عن غير أهل نجد .

وأصحاب الذرى لا يكادون يروون شعر البادية بلهجة الشعراء أنفسهم إلا من خالطهم كأهل **عفيف والدوادمي** ونحو من الحاضرة .

الهوامش

(١) نظر خبر نشأ وكذلك من كتاب الأغنية الشعبية في قطر .

(٢) راجع عن هذه الأغاني والأصوات :

من تراثنا الشعبي بمنطوقه ـ الأغنية الشعبية في قطر (جزء الأرز والذرة) ـ الصوت الشعبي في فلسطين تحريفاً ـ فنون الأدب الشعبي المحلي ـ الأدب الشعبي الأصيل ـ الأدب الشعبي في بيت المقدس .

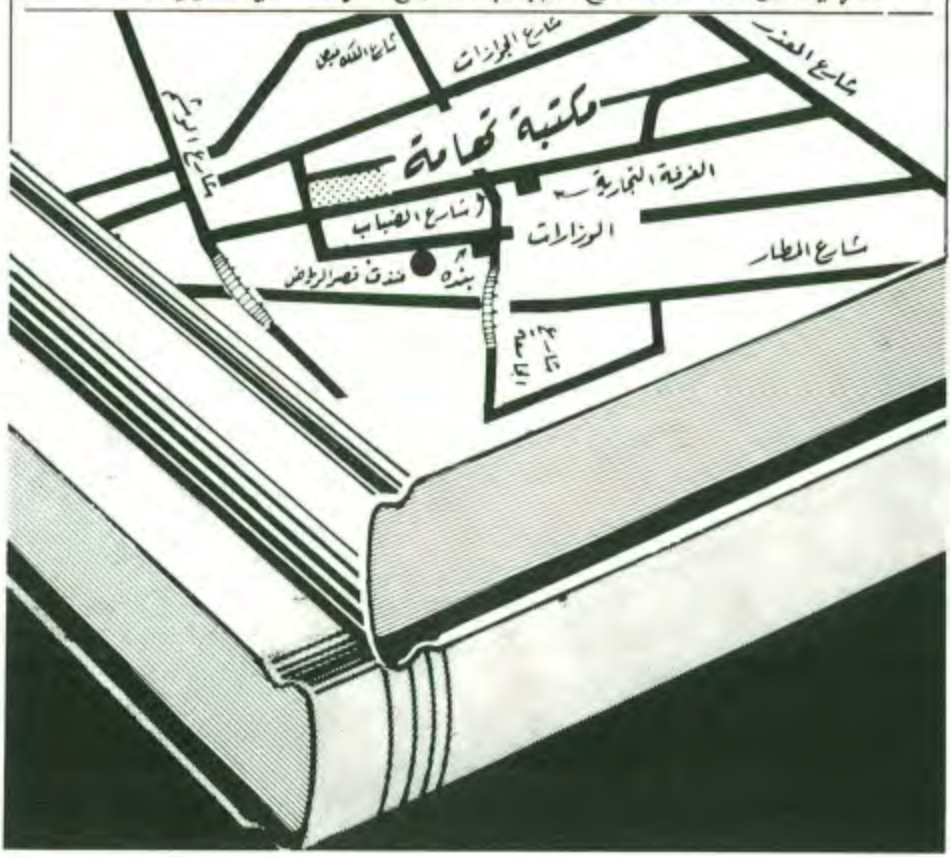
نحن هنا

قم بزيارتنا

مكتبة تهامة

عنوان المكتبة

الرياض - خلف شارع الضباب - مجمع الشركة العقارية السعودية - ت ٤٠١٢٩٦٩



ملامح الحركة الثقافية في الأردن

الأردن، بحكم تركيبه السكاني، بلد شباب. إن ثلثي السكان هم دون سن الرابعة والعشرين. وبالتالي، فالحركة الثقافية في الأردن، مقضيٌ عليها أن تكون حركة شباب، ويؤدي فيها الشباب دوراً بارزاً. هذا بدوره، له سلبياته الكثيرة المهيمنة، وإيجابياته الكثيرة المسيطرة. وفي كلا الأمرين، فإن هذا التكوين السكاني وآثاره في الحركة الثقافية، يشكل في الأردن وضعاً ثقافياً مميزاً.

بقلم: د. فواز أحمد صوقان

★ الملك عبد الله بن الحسين ★





★ مصطفى وهبي التل ★

أثمرت (ندوة الكتاب والأدباء الأردني الأول) عام ١٩٧٩م، التي نظمتها وزارة الثقافة، أن الأدب في الأردن، وأوجه الثقافة عموماً وأنماطها، وسائر أقنية الثقافة المحلية، غير مختلف البتة عن نظيراتها الأدب والثقافة



★ عبد المنعم الرفاعي ★

العربيين، العاملين، في الأقطار العربية الأخرى. وأكّدت كذلك على أن الشعر المعاصر في الأردن والقصة القصيرة وغيرهما من أنماط التعبير الأدبي، وأن الفن التشكيلي، وأنواع الثقافة المتداولة في الأردن، لا تخرج عن

(البقية العدد (٦٢) ص ٥٩

ملامح الحركة الثقافية في الأردن



★ ليسر خيون ★

الإطار العربي العام . كما أشادت الندوة بجهود العاملين في حقول الثقافة المتعددة في أنهم صوّروا في نتاجهم الثقافي الواقع الراهن بآلامه وآماله ، وكتبوا عن مشكلات الإنسان العربي في جميع بلاده ، وعالجوا همومه وطموحاته وضوحاته وآماله . وأشادت ندوة الكتاب والأدب الأردني الأول كذلك بجهود الأدباء والمثقفين الأردنيين لأنهم وضعوا قضية العرب الأولى على رأس اهتماماتهم ، فكانت جلّ أعمالهم تتناول واقع **القضية الفلسطينية** وتصور معاني التضحية والتفاني في خدمة الوطن الصغير ، والكبير ، سواء بسواء .

كانت ندوة الكتاب والأدب الأردني الأول ، من حيث لا تدري ، تؤكد في حقيقة الأمر على وحدة التيار الثقافي العربي المعاصر . لأن ما أشارت إليه بخصوص الوضع الثقافي في الأردن ، يكاد ينطبق تماماً على جميع البلدان العربية . وبالتالي فإن ما أفاضت الندوة به إنما هو كسب جيد النتائج في سبيل تيار ثقافي عربي معاصر موحّد مشترك .

ولكن ، بالرغم من كل هذا ، أشارت الندوة المذكورة إلى أن الحركة الثقافية في الأردن ، لا تخلو من بضع سمات تميّزها عن مثيلاتها في الدول العربية الشقيقة .

نبذة تاريخية

منذ السنوات الأولى لتأسيس **إمارة شرق الأردن** (عام ١٩٢١م) والتيارات الثقافية العربية تتمثل في الأردن من خلال مثقفيه وأدبائه وكتّابه . وقد وجد هذا المجتمع الثقافي الناشئ في شخص **الأمير عبد الله بن الحسين** ، مؤسس إمارة شرق الأردن ، وفي بلاطه ، المجال الواسع الرحب لاستيعاب إنتاج أولئك المبدعين الثقافي . وقد كان الأدباء والمثقفون يجدون في شخص الأمير نداً قوياً وحصناً طويل الباع في ميدان الشعر وإنشاء الرسائل الأدبية والثقافة (كمعارضاته للشعراء في زمانه ، وتأليفه رسائل قصيرة في الخيل والأنساب وما إليه) . وكان مجال هذا التيار الثقافي هو الصحف المحلية في شرق الأردن والصحف الفلسطينية . وكان من محصلة هذا النشاط أن أثرت الحركة الثقافية إثراءً كبيراً وتطورت عملية الإبداع الأدبي في شرق الأردن أيما تطوّر[1] .

وكما شارك أدباء شرق الأردن في الحركة الثقافية المحلية ، لم يتخلفوا عن ركب الكتابة الأدبية والثقافية في الوطن العربي ، فنشروا إبداعهم الثقافي في مجلات مصر ولبنان وصحف سورية والعراق . . . وبرزت في داخل الأردن وخارجه أسماء أدبية لامعة مثل **مصطفى وهبي التل** الذي اتخذ لنفسه اسماً أدبياً هو (عرار) ، **وعبد المنعم الرفاعي** الذي أضحى فيما بعد رئيساً لوزراء الأردن ، **وحسني زيد الكيلاني** ، **وتيسير ظبيان** شاعر الأناشيد الوطنية والمؤلفات التاريخية ، **وشكري شمشاعة** ، الأديب المتعدد المناحي الفكرية ، **وعبد الحليم عباس** صاحب أطرف دراسة حديثة عن **أبي نؤاس** نشرت ضمن سلسلة اقرأ في أواسط الأربعينات . . . وغيرهم .

وقد أسهم هؤلاء الكتّاب والشعراء وزملاؤهم في تحريك الوسط الثقافي الأردني ورفد الحركة الثقافية بروافد متعددة من التأليف المتنوّع كالكتابة الصحفية والقصصية والمسرحية والتاريخية والسياسية والفكرية . . . إلخ .

★ ★ ★

وكان لنكبة فلسطين عام ١٩٤٨م ، أكبر الأثر في تطوير الحركة الثقافية الأردنية وتحويل مسارها كلية من حركة محلية إلى رافد قوي يرفد تيار الثقافة العربية عموماً . وكان أهم ما حدث إذ ذاك اندماج الحركتين الثقافيتين ، الأردنية والفلسطينية ، في بوتقة واحدة وذلك في إثر ضم الضفتين في وحدة تحت اسم **المملكة الأردنية الهاشمية**[2] .

في هذه الحقبة ، اتسعت آفاق بث الثقافة ، وذلك بتوفر وسائط نشر أفضل مما كان متاحاً من قبل ، وبالتالي عمّ تيار الثقافة المحلية قطاعات أوسع من المواطنين . وكان لانحسار الأمية بشكل ملحوظ أثر إيجابي في تعميم الإنتاج الثقافي المحلي . وشهدت هذه الفترة نشوء الحركات الأدبية والمدارس الفكرية الثقافية . واتسعت رقعة الإنتاج الثقافي لتشمل وجوهاً أكثر من الثقافة . فعرف الأردن لأول مرة المسرحية بشكلها الصحيح ، والرواية أو القصة الطويلة ، وأدب الرحلات والترجمة المنظمة للكتب الثقافية العامة . ومن نتائج هذه الفترة بروز أسماء أدبية جديدة لامعة وخروج عدد أكبر من الأسماء إلى أجواء الثقافة العربية الشاملة في خارج الأردن . واستمرّ الحال على ذلك عبر سنوات الخمسين والستين من هذا القرن الميلادي[3] .

الحركة الثقافية في سنوات السبعين

قد يتوهم الناظر المشرف أن **حرب حزيران** (يونيو) ١٩٦٧م ، هي السبب الرئيسي في إخراج عقد السبعينات مميّزاً عن سابقيه ، ولكن الحقيقة ليست كاملة هكذا . هنالك أسباب عديدة أخرى جنحت بالحركة الثقافية الأردنية إلى ما كانت عليه في عقد السبعينات ، وأعتقد أن حرب حزيران (يونيو) لم تؤثر ذلك التأثير العميق الذي يخوّلها أن تكون نقطة التحول . فلقد كانت هنالك عوامل عديدة أثّرت في الحركة الثقافية وحولتها ببطء تدريجي إلى ما كانت عليه في أعوام السبعينات .

إن انشطار الوسط الثقافي الأردني إلى

شطرين ، شباب وشيوخ ، الشطراً حاداً واضحاً تماماً ، وإن انفتاح الأردن على الدول العربية عبر قناتين ، قناة المغتربين العاملين في الدول العربية والطلاب الدارسين في الجامعات العربية ، عاد على الوسط الثقافي بعوامل كثيرة أثرت في تطويره إيجابياً ، وإن تحلل قيود الرقابة على المطبوعات ، وتخفيفها ، وإن انتشار الثقافة الجامعية بواسطة إنشاء جامعتين في الأردن تستوعبان حوالي خمسة عشر ألفاً ، وإقبال أعداد هذا العدد على الدراسة في الوطن العربي من أقصاه إلى أدناه ، كلها أثرت في صبغ سنوات السبعين بصباغ ثقافي ميزها عن السنوات السابقة ، وجعل الحركة الثقافية تمتاز عن مثيلتها في العقدين السابقين بأمور أهمها : انحسار كلي في الإنتاج الثقافي للشيوخ واستيلاء تام للشباب على الموجة الثقافية في سنوات السبعين . ولا غرو ، فالأردن بتركيبه السكاني خلال السبعينات بلد شباب ، إذ يشكلون فيه أكثر من ثلثي السكان . والشباب في الأردن ، متوجهون بشكل مثير للدهشة والاستغراب وأكثر من أي بلد في العالم بأجمعه نحو التعليم الإلزامي والثانوي والجامعي[14] .

إن الإحصائيات المتوفرة عن التحصيل الأكاديمي للشباب في الأردن ، دعم موثق بأن الحركة الثقافية في الأردن خلال سنوات السبعينات هي حركة شباب . . . ويستدل على ذلك من المعارك الأدبية المستمرة ما بين الكتّاب الشيوخ من جهة ـ متصافرين رغم اختلافاتهم الحذرية السابقة عبر السنين ـ وبين الكتّاب الشباب من جهة أخرى . لقد دارت رحى أكثر من معركة أدبية طاحنة وشهدت الساحة الثقافية الأردنية انهيار أكثر من معقل للكتّاب الشيوخ . فقد فتحت أبواب دار الإذاعة والتلفزيون لإنتاج الشباب الثقافي بعد أن كان الوضع حكراً على الكتّاب الشيوخ . واستولى الأدباء الشباب على سائر الصفحات الأدبية في الجرائد الأردنية وأصبحوا محرري المنشورات الثقافية في الأردن عموماً . وشكلت مقالات الكتّاب الشباب القسط الأوفر من حيّز المنشورات الأدبية أو الثقافية العامة في الأردن . أما دور النشر المحلية ، والمؤسسات الرسمية المعنية بالثقافة ، فقد فتحت أبوابها على مصاريعها ودخل فيها الكتّاب الشباب بتيار عظيم غطى كلياً على إنتاج الكتّاب الشيوخ . لقد أنتج الكتّاب الأردنيون الشباب جلّ الإنتاج الثقافي المنشور في داخل الأردن ، أما ما ينشر للأردنيين في الخارج فكله لفئة الشباب . وبالتالي أضحى واضحاً أن الشباب قد سيطروا على أكثر من ثلثي الوسط الثقافي كما تحم أعدادهم أن يسيطروا . فقد أمسكوا بكل من رابطة الكتّاب الأردنيين إمساكاً تاماً ، وكذلك برابطة المسرحيين الأردنيين ، والشيء نفسه برابطة الفنانين التشكيليين الأردنيين[15] .

وبالتالي ، لا مناص من القول إن الحركة الثقافية في الأردن في أعوام السبعينات هي حركة الشباب ، بما تحتمل هذه العبارة من تعميم حول مفاهيم أدب الشباب والتزاماتهم الثقافية والفكرية . . .

الحركة الثقافية في مستهل الثمانينات

يستخلص الباحث بسهولة سلسلة ملاحظات عامة يمكنه أن يعتبرها سمات مميّزة للحركة الثقافية العربية في الأردن في سنة ١٩٨٠ ميلادية :

(١) أدب القضية الفلسطينية : يستأثر موضوع فلسطين بجل اهتمام المبدعين في الأردن . ولا تكاد تجد كاتباً ، سواء أكان من أصل فلسطيني أم أردني ، إلا وقد كرّس جانباً كبيراً من نشاطه التأليفي في موضوع القضية الفلسطينية .

(٢) وحدة الثقافة اللغوية : أجمع المؤلفون والمتعاملون بالثقافة في الأردن على وحدة الثقافة اللغوية ، وهي اللغة العربية الفصحى ، ويلاحظ الفشل الذريع الذي مُنيت به الدعوات إلى الأدب العامي أو إدخال الحوار العامي في القصص والمسرحيات . وقد حصل هذا الإجماع من دون حملات رسمية للتوعية أو حركات داعية لذلك . **إن الأديب والمثقف الأردني ، بوحي من عروبته وانتمائه القومي واعتزازه بدينه الحنيف ، اصطنع اللغة العربية الفصحى أداة للتعبير لا يحيد عنها .** وبالرغم من كثرة العارفين للغات الأجنبية ، إلا أن التأليف فيها لا يتجاوز بضعة كتب عبر الثلاثين سنة الماضية . بما في ذلك الكتب الجامعية الأكاديمية . وهذا أمر يعتز المرء به ويباهي ويتفاخر[16] .

(٣) الانفتاح على الثقافة العربية : تحظى الحركة الثقافية الأردنية بانفتاح واع على الحركات الثقافية في الوطن العربي . إن القارئ والكاتب الأردنيين ، يمثلان صورة المثقف العربي المثالي ، المتمسك بأرضه من غير إقليمية ، المتجه نحو أرض وطنه الكبير بكل أريحيّة وكبرياء واعتزاز .

(٤) انعدام التوازن بين الفنون الأدبية : لأسباب مجهولة ، ولكن يمكن التأمل فيها ، غلب على الأدب في الأردن فنّا الشعر والقصة القصيرة ، وتبعهما النقد الأدبي التطبيقي . إن هذه الغلبة للشعر والقصة القصيرة تأتي على حساب التأليف في الأنماط الأدبية الأخرى بشكل ملفت[17] .

(٥) تألق النشاط الثقافي على فترات : يتميّز الوسط الثقافي الأردني بأن الإنتاج الثقافي فيه يتألق ويخبو تبعاً لظروف ومبررات مجهولة . وقد يلاحظ الدارس أن الشعر ، لسبب أو لآخر ، يزداد إنتاجه في شهر من الشهور من السنة ، أو في سنة من السنين من العقد ، ثم يخبو تألقه ويشح منسوب عطاء الشعراء شحاً عجيباً . وقد تتألق الحركة المسرحية في شهر أو في سنة ، ثم لا تكاد تسمع بها . . . هذه الظاهرة معروفة في جميع الدول العربية ، ودول العالم الثالث . ولكن في الأردن ، تراها ظاهرة حادة بشكل مثير للدهشة .

(٦) تحفظ الكاتب والأديب الأردني : لما كان جل كتّاب الأردن وأدبائه من الشباب ، فمن المتوقع أن نجد في كتاباتهم ، وبالتالي في الوسط الثقافي عموماً ، ما يفرزه الشباب من مظاهر الاغتراب والقلق والذاتية والإباحية وغيرها . إلا أن الأمر في الأردن على

ملامح الحركة الثقافية في الأردن

النقيض من ذلك . ففي الأردن ، وفي الأدب بخاصة ، يلاحظ تحفظ ظاهر . إن الأديب الأردني أقل تحرراً وأكثر تحفظاً من زملائه الأدباء العرب ، ولو أنه مصنف في صف الأدباء غير التقليديين ، ولو أن المجتمع الأردني مصنف بين المجتمعات العربية المنفتحة المتطورة . **إن الأدب في الأردن أكثر «تأدباً» من كثير من الأدب المنشور في الدول العربية . فأنت ، على انفتاح الرقابة وخفة وطأتها ، لا تجد في النماذج الأدبية الأردنية المعاصرة لفظاً واحداً نابياً ، أو تهتكاً ، أو ميولا لا دينية مستهجنة ، أو إفراطاً أو تفريطاً . . .**

(٧) **الالتزام أو عدم الالتزام بالفكر المدرسي للمذاهب الفكرية** : بالرغم من الدعوات الملحة والكتابات النقدية الصريحة في الحث على الالتزام بالمدارس أو المذاهب الفكرية في الأدب والثقافة ، إلا أن الأديب والمكاتب الأردنيين لا ينتمي إلى أي من ذلك . فأنت لا تجد انضباطاً تاماً بين أتباع المدرسة الواقعية الجديدة في الأدب ، أو تمسكاً صلباً بالمدرسة الرومنطيقية . بل تجد الواحد يؤم بينها جميعاً . كأنما الأدباء والكتّاب في الأردن ما يبرحوا يبحثون عن المدرسة الخاصة بهم التي لم تولد بعد . ولكن ، كما وضح في ندوة الكاتب والأديب الأردني الأولى عام ١٩٧٨ م ، وما زال منطبقاً على سنة ١٩٨٠ م ، فإن الأديب والكاتب في الأردن ملتزم بقضايا وطنه وأمته ، يعبّر عنها ويدافع عنها ، بشتى الوسائل أكان منتمياً لمدرسة فكرية أو منهج أدبي ، أم لا .

خاتمة

مما لا ينكر وجوده ، أن الثقافة في الأردن متطورة نحو الآفاق الجديدة التي يبحث عنها المثقفون الشباب . ولكن الزمن الذي جعل هيمنة الشخوص الثقافية الأردنية التي نشأت في بلاط الأمير عبد الله مؤسس شرق الأردن ، جعلها تتراجع أمام زحف الثقافة الجديدة الصاعدة على يد الشباب ، هو نفسه الزمن الذي سيجعل ثقافة هؤلاء الشباب تتراجع أمام ثقافة جديدة يتزعمها أطفال اليوم الذين تعنى بتثقيفهم ابتداءً بعالم الطفل الدولي عبر الأفلام الهادفة والمسرح الملتزم والأدب الموجّه . . . شباب اليوم الذين أخيتهم حركة التعليم الإلزامي والثانوي والجامعي المنهوفة ، يقومون بإنتاجهم المتدفق في أدب الأطفال على توجيه النشء الجديد . ترى ما عسى أن يكون أولئك عليه في الحريات سنوات الثمانين ؟ .

هذه ملاحظة منطقية يستنتجها الباحث من دون لبس . ولكن الملاحظ أيضاً أن الثقافة في الأردن تسير كرقاص الساعة . هنالك بوادر ليست خفية إلى أن ملامح الحركة الثقافية في الأردن خلال العقد القادم ستكون ثقافة الابتعاد عن التأثر بالأدب الأوروبي والاتجاه الواعي الجاد نحو التراث العربي الإسلامي ، بثقة واتزان .

الهوامش

(١) يراجع في هذا الفصل عدة دراسات جادة ، وهي :

عيسى الناعوري ، **الحركة الشعرية في الضفة الشرقية** ، (عمان ، وزارة الثقافة والشباب ، ١٩٨٠م) ، ص ١٩ ـ ٢٣ ، والكتاب كله عبارة عن مقالات مبكرة لأشهر أدباء الأردن في فترة الإمارة .

سليمان موسى ، **وجوه وملامح : صور شخصية لبعض رجال السياسة والقلم** ، (عمان ، وزارة الثقافة ، ١٩٨٠م) .

تركي أحمد الزعبي ، **الحركة الشعرية في بلاط الملك عبد الله بن الحسين : ١٩٢١ ـ ١٩٤٨م** ، (عمان ، وزارة الثقافة ، ١٩٨٠م) .

كايد مصطفى عاشم ، **شباب الأردن في الميزان : مساجلات الملك عبد الله وعبد الحليم عباس** ، (عمان ، ١٩٧٩م) .

محمد كمبوش ، **أوراق عمرار السياسية : وثائق مصطفى وهبي التل** ، (عمان ، ١٩٨٠م) ، والكتاب عبارة عن دراسة ونصوص لما نشره عرار في الصحف وأعده ، ولو أنه سياسي الصفة ، إلا أنه دليل جد الفائدة للحركة الأدبية في الثلاثينات من القرن العشرين في شرق الأردن .

(٢) يراجع في هذ الأمر الإيجابي الذي حققته وحدة الضفتين

ثقافتنا في خمس عاماً ، تحرير عبد الرحيم عمر ، عمان ، دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٧٢م .

(٣) أصدرت دائرة الثقافة والفنون الأردنية عدة مجاميع أدبية اختيرت على عشرات الأدباء الملاحة في مجالي القصة القصيرة والشعر ، حتفهم من كتّاب الضفتين خمسينات وستينات :

ألوان من الشعر الأردني ، عمان ، الأسرة الثقافة والفنون ، ١٩٧٣م .

مختارات من القصة الأردنية . عمان ، دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٧٦م .

(٤) الإحصائيات أدناه توضح الصورة بشكل مثير :

٦٧٪ من سكان الأردن هم من دون سن ٢٤ سنة .

السكان من ٦ ـ ١٨ سنة وهو سن سنوات التعليم الإلزامي والثانوي والذين في المدارس يشكلون ٢٧٪ من السكان عموماً (أعلى نسبة في العالم هي أمريكا بشكل ١٤٪ فقط) .

الطلبة في المرحلة الثانوية فقط يشكلون ٣٥٪ من السن في هذه المرحلة . وهي أعلى نسبة في العالم . نسبة الطلبة الجامعيين (١٨ ـ ٢٢ سنة) إلى من هم في سنها هي ٢٢٪ ، قارن (إفريقيا ١,٣٪ ، بقية الوطن العربي ٣,١٪ ، آسيا ٤,٧٪ ، أمريكا اللاتينية ٥٪ ، الولايات المتحدة ١٤٪ ، أوروبا والاتحاد السوفياتي ١٦,٧٪) . . . والأردن ٢٢٪) .

أن في الأردن باستمرار حاصلون على الشهادة الجامعية الأولى وما بعد يشكلون نسبة التخصصات في العلوم ٢٥٪ مقابل ١٧٪ في موضوعات الإنسانيات . هذا يدور بعضهم إلى مجتمع متخصص بالإنسانيات أي الثقافة عموماً .

(٥) يمكن النظر في الملاحظة الثانية على أنها دليل وقعي لما يذهب المؤلف إليه . قرر حوالي عشرين كتاباً نشرتها وزارة الثقافة والشباب ، كان نصيب الكتّاب الشباب حوالي ١٧ كتاباً . ومن الأربع جوائز تقديرية التي منحتها وزارة الثقافة في السنتين الماضيتين ، أحرز الشباب على ثلاث ونصف منها (أي شارك أحد الكتّاب الشيوخ بنصف جائزة مع أحد من الشباب .

(٦) يلفت ، ولسبب معرفة الأردني الكثف لغة أخرى إلى جانب العربية ، تعثر حركة الترجمة أكثر الأنماط الثقافية حظاً في الأردن . . . لا بل تكاد النسخة الثقافية العلمية تخلو من ترجمات عن أية لغة ! وهو أمر يدعو إلى الدراسة لمعرفة أسبابه الحقيقية . ويتوقف ذاته ، إلى انعكاسين من الأدبيين لنخبة أجنبية قلائل جداً ، أو معدودون . ما نرغبه من ذلك لا نجد أي لغة أو توجه نحو الأدب العربي القديم أو الحديث . . . حتى في أوساط العرب القاطنين تحت الاحتلال الصهيوني .

(٧) خلال هذين عماً من تاريخ حركة الأدبية الأردنية ، لا نجد أكثر من بضع دويبات فضفاضة وضع صرخيات أدبية ، يتقابل هنالك ما لا يقل عن مائتين وخمسين شاعراً ، وناثر كاتب قصة قصيرة !

الشاعر الدكتور أسامة عبد الرحمن من شعراء المملكة العربية السعودية المبدعين والمقلين في نتاجهم الشعري.. وبمناسبة صدور ديوانه الأول «واستوت على الجودي» أخيراً، يسعد المجلة أن تنشر للشاعر هذه القصيدة، وهي إحدى قصائد الديوان تحية له، وتقديراً لشعره.

رسالة إلى أبي العلاء المعري

شعر:
د. أسامة عبد الرحمن

ما للحياة أمان .. والردى قدر ... فما الذي منهما يا صاح .. تنتظر؟
كم من عيون .. عليها الدمع رقعته ... كالبحر يرسو على شطآنها .. السهر
وكم قلوب .. بها الايام قد عصفت ... وكان فيها .. ربيع الحب .. يزدهر
وكم نفوس .. غدت صحراء مجدبة ... وكان يعزف .. في أرجائها .. المطر
مالي ارى الناس لم تدرك مداركهم ... معنى الحياة .. ولم توقظهمو العبر
يستسلمون .. إلى الاحلام .. تنقلهم ... إلى شواطىء .. فيها .. يسبح القمر
إلى جنان .. شذاها الخلو .. يسكرهم ... والافق من حولهم .. كالنار يستعر
اني عجبت من الانسان .. ماابتسمت ... له البشائر .. إلا تعبس النذر
يمضي الفضاء به .. في غيهب جلل ... وليس يغفل عن أقداره .. القدر
وتستبد به .. في الارض عاصفة من الحروب .. فلا تبقي ولاتذر
وينشب الظلم منه .. فيه مخلبه ... فهو الضحية .. وهو الظالم الاشر
تكاد تدمغه بالحق .. صفحته ... حمراء .. منها الدم المسفوك ينهمر
والبر .. والبحر..والاحواء .. شاهدة ... والسهل .. والسفح..والانسان ..والشجر
ان الحياة .. التي تلهو بزهرتها ... يكاد يمحقنا .. من حولها .. الخطر
كأنما نحن في الدنيا .. وزينتها ... مثل الفراش .. على الانوار .. ينتحر

• • •

يا من أطل على الدنيا .. بنافذة ... من البصيرة .. لايرقى لها .. البصر
لقد تركت..كنور الشمس .. فلسفة ... في كل ناحية .. في الارض تنتشر
وقد رسمت .. لنا الدنيا .. ولم ترها ... وكل رسمك .. فيه تنطق الصور
هل يدرك الناس .. ماقدمت من قيم ... أم أنها .. فوق مايستلهم البشر ؟



من المكتبة السعودية

يسعد مجلة «الفيصل» أن تفتح هذه النافذة الجديدة إلى جانب النوافذ الأخرى، للإسهام في تسليط الأضواء على الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية من خلال إصدارات الكتب العديدة في مختلف فروع المعارف الإنسانية.. وذلك لإيمانها بفاعلية هذا الاهتمام الهادف إلى مد جسور جديدة بين الحركة الأدبية والعلمية في المملكة، وبين القراء في الوطن العربي الكبير.

وقد استقطبت المجلة لتحقيق هذا الهدف أقلام النقاد والباحثين والدارسين في مختلف أقطار الوطن العربي.

ولكي تحقق ما تطمح إليه فإن الكتّاب والأدباء والمؤسسات الثقافية السعودية مدعوة للتعاون معنا بتزويدنا بنسخ من الإصدارات القديم منها والجديد.. والله الموفق.

● الكتاب: خواطر جريئة

● المؤلف: حسن عبد الله آل الشيخ

● الناشر: تهامة ـ جدة (سلسلة الكتاب العربي السعودي ٤٨) ط١، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، (١٧٦ ص).

ما هذه الخواطر؟

يجيب المؤلف في مقدمة موجزة عنوانها (هذه الخواطر):

«هذه الخواطر تهمني كثيراً لأنها ليست كلاماً عابراً أسطره ليقال: «لقد كتب كذا وكذا»، لكنني أريد بها إسهاماً علمياً متواضعاً في «موكب الإصلاح» الذي يستدعي كل قلم وصوت ودم.

ونكون الجناة لو تركنا كل ما نستطيع بذله في سبيل بلوغ المستوى الأفضل.. ولا أدعي لخواطري فوق ما تستحق، فهي محاولة ربما لا تكون متكاملة، لكنها «صادقة» في إحساسي بها، ورغبتي في إبلاغها، والصدق في الأمر يدفع إلى نجاحه، أو إلى راحة الضمير بإعلانه والجهر به».

وكما فهمنا من المقدمة الموجزة ما هذه الخواطر، نعلم ـ أيضاً ـ أن تلك الخواطر بدأ نشرها في جريدة «البلاد» من قبل.

ونبدأ فنوجّه كلمتنا إلى تلك الدار الأنيقة الناهضة التي نشرت الكتاب فنقول: كنا نتمنى مع هذا الإخراج الفني الرائع أن يضمّ الكتاب فهرساً يكون مدخلاً إلى محتوياته، هذه المحتويات المتنوعة التي تبدأ بعنوان «خواطر جريئة»، ونتصور أن للفهارس أهميتها في الدراسات الحديثة، سواء ما يتصل منها بالموضوعات، أو ما يتصل بالشخصيات، وقد ورد بالكتاب حديث عن شخصيات وسير وتاريخ، وكان من الممكن أن يقوم الفهرس بالمدخل الحق إلى التعرف على تلك الشخصيات، وهذه السير، وتلك الأحداث.

وقد تفرض علينا طبيعة هذا الكتاب ـ ونحن في صدد الحديث عنه ـ أن نلمّ بطرف مما جاء به بقدر ما يسمح هذا المجال المحدود، واضعين عنوانات بقدر ما نفهم من مدلول الخاطرة.

الأفكار والمبادئ:

يتناول في هذه الخاطرة الأولى في الكتاب الصلة بين الأفكار والمبادئ من ناحية والتطبيق لها من ناحية أخرى، إذ يمثل التطبيق المظهر الواعي الصادق للقناعة بها وقبولها.

التقدم وتبعاته:

وفي مقدمتها أن يعتبر كل شخص نفسه مسؤولا. والكتّاب بأنواعهم، والوشاية، والارتشاء.. إلخ.

وهناك خواطر دارت حول كتب صدرت، من ذلك كتاب (بلشفة الإسلام) للدكتور صلاح الدين المنجد، وحديث عن العلم والدين.

كذلك حديثه عن كتاب للمؤلف الفرنسي «جوستاف لوبون» يبحث في الحالة النفسية للجماعة.

وعن كتاب طبي يتحدث عن «البنسلين»، وكتاب وجهاً لوجه للدكتور إيلي سالم، وحديث طيب عن الشعر، ومعالم على الطريق لسيد قطب... إلخ.

أما ما يتصل بالسيرة والأعلام، وهنا نلتقي بحديث حول جلالة الملك عبد العزيز والإمام الشيخ محمد عبد الوهاب، والستين الخالدين، والإمام محمد بن سعود، وسيد قطب، والشيخ أبو الحسن الندوي.. إلخ.

كما نلتقي بحديث عن جولات في أوروبا مع العلم والجامعات قام بها المؤلف.

هذا عن القسم الأول

أما القسم الثاني





★ د. محمد بن سعد بن حسين ★



★ حسن عبدالله آل الشيخ ★



فهو بعنوان خواطر سريعة، نقتطف منها ما يلي :

● التراحم، وتحمل الأخطاء غير المقصودة، والنصيحة المشروعة بشروطها هي سمات المجتمع المسلم.

● الوفاء هو السمة البارزة لعظماء من الرجال.

● النفاق، وإن راج زمناً فهو على المدى الطويل عملة زائفة.

● الذي يتخلى عن صديقه في الرخاء يجب ألا يبحث عنه في الشدة.

● أصعب المواقف أن تكون (محباً غير محبوب).

● أكثر الناس حلماً قد تضطره ظروفه إلى الغضب.

● الكثير من أخطاء الناس كانت بفعل المحيطين بهم.

● الكتاب : المعارضات في الشعر العربي

● المؤلف : الدكتور محمد بن سعد بن حسين

● الناشر : النادي الأدبي بالرياض ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م (كتاب الشهر ١٦) ٣٤٤ ص.

أقبل الشعراء على المعارضة وارتادوها فناً شعرياً محبباً، وكان ذلك - في حد ذاته - تبارياً فنياً تتباين فيه الثقافة والاستعداد الفكري والذهني والإبداعي، وشيء طريف حقاً أن يتصدى الدارسون لجمع ما قيل في مجال المعارضات الشعرية، فهذا باب شعري واسع رحب فسيح.

وقد تصدى كثير من الباحثين من قبل لجمع المعارضات عامة، أو معارضة قصيدة بعينها مثل معارضة القصيدة الدالية للحصري القيرواني التي مطلعها :

يا ليل الصب متى غده
أقيام الساعة موعده
رقد السمار فأرقه
أسف للبين يردده

وقد نيفت معارضاتها على أربعين قصيدة، ومنها ما فاق القصيدة الأولى المعارضة - بفتح الراء -، ولعل في مقدمة هذه القصائد المعارضة - بكسر الراء - دالية شوقي، وفيها يقول :

مضناك جفاه مرقده
وبكاه ورثى لسهده
حيران القلب معذبه
مقروح الجفن مسهده

كما عارض شوقي البوصيري في قصيدته (البردة) التي مطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

فقال شوقي في (نهج البردة) :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
رمى القضاء بعيني جؤذر أسداً
يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم

وقد عقد الباحث ستة فصول تناول في الأول منها التعريف بالمعارضات والفرق بينها وبين النقائض، وفي الثاني نشأتها، وفي الثالث المدائح النبوية وأشهر معارضاتها، وفي الرابع قصيدتين شهرتا بالمعارضة، وفي الخامس معارضات رائدي الشعر في العصر الحديث : البارودي وشوقي، وفي السادس المعارضات عند أمير الشعراء أحمد شوقي.

وقد كان من الأولى أن يتجرد عنوان الفصل الخامس للحديث عن البارودي ولا يجمع إليه شوقي، إذ أفرد له فصلاً خاصاً هو الفصل السادس.

كما كنا نتوقع من بحث أكاديمي طيب كهذا البحث أن يتضمن خاتمة توجز أهم نتائجه، وتقفنا على الخطوط الأساسية للبحث.

كما كنا نتوقع أيضاً أن نجد ثبتاً بالمصادر والمراجع، أو أهمها، ليمكن لمن يشاء الرجوع إلى ما يريد الاتساع فيه، وقد يقلل من هذه الملاحظة، ورود كثير من الهوامش في المناطق المختلفة تحمل أسماء المراجع والمصادر التي رجع إليها.

والبحث - في مجمله - ذو منزلة لدى قراء الشعر العربي، فقد ألفت الأذن العربية معارضات العصر العباسي، والأندلسي، والمملوكي، حتى كان العصر الحديث فألفنا معارضات في المدائح النبوية، ومعارضات لمقصورة ابن دريد، ودالية المصري، حتى نقف على أبرز معارضي الشعر في العصر الحديث، وهما رائدا الكبيران : محمود سامي البارودي، شاعر السيف والقلم، وأحمد شوقي أمير الشعراء.

يقول البارودي معارضاً البوصيري :

يا رائد البرق يمم دارة العلم
وازجر الغمام إلى حيي بذي سلم
وإذا مررت على البطحاء فامر لها
أخلاف سارية هتانة الديم





★ خليل إبراهيم الفزيع ★

● الكتاب : الساعة والنخلة (مجموعة قصصية).

● المؤلف : خليل إبراهيم الفزيع.

● الناشر : مطابع قطر ـ الدوحة (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

على الرغم مما يحتويه عنوان هذه المجموعة (الساعة والنخلة) للقاص خليل إبراهيم الفزيع من إيحاء رمزي، فإن المجموعة في مجملها تعتمد على الطريقة التقليدية في سرد أحداثها، ورصد معالم شخوصها، وتبدو هذه الطريقة وسيلة اعتمدها القاص لرصد جزئيات دقيقة للحدث القصصي، بل إن هذه الطريقة ساعدت كذلك على رسم أدق تفاصيل الشخصيات القصصية التي بقيت مع ذلك كله دائرة في فلك الخصوصية، ولم تنجح أدوات القاص الفنية في بعض القصص إلى الارتفاع والسمو بها إلى مصاف النماذج المطلقة.

والقصص في مجموعها ترسم معالم الإنسان ـ كما يذكر القاص في تقديمه للمجموعة ـ لكنه لم يحقق الهدف المحقيق لنقل الفكرة بمفهومها المطلق، الشمولي والعام، للقارئ إلا في بعض أقاصيصه، وتبدو أول أقاصيص المجموعة هي أكثرها دقة في نقل أبعاد الفكرة في قالبها الإنساني العام. فالقصة تقف على حياة الإنسان، توحي سماته وصفاته بجنونه، بل إن تصرفاته تؤكد هذا الجنون، ويأخذ الناس في مقاومته والسخرية منه، ويتولد مع كل من المقاومة والسخرية، المرارة والضحك، بل الرفض والقبول، وتبدأ المعاناة الحقيقية لهذا الإنسان المرفوض مع كل أشكال التعامل، ولعل الفكرة هنا ـ وهي فكرة الرفض ـ هي التي تبلور البعد الإنساني للشخصية القصصية.

بيد أن القاص يتعامل مع عناصر العمل الفني تعاملاً متعمداً، بمعنى أن السياق التقليدي يفرض على رواية هذه الفكرة، فتبدو اللغة منتقاة بغية رسم صور مختارة ومتعمدة، بل إن اللغة ذاتها تبدو مترهلة ومتحملة أكثر مما تحتاجه داخل السياق للتعبير عن هذه الشخصية، وهذا ما يلمسه القارئ في بعض قصص المجموعة الأخرى، ولا يخفى أن التدقيق في رسم مثل هذه الشخصية ذات البعد الإنساني العام تحتاج إلى رصد لعوالمها الباطنية الخفية اللامحسوسة، أي أنها تحتاج إلى لغة نفسية تتناسب مع طبيعة معاناتها الدائمة، ومثل هذا التعبير اللغوي يكون أكثر حاجة إلى التركيز والتكثيف والتأكيد على رصد دوافع السلوك النفسية، وليس التركيز على السلوك ذاته، ولنقرأ هذا الجزء في محاولة القاص إعطاء القارئ لمحة عن شخصيته القصصية في أقصوصته المذكورة آنفاً:

(وهذا الإنسان... نغمة شاذة في لحن الحياة الذي يعزفه على قيثارة الوجود سكان هذه المدينة الطيبة... عرفته أزقة المدينة وحاراتها المتشحة بالقدم وزواياها المعتمة إلا نادراً...).

وتبدو مثل هذه اللوحات التقليدية مرغمة القاص على فرض أحكام عامة، ومطلقة مسبقاً، لأن هذه الأحكام تبدو رغم منطقية عرضها، متناقضة مع طبيعة الشخصية الإنسانية التي سيتعاطف القاص معها تماماً فيما بعد، بالرغم من سلوكها الخاطئ في كثير من الأحيان، ولنقرأ هذا الجزء من نفس أقصوصته سابقة الذكر، يقول فيه:

(ولعل هيئته المزرية، وسلاطة لسانه، وتصرفاته الحرقاء هي التي أوحت إلى الناس بأنه مجنون، ولم يكن هذا اللقب يضايقه، بل وجد فيه ملاذاً لتبرير بعض أعماله المشينة...).

وتبدو طريقة السرد المباشر كذلك وسيلة من وسائل التعبير والأسلوب عنده، وإن وقع في كثير من قصصه في شرك المباشرة التقريرية في هذا الصدد، ففقد الأسلوب ألقه، وبدا للقارئ سبباً في ضعف سياق بعض قصص المجموعة، يقول في أقصوصة (ذو الرأي السديد)، على الرغم من ورود الحديث على لسان البطل:

(ولم يكن من طبعي الاندفاع في مثل هذه المواقف لتأكدي من أن الانفعال السريع الناتج عن الهياج العصبي لا يمكن أن يعطي نتيجة حسنة، فلا أفضل من تقليب الأمر على عدة وجوه قبل ادعاء الويل والثبور وعظائم الأمور...).

أضواء على شخصية المفكر

محمد المبارك

لا يسعنا في هذه الكلمات إلا أن نكتب الذكريات بعد أن كانت واقعاً وحقيقة، لعلّنا نوضح جانباً من شخصية فذة، ونفتح الطريق أمام الدارسين والباحثين ليكشفوا النقاب، ويتحدثوا عن مفكر وسياسي عظيم، عمل للإسلام قرابة نصف قرن، فكان نتاجه مناراً يضيء الطريق أمام الشباب المؤمن، ونبراساً يهتدي به التائهون عن طريق الحقيقة.. ذلك الإنسان هو «محمد المبارك» رحمه الله.

بقلم:
رياض صالح جنزرلي



في أضواء شخصيته

كان «محمد المبارك» مثالاً للمؤمن العامل العالم المدؤوب، يجوب العالم العربي والغربي، دون كلل أو فتور، ويجاهد في الله بقلمه وفكره، ويتابع أخبار العالم الإسلامي والمسلمين بدقة، ليعرف ما ينبغي أن يعرفه المسلم المسؤول.

كان واقع المسلمين شغله الشاغل وهمّه الدائم، يحاول أن يسد الثغرات ويوجه المسلمين في محنتهم، ويبصّرهم بحقيقة دينهم ودعوتهم. لذا كان أكثر ما يُفرحه ـ وتُرى ذلك على قسمات وجهه ـ بضاعة شاب نشأ في طاعة الله، أو رجوع مستشرق إلى الخط القويم، أو إيمان مفكر عظيم بعد إلحاد، إذ كان يشعر بقيمة هذا الربح الإنساني، وهو أعرف الناس بقدر الرجال. لقد كان يرى في الشباب المؤمن أمل الإسلام البعيد، والمنقذ الذي ينقذ هذه الأمة وينجيها من وعثاء الطريق، والنبتة الطيبة التي تثمر بعد حين.

كان الإسلام بالنسبة له هو الحياة كلها والقضية التي يعيش من أجلها، وكانت قضايا المسلمين هي الدائرة التي يقيم فيها وينطلق منها، وعلى هذا الأساس وضع سلسلة كتابه «**نظام الإسلام**» التي صدر منها ثلاثة كتب وهي: «**العقيدة والعبادة**» و«**الاقتصاد**» و«**الحكم والدولة**». قال لي مرّة: أدعو الله أن لا يتوفّاني قبل أن أنهي سلسلة كتابي «نظام الإسلام» إذ بقي منه

«نظام الأسرة» و «الأخلاق». ولكنني ماذا أفعل؟ فلا معين لي من الدارسين، على غرار المفكرين الغربيين، إذ تجد لكل واحد عشرات الطلاب يشتغلون معه، ويستقون من فكره. وفي كل حين تنشق لي قضية أو ثغرة في واقع المسلمين، فأجد لزاماً عليّ أن أتوجّه إليها، والمسلمون غافلون.

هذا ما كان يتمتم به.... بساقة من الشباب المثقف المؤمن، تلتف حوله لتكمل المسير، وتحمل الراية من بعده.

وإنه مما يؤسف له أنّ من عاداتنا أن لا نولي الأحياء مزيداً من الاهتمام حتى يموتوا، فإذا ماتوا شعرنا بالحاجة الماسة إليهم.

من معالم فكره

من أبرز ما يمتاز به فكر «محمد المبارك» المعاصرة والتجديد: ضمن أساسيات الإسلام وانطلاقاً من **القرآن والسنّة**، ولقد استطاع أن يخرج بالفكر الإسلامي من مرحلة الدفاع عن الإسلام ومرحلة التلفيق بينه وبين الفكر الغربي إلى جعله منطلقاً أساسياً تنهاوى أمامه سائر المذاهب والاتجاهات الفكرية. ولقد أفاده في هذا رسوخ علمه في أساسيات الإسلام ودراسته لها على **والده وشيخه بدر الدين الحسني**، واطلاعه الدقيق على الفكر الغربي الحديث. **ويمكننا أن نلخص مرتكزات مدرسته الفكرية بما يلي:**

١ ـ **الأصالة والذاتية**: لم تكن دراسة «المبارك» في فرنسا وتعرفه على كبار المستشرقين لتؤثر في فكره، بل أعطته مدداً قوياً لنقد الفكر الغربي، ويسمو بالفكر الإسلامي يقول في ترجمة حياته الخاصة (ص ٤): إن هذه الدراسة وسعت آفاقي وأكسبتني بعض المزايا الفكرية، ولا سيما في طرائق البحث وأساليب التفكير، ولكنها لم تستطع أن تؤثر في معتقداتي ولا أن تغزو عقلي ولكنها زودتني معلومات نافعة ومناهج مفيدة، وأثارني جانبها السلبي وحفزني للرد عليها فتولدت في نفسي كثير من الأفكار الجديدة، واكتشفت كثيراً من جوانب عظمة الإسلام وكثيراً من خصائصه.

ويمكن للقارئ أن يرى هذه الأصالة وتلك الذاتية في سلسلة كتابه «نظام الإسلام» ورسالته «ذاتية الإسلام» وسائر مؤلفاته الإسلامية المختلفة.

٢ ـ **ميزان النسب**: وهو أن تعطي الأمور قيمتها الحقيقية كما أعطاها إياه الإسلام. فلا تعطي مسألة قيمتها عشرون بالمئة أهمية مسألة قيمتها ثمانون بالمئة وكذلك العكس فكان يقول: لو أن النسب تغيرت عن قيمتها الحقيقية لدى الفرد المسلم لكان أشبه بـ(الكاريكاتير). لذا كان ينبذ الإفراط والتفريط، ويؤلمه ما يراه من صراعات قائمة بين أفراد الجماعات والاتجاهات الإسلامية، ممن تغيرت النسب لديهم، أو غيروها بأنفسهم، وكان يحاول دائماً أن يوجد النمط المتكامل عقلاً وروحاً.

٣ ـ **نبذه للتعصب**: والتعصب عنده ليس هو الانتماء إلى فرقة دون فرقة، بل التعصب هو الانغلاق على فكرة واحدة، وعدم قبول الحق من أي مشرب آخر، لذا كان يدعو المسلمين لأن يطلقوا الحرية لعقولهم، ويفكروا بطريقة مثلى على هدي الكتاب والسنّة ومذاهب الأئمة الأربعة. ومن هذا المنطلق عارض القوميين والحزبيين ودعاهم إلى دائرة الإسلام الكبرى.

٤ ـ **عدم الجمود**: لا نقصد بالجمود الانغلاق والتعصب بل السكون وعدم السعي لمعرفة فكر الآخرين، فقد كان يدعو ـ رحمه الله ـ إلى الانطلاق والتحرك لفهم الآخرين، ومعرفة ما لديهم والاتصال بهم، ومن ثم عرض الإسلام الحقيق عليهم. ولقد اتخذ هذا المسلك سمة في شخصيته منذ أن كان في فرنسا، فاستمع إليه يقول في ترجمة حياته الخاصة (ص ٤): «وكنت خلال دراستي في باريس كثير التطلع لمعرفة مختلف آفاق المعرفة، فلم أكن أقتصر على محاضرات الجامعة، بل كنت أحضر المنتديات والمحاضرات العامة، وأتردد على مختلف المعاهد العلمية والنوادي على تعدد اتجاهاتها وألوانها، وأتصل بالمجتمع اتصال بحث وتعرف، استعداداً لاستثمار هذه المعرفة في



★ النبع من المغفور ★

مجال الدعوة الإسلامية».

٥ ـ **موقفه من المستشرقين**: يقسم ـ محمد المبارك ـ المستشرقين إلى فئتين:

● **الفئة الأولى**: فئة أنصفت الإسلام وذكرت ما فيه من محاسن مثل: «**موريس بوكاي**» و «**جاك أوستروي**» لذا كان يثني عليهم خيراً ويذكرهم في دروسه ومحاضراته.

● **الفئة الثانية**: وهي فئة لم تعرف الإسلام حقيقة لذا فهي تتهمه جهلاً، وهذه الفئة تحتاج ـ في نظره ـ إلى نوعية، وتنبيه ونقاد، حتى تصحح ما لديها من أفكار مغلوطة، فكان لا يمنعه أن يتصل بها ليعرض عليها الإسلام حقيقة وينفي ما اعتقدت به وهماً، بالدليل والبرهان العلمي والعملي. وقد حدث ذلك مرة في «**مؤتمر لاهور**» **سنة ١٩٥٧م**، حيث ناقش أمام الحضور «**جون كروبناوم**» وأعلن ذاتية الإسلام، وحاجة المستشرقين إلى إعادة النظر فيما كتبوه عن الإسلام.

٦ ـ **موقفه من القومية**: فهو لا يمانع أن تكون القومية مجرد انتماء فحسب، قد يفتخر به الإنسان إن كان فيها ما يفخر به، إلا أنه يعتبرها مرحلة سابقة ومرحلة متخلفة عما هو أرقى، كما لا يمكن اعتبارها انتماءً عضائياً لأنها غير نابعة من الفكر وحرية الرأي والإيمان، «بل هي انتماء قسري ـ كالانتماء إلى القطيع ـ لا فضل للإنسان فيه ولا يكسبه مزية، ولا يغض من صاحبه، ولا ينتقص من



★ الشيخ محمد الخضر حسين ★

قدّره[1] . وأما عن تحالف «القومية» فيقول : « إن الوقوف بالأمة عند مرحلة (القومية) جمود بل رجعية مذمومة وتخلف وتأخر . وإن جعل القومية هي الهدف والغاية ضرب من الوثنية ، وجعل روابطها هي العليا أمر غير أخلاقي ولا إنساني ، وإنما هو عصبية قد تتعارض مع الحق ، وتسبب الحروب ، وتقنع التقدم الإنساني »[2] .

ويجعل الرابطة الدينية هي الرابطة العلمية الصحيحة فيقول : « ورابطة الدين ـ لدى التحليل العلمي لمضمونها ـ هي رابطة في المفاهيم الأساسية والحقائق الكبرى والقيم العليا ، وفي الإنسانية والكرامة الإنسانية ، وفي التشريع المبني على الحق ، وفي العقيدة المبنية على الحقيقة ، وعلى التصور الصحيح للوجود . هذه الرابطة إذن تكتل حول الحق والحقيقة والخير والفضيلة ، وكل تكتل آخر هو تكتل مبني على العصبية أو على النظم أو الشر أو السريرة أو المنفعة المحصورة بفئة خاصة ، أو على تصور ناقص للحقيقة والحق »[3] .

٧ ـ **موقفه من المسيحية** : وقد ظهر هذا الموقف واضحاً في السنين الأخيرة من حياته ، وبعد تجربة طويلة ، ولقاءات عديدة ، حاول فيها أن يبيّن للمسيحيين جهلهم بالدين الإسلامي ، ليصرفهم عن الكيد به ، وزيف ما كتب في كتبهم ليعودوا إلى الحقيقة .

ولقد حاول أن يجعل تقارباً ما ـ في بداية نشاطاته ـ بين المسيحية والإسلام على أساس التوحيد ، إلا أنه تبيّن له بعد ذلك عدم جدوى هذه اللقاءات الإسلامية المسيحية فأعرض عنها وأهملها ، ونقد الفكر المسيحي نقداً شديداً من نصوص التوراة والإنجيل .

مولده

ولد « محمد المبارك » سنة ١٩١٢ ميلادية[4] في دار ملاصقة **للمدرسة « العادلية »** أخفت فيما بعد بمقرّ المجمع العلمي العربي بدمشق .

كان **أبوه « عبد القادر المبارك »** عالماً لغوياً يدرّس اللغة العربية والدين في ثانوية دمشق الوحيدة يومئذ ، وعضواً في المجمع العربي بدمشق . يقول فيه **فضيلة الشيخ « علي الطنطاوي »** : « ما اجتمع لخت قط النساء في وقت واحد أعلم باللغة من عبد القادر المبارك ومحمد الخندي » . كما شهد بذلك **الشيخ محمد الخضر حسين** رحمه الله .

نشأ أبوه « محمداً » وكنّاه منذ صغره « بأبي هاشم » . كان جدّه الشيخ « محمد المبارك » من علماء دمشق وشيوخها ، تفرّد بينهم باللغة والأدب ونظم الشعر ، وقد ذكره الأستاذ **« محمد كرد علي »** في مذكراته .

أصل أسرته من « الجزائر العربية » . هاجر منها والد جدّه إثر الاحتلال الفرنسي حوالي سنة ١٨٤٥ م ، على رأس قافلة كبيرة من الجزائريين الذين كانوا ملتفين حوله .

نشأته

نشأ « محمد المبارك » في بيئة إسلامية محافظة بين إخوة خمسة وأخوتين ، فتأثر بعلوم أبيه ومكتبة جدّه . درس العربية وعلومها على والده ، كما درس العلوم الدينية على **شيخ علماء الشام الشيخ « محمد بدر الدين الحسني » الملقب بالمحدث الأكبر ـ محدث الديار الشامية** ـ وكان متفرّداً في عبادته وعلمه وتقواه ، فلازمه حتى نهاية دراسته الجامعية حيث توفاه الله سنة ١٩٣٥ م ، فبكى عليه تلميذه « المبارك » بكاءً مرّاً ، وقد عبّر عن ذلك بقوله في ترجمة شخصيته (ص ٣) « لم أبك على أحد بكائي عليه » .

أنهى دراسته الثانوية بتفوق ملحوظ في الآداب والرياضيات ، وتقدم بأوراقه ليدخل كلية الهندسة في « بيروت » إلا أنه غيّر رأيه **ودرس الحقوق ، والآداب بمدرسة الآداب العليا بجامعة دمشق ، فتخرّج سنة ١٩٣٥ م ، وعمل فترة قصيرة كوكيل للمحامي « أسعد الغاشي »** .

حصل على منحة لدراسة الأدب في فرنسا ، فدخل **جامعة « السوربون »** في « باريس » ، ودرس العلوم الإسلامية في **معهد الدراسات الإسلامية** التابع لها ، ودرس الأدب العربي والثقافة الإسلامية . فعرف المستشرقين عن كثب ، وناقشهم بما يعتقدون ، وصحح لهم آراءهم . خصّص السنة الأولى لدراسة الأدب العربي ، والسنة الثانية لدراسة الأدب الفرنسي ، والسنة الثالثة لدراسة علم الاجتماع ، **فحصل على شهادة الليسانس في الآداب سنة ١٩٣٧ م ، ودبلوم علم الاجتماع والأخلاق سنة ١٩٣٨ م** .

أفاد من دراسته في « فرنسا » إفادة كبيرة ، وتعرّف على كبار المفكرين والمستشرقين الغربيين ، واطلع على أصول الثقافة الغربية ، ونهل المعرفة من منابعها ، وكان من أساتذته في قسم علم الاجتماع كبار تلاميذ « دركهايم » وزملائه مثل : « **فوكونه** Fauconnet » و « **هالفاكس** Hallvaks » و « **ألبير بايه** A. Bayet » .

ثم رجع إلى دمشق **وعمل مدرّساً للغة العربية في المدارس الثانوية** في حلب سنة ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ م ، وبعد سنتين انتقل إلى دمشق ليدرّس في ثانويتها الكبرى الأدب العربي ، والأخلاق ، والمنطق ، والنصوص الفلسفية ، كما درّس في دار المعلمين ثم دار المعلمين العليا .

وفي عام ١٩٤٥م، عيّنه المشرف العام على وزارة المعارف الأستاذ «**ساطع الحصري**» مفتشاً عاماً على سورية لمادتي اللغة العربية والدين، واللغة الفرنسية أحياناً، فوضع مناهج هاتين المادتين لجميع سنوات التعليم الثانوي الست بأسلوب علمي جديد غير مسبوق.

وفي عام ١٩٤٧م، قدّم استقالته من وزارة التربية ليتمكن من ترشيح نفسه للانتخابات النيابية في مدينة دمشق تلبية لرغبة **رابطة العلماء والجمعيات الإسلامية**، واستمر نشاطه الإسلامي السياسي حتى عام ١٩٥٩م.

نشاطه السياسي

فاز «محمد المبارك» سنة ١٩٤٧م، مع مرشحي دمشق من الجمعية الإسلامية، فكان نائباً عن مدينة دمشق، ثم **شغل منصب وزير للأشغال العامة والمواصلات** سنة ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠م، ثم **وزير للزراعة** سنة ١٩٥١م. وبعد ذلك سقطت الوزارة في عهد «**أديب الشيشكلي**» رئيس الدولة، وانتُخب سنة ١٩٥٤م، مجلس نيابي جديد فرشح نفسه نائباً مستقلاً عن مدينة دمشق، ونجح في الانتخابات، وكان قد **عيّن سفيراً لسورية في «إيران»** فاستقال قبل مباشرته للعمل ليتفرغ لعضوية مجلس النواب. واستمر نائباً حتى عام ١٩٥٩م، حيث قامت الوحدة بين سورية ومصر، فانصرف إلى العمل العلمي، ولم يشارك منذ ذلك الحين في العمل السياسي.

عمله في التدريس الجامعي

لم يحل النشاط السياسي عن استمراره في التدريس، فقد درّس سنة ١٩٤٨م، مادة فقه اللغة، ثم الدراسات القرآنية في قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق.

وفي عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥م، الدراسي أسس كلية الشريعة في جامعة دمشق بجهود العالم المفكر «**مصطفى السباعي**» ـ رحمه الله ـ ومساعي «**محمد المبارك**». فشارك في وضع خطتها ومناهجها، واقترح لأول مرّة، تدريس مادة «نظام الإسلام» ومادة «حاضر العالم الإسلامي»، كما درّس فيها منذ سنة ١٩٥٤م، وحتى سنة ١٩٦٦م، وشغل منصب عميد لها منذ سنة ١٩٥٨م، وحتى سنة ١٩٦٤م.

وفي عام ١٩٦٦م، انتدب من جامعة دمشق إلى **جامعة أم درمان الإسلامية في السودان** ليشغل منصب أستاذ ورئيس قسم الدراسات الإسلامية.

وأستاذ محاضر في **جامعة الخرطوم** في كلية الحقوق (قسم الشريعة) منذ عام ١٩٦٧م، وحتى عام ١٩٦٩م. ولقد أحب السودان وأحبه أهلها لنشاطه الإسلامي وحركته الدائبة، ووعيه الجيد، وإخلاصه المستمر.

وفي عام ١٩٦٩م، اقترح عليه معالي **وزير المعارف في المملكة العربية السعودية** العمل فيها، فرحب بالاقتراح، واختار مكة المكرمة، **فعيّن أستاذاً ورئيساً لقسم الشريعة والدراسات الإسلامية في كلية الشريعة بمكة المكرمة**، وشارك في وضع مناهجها وخطتها، كما **كان عضواً للمجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة**.

ثم **أصبح مستشاراً وأستاذاً باحثاً في جامعة الملك عبد العزيز بجدة** سنة ١٩٧٣م، وفي عام ١٩٧٨م، انتدبته جامعة الملك عبد العزيز للتدريس في الجامعة الأردنية ليعمل فيها أستاذاً للثقافة الإسلامية، وعلم الاجتماع، بالفصل الدراسي الثاني من كل عام، واستمر في هذا العمل إلى حين وفاته.

★ بريشة حمدوني ★



مشاركاته

كان عضواً في لجنة الشانويات الشرعية في سورية سنة ١٩٤٢م، وعضواً في لجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف سنة ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧م، ووضع مناهج مادتي اللغة العربية والدين كما أشرنا سابقاً.

كما شارك في عام ١٩٥٤م، في وضع مناهج وخططات كلية الشريعة بدمشق. وفي عام ١٩٦٠م، اختاره مجلس جامعة دمشق ممثلاً لها في المجلس الأعلى للتخطيط الجامعي للجمهورية العربية المتحدة في القاهرة. وفي عام ١٩٦١م، كان عضو لجان التخطيط في جامعة الأزهر الشريف.

وفي عام ١٩٦٢م، كان عضو المجلس الأعلى الاستشاري في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

وفي عام ١٩٦٤م، شارك في وضع خطة لكلية الشريعة في مكة المكرمة، ولكلية التربية من جهة الثقافة الإسلامية، وكان أول من اقترح جمع الكليتين وتسميتها بجامعة أم القرى كما ورد في مذكراته.

وفي صيف عام ١٩٦٦م، اشترك في وضع خطط الكليات والأقسام في جامعة أم درمان الإسلامية.

وفي عام ١٩٧١م، دُعي للمشاركة في وضع خطة للدراسة في معهد القضاء العالي في الرياض.

كما شارك في أكثر المؤتمرات الإسلامية التي عقدت في العالم الغربي والإسلامي في كراتشي، ولاهور، ودمشق، ومكة المكرمة، ومقديشو، والقدس، وطرابلس الغرب، والجزائر، والمغرب، والأردن، وأندونيسيا، وفرنسا، وإيطاليا.. كما **كان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق والقاهرة وبغداد**.

ولقد شارك في اللقاءات الإسلامية المسيحية، وأشهرها اللقاء الذي مثّله وفد كبير من العلماء والمفكرين من المملكة العربية

السعودية في «**دولة الفاتيكان**» ثم باريس وإسبانيا وذلك سنة ١٩٧٤م، إلا أنه أخبرني بعد ذلك شفوياً عن رأيه الأخير في هذه اللقاءات، بأنها لا تجدي نفعاً، لذا فقد اعتذر [redacted] عن الحضور في مؤتمر السيحي الذي عقد في مدينة طرابلس الغرب في ليبيا مع بداية الحرب اللبنانية وكان مصيره الفشل.

اتصل بعدد من المفكرين الغربيين وخاصة الذين أنصفوا الإسلام، واعترفوا بفضله على الحضارة والإنسانية مثل «**زيغريد هونكه**» المستشرقة الألمانية، و«**موريس بوكاي**» و«**روجيه جارودي**» الفرنسيين، وكان يثني على ما كتبه «**الدوس هكسلي**» الفيلسوف الإنجليزي حول الإيمان بالله وأهمية العقيدة الإلهية في النفوس البشرية. وما كتبه المفكر الاقتصادي الفرنسي «**جاك أوستروي**» عن استقلال نظام الإسلام الاقتصادي وقدرته على حل المشكلة الاقتصادية العالمية، كما بيّن فساد النظم الاقتصادية الرأسمالية والاشتراكية.

وفاته

كان كعادته ـ رحمه الله ـ يقصد المدينة للزيارة، فقصدها مع زوجته وابنته يوم الاثنين ١٤٠٢/٢/٤هـ، وفي صبيحة يوم الخميس ١٤٠٢/٢/٧هـ، الموافق ١٩٨١/١٢/٣م، أدركته الوفاة بالسكتة القلبية، وهو في طريقه إلى الطبيب مع أحد إخوانه، بعد وقت قصير من عبارة قالها وهو يمرّ من أمام مقبرة البقيع: «**هنيئاً لمن يُدفن في البقيع**» وكأنه قد صدق الله فصدقه، فاختاره الله في تلك الأراضي الطيبة ليدفن مع أهل البقيع وبيناً بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوات المسلمين.

أذيع النبأ عبر جميع وسائل الاتصال، وفجعت الأمة الإسلامية بفقيدها الجاهد، وأقيمت التعازي في المدينة المنورة، ومكة المكرمة، ودمشق، وعمّان، ورثاه المسلمون بدموعهم قبل دعائهم، ودفن بعد صلاة الجمعة في أرض البقيع الطيبة.



★ محمد كرد علي ★

ولقد رثاه الشاعر الإسلامي **ضياء الدين الصابوني** بقصيدة جميلة منها:

أبكي الشمائل والفضائل والنهى
أبكي الأخوة والوداد الأكملا
فلقد عرفتك مخلصاً متواضعاً
ولقد عـرفتك في المكارم أوّلا
ما مات من تركَ المفاخر بعده
أبداً ولا نال العلا مثن أهملا
راض الصعاب بهمّة جبّارة
وحلا له مُرّ الحياة وما حلا
لا راعنا فيك الزمان فأنتم
أمل الشباب إذا القضاء تنزّلا
فاهنأ أخي بجبرة محمودة
جُعلت لكم جنات عدن منزلا

آثاره ومؤلفاته

تنوعت آثاره بين اللغة والأدب، والإسلاميات، والدراسات الاجتماعية، ضمن أطر من الأصالة والذاتية والتفكير الحرّ القائم على أصول المنطق السليم.

ولقد خلّف لنا مجموعة من الكتب والرسائل النافعة التي عالجت أهم قضايا المسلمين، وواقعهم هي:

(١) سلسلة نظام الإسلام صدر منها: (العقيدة والعبادة)، (الاقتصاد)، (الحكم والدولة).

(٢) المجتمع الإسلامي المعاصر.

(٣) الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية.

(٤) آراء ابن تيمية في الدولة ومدى تدخلها في المجال الاقتصادي.

(٥) دراسة أدبية لنصوص من القرآن.

(٦) نحو إنسانية سعيدة.

(٧) فقه اللغة وخصائص العربية.

(٨) فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ.

(٩) عبقرية اللغة العربية.

(١٠) الأمة العربية في معركة تحقيق الذات.

(١١) الأمة والعوامل المكوّنة لها.

(١٢) العقيدة في القرآن الكريم.

(١٣) ذاتية الإسلام أمام المذاهب والعقائد.

(١٤) نحو وعي إسلامي جديد.

(١٥) المشكلة الثقافية في العالم الإسلامي.

(١٦) جذور الأزمة في المجتمع الإسلامي.

(١٧) مذكرات في الثقافة الإسلامية.

(١٨) الإسلام والفكر العلمي.

(١٩) نظرة الإسلام العامة إلى الوجود وأثرها في الحضارة.

(٢٠) بين الثقافتين الغربية والإسلامية.

هذا ما عدا عدد من المقالات في كثير من المجلات الإسلامية العلمية، وكان آخر مقال له في **مجلة «الأمة»** الصادرة **من دولة قطر**[٣] وموضوعها: «مفهوم الأمة بين النظريات الاجتماعية والتصور الإسلامي». وهو من أجود المقالات في موضوعه.

الهوامش

(١) مجلة «الأمة» مفهوم الأمة، ص ١٤.

(٢) م.س.

(٣) هذا التاريخ بناء على تعليقه الشخصي، وأما تاريخ النشر بالمكاتبة الرجعية فهو ١٩١٤ ميلادية.

(٤) العدد الأول ـ السنة التاسعة ١٤٠٢/١/١هـ.

العام الدولي للكبار

الحاجة إلى إنشاء مركز عربي لرعاية المسنين

بقلم: د. لطفي بركات أحمد

وعلى ضوء هذا فإن الحاجة ماسة إلى إنشاء مركز عربي لرعاية المسنين، وتقديم الخدمات التوجيهية اللازمة لهم؛ وهذه الحاجة نابعة من هدي شريعتنا الإسلامية السمحاء، التي أوجبت رعاية المسنين وتقديم العون لهم مصداقاً لقوله تعالى ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً** ﴾ (سورة الإسراء، الآيتان ٢٢ ـ ٢٣).

إن رعاية المسنين يمكن النظر إليها من أكثر من زاوية مثل:

(١) إن كبر السن هو أولا مرحلة من مراحل العمر وهو آخر المرحلة؛ ولا شك أن المرء عندما يتصور نفسه في آخر مراحل العمر وقد آمن واطمأن على ظروف معيشته، فإن ذلك سوف ينعكس على كفايته الإنتاجية وهو في مقتبل العمر.

(٢) إن إهمال المسنين بعد أن شاركوا في تنمية مجتمعهم وهم في مقتبل العمر؛ فيه نكران للجميل وإجحاف بحقوقهم.

(٣) إن إهمال المسنين قد يؤثر في شخصياتهم وأنماط سلوكهم حيث يصبحون شديدي العناد؛ شديدي النقد؛ شديدي التسلط؛ شديدي الملل؛ فيفقدون ما تبقى لهم من العمر في معاناة نفسية حادة وتقلبات انفعالية متواصلة.

(٤) إن إهمال المسنين قد يؤدي إلى تزايد حالات جنون الشيخوخة بالإضافة إلى تدهور الصحة بوجه عام.

(٥) إن المسنين هم أنفسهم طاقة يمكن استثمارها، والإفادة من خبراتها وتجاربها، وإلا تحولت هذه الطاقة إلى عامل هدم بدلا من أن تكون عامل بناء.

(٦) إن النمو المطرد لعلم النفس الشيخوخة ولعلم الشيخوخة الاجتماعي كمرحلة جديدة من مراحل النشاط العلمي؛ تحمل في طياتها الحاجة الملحة إلى دراسات وبحوث تقويمية وبرامج متسقة للتدريب على أساليب رعاية المسنين.

ولعل هذا كله وغيره: يستوجب السعي الجاد الهادف إلى إنشاء مركز عربي لرعاية المسنين للوفاء بالاحتياجات التالية الضرورية لهم:

١ ـ حاجة المسنين إلى فهم أنفسهم حتى يمكنهم أن يدركوا عوامل التغيرات التي تطرأ على طاقتهم العقلية والنفسية والجسمية والاجتماعية في آخر مراحل العمر؛ الأمر الذي يعد جوهرياً بالنسبة لتقبلهم حالتهم عن طيب خاطر، وتحقيق أكبر قدر ممكن من التكيف السليم مع من حولهم وما حولهم.

٢ ـ حاجة المسنين إلى اكتساب خبرات ومهارات جديدة كأساس لنشاطهم بعد تقاعدهم، كشغل أنفسهم بالعمل والخدمات التطوعية، والتعبير الخلاق من أجل ضمان حسن توافقهم مع الآخرين ومن أجل مقاومة التدهور العقلي الذي قد يتعرضون له في هذه المرحلة المتقدمة من العمر.

٣ ـ حاجة المسنين إلى تزويدهم بمعلومات عن فرص ومجالات العمل المناسبة بعد تقاعدهم، وأساليب الرعاية الصحية التي تلائم مرحلة أعمارهم وسبل توفير الموارد المالية لهم وغيرها.

٤ ـ تزويد النشء بأمور الشيخوخة ومشكلات المسنين للقضاء على المفاهيم الخاطئة والشائعة بينهم بأن المسنين يعيشون على هامش الحياة، وأنهم غير منتجين وأنهم عالة على المجتمع، وإبراز ما لدى المسنين من حكمة في الحياة وثمرات من خبراتها وتجاربها، وأنه

يمكن الاستفادة من هذا كله في تعديل أساليب الحياة المجتمعية نحو الأفضل .

٥ ـ الحاجة إلى عقد دورات تدريبية متقدمة للعاملين في مجال تعليم وتدريب المسنين ، على أن تتضمن هذه الدورات ـ مثلاً ـ الموضوعات التالية :

- معرفة الظواهر الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية للمسنين .
- خبرات في مجالات العلاقات الإنسانية الطيبة ، وأساليب خدمة الجماعة .
- معلومات عن الإمكانات والموارد المتعددة التي يمكن أن تشارك في مواجهة مشكلات المسنين .
- معلومات تربوية متجددة لمواجهة احتياجات المسنين ومطالبهم في الإقامة والدخل والصحة والعمل .

٦ ـ الحاجة إلى وضع برامج للتدريب المهني للمسنين تتناسب مع قدراتهم وميولهم واستعداداتهم وخبراتهم السابقة للإفادة من طاقاتهم ، وإزاحة الملل عنهم ، وإدماجهم في واقعهم لآخر مراحل العمر .

٧ ـ الحاجة إلى إتاحة الفرص أمام المسنين في المشاركة حسب قدراتهم في تقديم الخدمات الاستشارية والتوجيهية لمجتمعاتهم .

٨ ـ الحاجة إلى تضمين برامج كليات ومعاهد إعداد المعلمين بمقررات عن المسنين ، كعلم النفس الشيخوخة ، وعلم الشيخوخة الاجتماعي ، وأساليب تعليم الكبار الأميين .

٩ ـ الحاجة إلى اهتمام أجهزة البحوث التربوية والاجتماعية بإجراء بحوث ودراسات حقلية في مجالات التوجيه التربوي والإرشاد النفسي للمسنين ، لتوفير المعلومات اللازمة عنهم ، بحيث لا تقتصر على مجرد الإحاطة باحتياجاتهم ومطالبهم ؛ بل تتعداها إلى العمل على إعادة تنظيم المجتمع بحيث لا يظل المسنين فيه فئة خاصة منعزلة عن واقعها الاجتماعي .

هذا : ويمكن أن يتضمن الهيكل التنظيمي للمركز المقترح الوحدات التالية :

١ ـ وحدة إعداد ونشر الملخصات الفنية التي تتناول النواحي النفسية والاجتماعية للمسنين .

٢ ـ وحدة نشر الكتب والمؤلفات الخاصة بعلمي النفس الشيخوخة ، والشيخوخة الاجتماعي ويكون من مهامها إبراز المؤثرات المجتمعية والثقافية للشيخوخة على الفرد ، وتأثير المسنين أنفسهم على الثقافة والجماعات وأنماط السلوك في مجتمعاتهم ، والشؤون الخاصة بأساليب رعايتهم وحسن توجيههم ، ومجالات الترويح المناسبة لهم وغيرها .

٣ ـ وحدة التعرف على واقع المسنين ومطالبهم وأمانيهم ومشكلاتهم ، يكون من مهامها إبراز هذا الواقع بما فيه من سلبيات وإيجابيات ، وحصر المطالب والأماني والمشكلات الأكثر ترددا ، والعمل على وضع الحلول المناسبة لها .

٤ ـ وحدة الخدمات الترويحية ، ويكون من مهامها إعانة المسنين على تقرير مركزهم ومكانتهم الاجتماعية حتى يشعرون باستمرارية الانتماء إلى واقعهم ، وحتى يغتربوا عن الوهم الذي قد يلاحقهم بأن حقبة إنتاجهم قد ولت ، وحتى يمكن مساعدتهم على الإنعاش الفكري والعاطفي والروحي ، والتقدم في النضج الاجتماعي .

٥ ـ وحدة الإعلام ويكون من مسؤولياتها مثلاً ما يأتي :

- إعداد تقارير تكون بمثابة مصدر إعلامي عن خصائص المسنين والبرامج المعدة للوفاء باحتياجاتهم .
- إعداد تقارير عن برامج التأهيل المهني ، وبرامج الضمان الاجتماعي للمسنين .
- إعداد تقارير عن برامج النشاط في محيط المسنين وأماكن المنشآت الصحية والنفسية والاجتماعية المعدة لهم .
- إعداد تقارير عن الأعداد الحالية والمرتقبة للمسنين وتوزيعهم وبيانات مفصلة أخرى .
- إعداد تقارير عن المتغيرات التي تطرأ على الحالة السكانية للمسنين والأوضاع الخاصة بالصحة والمرض والعجز ، ومدى إمكانية الاستفادة من المؤسسات والهيئات والجمعيات الموجودة بالبيئات المحلية في هذا الشأن .
- إعداد تقارير عن برامج التأمين الصحي ودخول المسنين ومصروفات الصحة والرعاية الاجتماعية والنفسية ومشروعات الإفادة من المسنين ونظم التقاعد وغيرها .

إن مثل هذا المقترح المقدم قد يحقق عائداً تربوياً واجتماعياً لرعاية وتوجيه المسنين وقد يجيب على العديد من الأسئلة التي تسرعى شؤون المسنين مثل :

★ في أي سن يجب أن يعتزل المواطن العمل المنتج ؟

★ ما المشكلات المتوقعة التي قد يواجهها المسنون ؟

★ ما الحلول الممكنة لمواجهة مشكلات المسنين ؟

★ ما دور كليات ومعاهد إعداد المعلمين والأخصائيين في رعاية المسنين ؟

★ ما مسؤوليات أجهزة البحث التربوي والاجتماعي في المشاركة في توجيه المسنين ؟

★ ما الإجراءات الوقائية اللازمة لمواجهة حالات التقاعد ؟

★ ما الأساليب الممكنة التي يمكن توظيفها بالنسبة للسنوات الأخيرة من العمر لتصبح فترة زمنية محببة ومقبولة ؟

التربية وعملية

بقلم : د. تركي رابح

أولا : طبيعة العصر الذي نعد له

إذا تأملنا في مراحل الفكر التربوي التي قطعها منذ ظهرت التربية المقصودة في شكل مدارس ومعاهد في العالم حتى الآن ، فإننا نجد أن التربية والتعليم تختلف من عصر إلى عصر ، بل ومن مجتمع إلى مجتمع ، حتى في العصر الواحد ، بالنظر إلى اختلاف المجتمعات في درجة التقدم والتطور ، وذلك أن لكل عصر تربية خاصة تتلاءم مع درجة التطور التي بلغها الناس فيه ، ومع المتطلبات التي يتطلبها المجتمع من التربية والتعليم في ذلك العصر .

وإذا بحثنا نحن عن مميزات وخصائص عصرنا الذي نعيش فيه الآن ، فإننا نجد أن أبرز مميزاته هي أنه عصر الفضاء الخارجي .. وعصر الأقمار الصناعية .. وعصر سفن الفضاء التي تجوب منذ سنوات مختلف الكواكب السيارة في المجموعة الشمسية بقصد معرفتها ، والكشف عن أسرارها ، تمهيداً للسيطرة عليها إن أمكن ، ومن هنا فهو عصر أهم خصائصه العلم والتكنولوجيا على أرفع مستويات العلم والتكنولوجيا .. وعصر تراكم المعرفة في شتى المجالات بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية ، ولذلك فهو عصر يتطلب نوعاً خاصاً من التربية والتعليم يختلف اختلافاً جذرياً عن نوع التربية والتعليم التي كانت سائدة .

ثانياً : مفهوم التربية في وقتنا الحاضر

إذ تأملنا في مفهوم التربية ورسالتها في وقتنا الحاضر ، فإننا نجد أن هذه الرسالة وذلك المفهوم قد تغيرا هما أيضاً تغيراً جذرياً .

فمفهوم التربية ورسالتها لم يعودا في وقتنا الحاضر ، كما كانا في الماضي ، عبارة عن عملية « اكساب الجسم والروح أقصى ما يستطيعان بلوغه من الكمال » ، أو « تحقيق السعادة عن طريق الفضيلة الخالصة » ، أو « تحقيق فردية الإنسان » إلى غير ذلك من المدلولات والمفاهيم التي كانت تطلق على التربية في العصور الماضية ، لقد تغير ذلك إلى مفهوم جديد ، **فأصبحت التربية الآن هي عبارة عن « مجموع الجهود التي بواسطتها تغرس الجماعة أغراضها ، وقدراتها المكتسبة بقصد ضمان استمرار وجودها وتحقيق نموها ...** أو هي : عبارة عن « عملية اجتماعية تبنيها الجماعة للأجيال الصاعدة من أبنائها لكي تعدهم عن طريق اجتيازها لمعضوية الجماعة ، والمساهمة في نشاطها ، والقيام بدورهم كاملاً في تحمل مسؤولياتها يوم يتخلى عن هذه المسؤوليات الجيل الحاضر من أجياها المتعاقبة » ، ولذلك فإن **مفهوم التربية ورسالتها في وقتنا الحاضر ، أصبح عبارة عن : عملية ، وفن ، وإنتاج في وقت واحد :** فهو عملية لأن التربية هي عملية تكوين المواطنين الصالحين الذين يخدمون الوطن ، ويستثمرون خيراته ، وهو فن ، لأن التربية هي فن أو علم صناعة المواطنين الذين تتكون منهم الجماعة الصالحة المنتجة .

والتربية إنتاج لأنها تنتج لنا نوعاً من الثقافة التي تربط بين الوطن ، وبين الجماعة التي تعيش فوق أديمه ، وبواسطتها تحافظ الجماعة على تماسكها الاجتماعي ، وطابعها الوطني الخاص بها بين بقية الجماعات الأخرى ، وتتميز عن طريقها الشخصية الوطنية لكل جماعة .

ثالثاً : التربية ملجأ المصلحين لتغيير الأوضاع الفاسدة

لقد كانت التربية ، ولا تزال هي ملجأ المصلحين ، وقادة المجتمع في سائر مراحل التاريخ ، يلجؤون إليها لتحقيق رسالتهم الإصلاحية من أجل تغيير أوضاع المجتمع من حال إلى حال ، لأن كل إصلاح يقوم في المجتمع يحتمل بل يغلب أن ينهار إن لم تعد الأجيال التي ستنتفع به لكي يعديها ويقومها في الوقت نفسه الإعداد التربوي والنفسي والخلقي السليم .

ومن هنا يجب علينا الاعتراف بأن كل أنواع الإصلاح التي نحاول القيام بها في شتى مرافق البلاد الحيوية ، ومن بينها الجهاز التعليمي برمته ، سوف تظل سطحية ومعرضة للانهيار طالما هي مفروضة من أعلى حتى تسعفها التربية لتكوين الجيل الصالح الذي يتجاوب معها تجاوباً متبادلاً .

وهكذا فإن التربية ، بوصفها أساس الإصلاح في المجتمع ، هي المسؤولة عن الصورة التي ستسود هذه البلاد في أجيالها المقبلة . وإن عليها إذن أن تعد نفسها لتوجيه هذه الأجيال التوجيه الذي يخدم عملية التنمية الشاملة في البلاد .

وإذا سلّمنا بأن رسالة التربية الحقيقية في وقتنا الراهن هي صناعة المواطنين الصالحين المنتجين الذين يجمعون بين المعرفة النظرية في أرفع مستوياتها ، وبين العمل اليدوي في أرقى مهاراته ، في تلاؤم وانسجام ، فيفكرون بعقولهم تفكيراً علمياً مبنياً على الملاحظة والتجربة الحية ،

تكوين المواطن الصالح

وينفذون بأيديهم في الحقول ، والمصانع والمعامل ما يهتدون إليه من نظريات وتجارب داخل المعامل العلمية ، ومعاهد البحث العلمي ، فإن المواطن الصالح الذي نحلم أو على الأصح نطمح من معاهد التربية والتعليم في بلادنا العربية أن تعده لنا ، هو المواطن الذي يجب أن يجمع في شخصيته بين العلم النظري ، والعمل التطبيقي ، حتى يمكنه أن يعيش في عصر العلم والتكنولوجيا .

رابعاً : عوامل تكوين المواطن الصالح

وعملية تكوين المواطن الصالح تشترك فيها ثلاث مؤسسات أو ثلاث جهات هي الأسرة ، والمدرسة ، والمجتمع .

ولذلك يحسن بنا أن نعرف بإيجاز دور كل واحدة منها في بناء وتكوين هذا المواطن وأوجه الصعوبات والعراقيل التي تقف في وجهها .

(أ) الأسرة :

لا يمكن أن نعرف دور الأسرة في عملية تكوين المواطن الصالح إلا إذا عرفنا خصائص الأسرة العربية بصفة عامة في الوقت الراهن وهل هي تساعد على هذا التكوين أم تقف عائقاً في طريقه .

إذا تأملنا في حالة الأغلبية الساحقة من الأسر وخصوصاً في الريف فإن الظاهرة التي تبرز لنا واضحة جلية هي **الأمية** . وأعني بالأمية هنا معناها الشامل الذي يشمل الأمية التعليمية ، والأمية الصحية ، والأمية الفكرية ، والأمية السياسية ، والأمية الاجتماعية ، والأمية الدينية .

(ب) المجتمع :

والعامل الثاني من عوامل تكوين المواطن الصالح هو المجتمع ، **فما حال مجتمعنا في الوقت الحاضر؟ وهل تتوفر فيه الشروط التربوية والأخلاقية لتكوين هذا المواطن المنشود؟**

إذا كانت الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع كما يقول علماء الاجتماع ، فإن النقائص والسلبيات التي ذكرناها بالنسبة لمعظم أسرنا في الوقت الحاضر منذ قليل تنعكس بدورها على المجتمع ، ومن هنا فإن مجتمعنا في الوقت الحاضر يزخر بالسلبيات التي تعرقل المدرسة عن القيام بدورها الكامل في تكوين المواطن الصالح ، ولذلك فإن المجتمع قبل الأسرة عاجز هو الآخر عن المساهمة بالقدر المطلوب في تكوين المواطن الصالح ، وستزول هذه السلبيات عندما ينتشر التعليم على نطاق واسع في البلاد ، مما سيترتب عليه انتشار الوعي السياسي ، والاجتماعي ، والثقافي بين المواطنين .

(ج) المدرسة :

والعامل الثالث والأخير في تكوين المواطن الصالح هو « **المدرسة** » فالمدرسة في جميع مراحل التعليم مسؤوليتها الأولى هي تكوين المواطن ، ويلاحظ أن المدرسة الابتدائية تقف عند الحد الأدنى من حاجة المواطنة ، أما المدرسة الثانوية فإنها تتخطى هذا الحد الأدنى بكثير ، حيث يجب عليها أن تعمل على تكوين مجموعات من المواطنين أكثر استنارة ، وأكثر كفاية من ناحية القدرة على الخدمة العامة ممن تخرجهم المدارس الابتدائية .

وأما الجامعات فإن مسؤوليتها الأولى هي أن تعد للمجتمع طبقة على درجة عالية من الكفاءة والاستنارة ، أي أنها مسؤولة عن تخريج المواطنين القادة في المجتمع في مختلف مجالات العلم والمعرفة كالأطباء ، والمهندسين ، والأساتذة ، والاختصاصيين في كل مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية ، كما أن من وظائف الجامعة كذلك هو العمل على تحسين المعرفة ، وترقية الثقافة ، بالإضافة إلى التكوين المهني والعلمي للمواطنين القادة .

وظائف المدرسة الأساسية

١ـ وظيفة المدرسة من الوجهة التعليمية الصرفة

فمن الوجهة التعليمية الصرفة ينبغي على مدارسنا أن تعمل على تعريف طلابها تعريفاً واضحاً بالمجتمع الذي يعيشون فيه وهذا يشمل تكوين المجتمع وقوانينه ، ونظمه السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، إلى غير ذلك ، كما يشمل أيضاً التعرف على مشاكل هذا المجتمع ، والعوامل التي تؤثر فيها أي أن المطلوب من المدرسة أن تعطي لتلاميذها صورة حيّة ، وديناميكية لواقع هذا المجتمع ، لا صورة « فوتوغرافية » ساكنة لأن المجتمع يفقد أهم مميزاته إذا فقد عنصر الحركة ، ولا تكتفي

فقط بتلقين المعلومات مفصولة عن واقع المجتمع وكأنها في واد والمجتمع في واد آخر .

٢ـ وظيفة المدرسة من الوجهة التربوية

ومن الوجهة التربوية ينبغي على مدارسنا أن تعمل على تدريب تلامذتها على الحياة الاجتماعية الصحيحة في داخلها بحيث يمارسونها ويواجهون مشاكلها ، ويعالجون هذه المشاكل بأنفسهم ، ولا يكون ذلك إلا بأن تجعل مدارسنا مجتمعاً حقيقياً له شكل المجتمع الحقيقي ، ونظامه ودستوره ، بحيث يشترك كل فرد في هذا المجتمع ويستفيد من اشتراكه فيه .

إن مدارسنا يجب أن تتحول إلى مجتمع حقيقي يمارس فيه الطفل الحياة الاجتماعية الحقيقية . وبالتالي يجب أن تقلع عن أن تكون مجرد دور للتعليم فقط كما هي الآن ، وأن تتحول إلى مجتمعات للتربية . وهذا لن يتحقق إلا إذا تحرر الجو المدرسي من عوامل الإملاء ، والقهر والسيطرة بقدر الإمكان . وذلك حتى يشعر التلاميذ أنهم يعيشون في مجتمع واحد مع معلميهم ومدير مدرستهم ، وبناء على ذلك يجب أن يكون دستور المعاملة بين التلاميذ والمعلمين وهيئة إدارة المدرسة أخوياً عاماً ، فيه إخوة كبارهم المعلمون والمدير وكل هيئة تسيير المدرسة ، وإخوة صغارهم التلاميذ ، وإن كان من أصعب الأمور في المدارس التوفيق بين الحرية ، والنظام ، أي بين توفير الحرية للتلاميذ من ناحية ، وبين حفظ النظام العام حتى لا تتحول المدارس إلى فوضى من ناحية أخرى .

خامساً : طريقة إعداد المواطن الصالح

(وتشمل العناية بالجوانب ، الفكرية ، والعاطفية ، والعملية في شخصية المواطن) .

هناك طريقة خاصة لإعداد المواطن الصالح ينبغي علينا أن نلم بها ولو بطريقة موجزة خصوصاً وقد شرعنا في تجربة تربوية هائلة في البلاد هي **المدرسة الأساسية**[٣] ذات التسع سنوات فما هي هذه الطريقة ؟ وما متطلباتها ؟

مما لا شك فيه أن طريقة إعداد المواطن الصالح المنتج من الناحية التربوية الخالصة يجب أن تتناول ثلاث نواح في شخصيته هي :

- الفكر .
- العاطفة .
- العمل .

الناحية الفكرية

ونقصد بالناحية الفكرية من تكوين شخصية المواطن أمرين :

★ **الأمر الأول** : هو أن نزوّد المواطن بالمعلومات الأساسية التي تسلحه بسلاح المعرفة وخصوصاً المعلومات المتصلة بشؤون وطنه ومجتمعه ، والمهنة التي سوف يزاولها بعد تخرّجه من معاهد التعليم .

★ **الأمر الثاني** : هو أن نـدرّبه على طـرق التفـكير العلمـي الصحيح المبني على الملاحظة والتجربة ، والنقد والمقارنة ، حتى تضمن تكوينه في الاتجاه الصحيح . ولذلك يجدر بالمعلّم أن يراعي في تعليمه لتلامذته الملاحظتين التاليتين :

● **الملاحظة الأولى** ، هي أن يثير في نفوسهم الرغبة الحقيقية في طلب المعرفة والاستزادة منها ، وأن يحاول توجيههم إلى كيفية البحث عنها بالطرق العلمية في مراجعها الخاصة ، لأنه لا يوجد أحـد في عصرنـا الحالي ، عصر تراكم العلوم والمعارف ، يعي في صدره جميع المعلومات والمعارف التي يحتاج إليها في حياته .

● **الملاحظة الثانية** ، التي يجب على المعلّم أن يراعيها في تعليمه هي : أن يعوّد تلامذته على غربلة المعلومات التي يقرؤونها في الكتب والصحف ، ومختلف المراجع العلمية لكي يتعودوا التمييز فيما بين الخطأ والصواب ، وبين الغث والسمين ، وبين الدعاية من الرواية والرأي الشخصي من الحقيقة العلمية الصحيحة .

الناحية العاطفية

ونقصد بتربية الناحية العاطفية من شخصية المواطن الصالح ، هو أن نغذي شعور المتعلم بكل العواطف النبيلة نحو وطنه العزيز ، وكل ما يتعلق به . ومن هذه العواطف على سبيل المثال عاطفة حب أرض الوطن التي سقاها آباؤه وأجداده بعرق الجبين ودم القلب ، جيلاً بعد جيل ، وضحّوا من أجل تحريرها مليون ونصف مليون شهيد .

ومن هذه العواطف كذلك : عاطفة حب المواطنين الذين يعيشون معنا في هذا الوطن العزيز ويتكلمون بلغتنا ويقرؤون بها ، ويشاطروننا الآمنا وآمالنا ، ويشاركوننا في الاعتزاز بما قدّم أجدادنا إلى الحضارة الإنسانية من روائع الفكر والعلم والفن .

ومن هذه العواطف كذلك : **حب الحياة المثلى** التي يسعى إليها المواطنون الذين يعيشون معنا على أرض الوطن ، والقيم الاجتماعية والدينية التي يؤمنون بها ، والمثل العليا التي يعيشون من أجلها ، إلى آخره .

الناحية العملية

ولا تكتمل تربية جوانب شخصية المواطن الصالح إلا إذا اقترن جانبها العملي بالناحيتين الفكرية والعاطفية . ونقصد بالناحية العملية في تكوين شخصية المواطن هو أن يكون مواطناً إيجابياً يؤمن بالأفعال دون الأقوال ، بحيث لا تتوقف محبته لوطنه ، ومحبته لشعبه ، عند حدود الأقوال فقط دون أن يتجاوزها إلى العمل النافع الذي يفيد وطنه وشعبه . فآفة الوطنية هي الجعجعة دون طحن كما يقول المثل . وهو ما نعبّر عنه أحياناً بالديماغوجية .

ومما لا شك فيه أن المدرسة لا تستطيع أن تعدّ التلاميذ للخدمة الوطنية المنتجة إلا إذا أفسحت لهم مجال الخدمة فيها ، وهم لا يزالون

يتعلمون بين أحضانها . فالمدرسة بعد المنزل ـ هي مجتمع التلاميذ الصغر ـ فإذا استطاع المعلّم أن يخلق فيها جواً اجتماعياً ملائماً كان هذا الجو من أقوى العوامل على التربية الوطنية العملية .

سادساً : المعلّم هو حجر الزاوية

إن مهنة التعليم هي المهنة الأساسية في المجتمع ، وكل مهنة أخرى هي إما فرع منها ، وإما معتمدة عليها ، ويبرز على رأس هذه المهنة الشريفة المعلّم ، وخطورة دوره . ولذلك فهو العامل الأساسي في عملية تكوين المواطن الصالح .

فالمعلّم هو الذي يشكل كل عامل في المجتمع ، خصوصاً إذا انتشر التعليم ، وأصبح لكل فرد في الوطن نصيب فيه . لذلك فإن الأساس الذي لا بد منه لكل إصلاح في التعليم إنما هو المعلّم الصالح الذي يدرك أهداف التعليم في المرحلة التي يعمل بها إدراكاً جيداً ويستطيع أن يساير عصره في تطوره وعلومه ومعارفه ، وتغيراته العلمية والتكنولوجية .

إن المعلّم يجب أن يكون مربياً ، كما يجب أن يكون هو العقل المفكر ، واليد المنفذة ، وهو في هذا المجال يجمع في شخصه بين صفات الفيلسوف ، وصفات المصلح الاجتماعي ، وصفات العالم المتفتح في وقت واحد .

فالمعلّم فيلسوف ، والمعلّم مصلح

وقد قال الشيخ ابن باديس رحمه الله ذات مرة جواباً عن سؤال وجّه إليه ، وهو لماذا لا تؤلّف كتباً تبقى مرجعاً للناس في الفكرة الإصلاحية بعد وفاتك ؟

فقال : شغلنا تأليف الرجال عن تأليف الكتب . فالشيخ ابن باديس[٣] كما هو معروف قد جمع في شخصه بين صفات المعلّم ، والمربي ، والفيلسوف ، والمصلح ، والعالم ، في وقت واحد ، وقد شغلته عملية تكوين جيل قائد في الجزائر يعمل على النهوض بها وتحريرها من الاحتلال عن عملية تأليف الكتب ، وإن كانت هامة ، إلا أنها ليست في أهمية تكوين الرجال ، وإصلاح المجتمع ، وهذا هو شأن المعلّمين المصلحين في كل زمن ومكان ، لذلك فإن الواجب هو أن يكون المعلّم الذي يهب نفسه لمهنة التعليم مصلحاً يشعر بشعور المصلح ، ويعمل عمل المصلحين ، لا عمل الموظفين الروتينيين ، وينبغي أن يكون شعوره في الإصلاح مبنياً على المعرفة ، والدراسة العلمية الدقيقة للمجتمع ، وللمحركات الفكرية والاجتماعية التي تختمر فيه . حتى يستطيع أن يساهم في الإصلاح عن بصيرة وعلم ويوجّهه التوجيه السليم .

والمعلّم رجل عالم ، لأنه لا يستطيع أن يرسم خطته في التربية والتعليم إلا إذا كان يتصف بما يتصف به العالم من بعد نظر ، وحسن تقدير للأمور ، وأثرها في تكوين الفرد والجماعة .

وهو رجل عالم ، لأنه يجب أن يكون دائماً على اتصال وثيق بمصادر المعرفة ، وبكل جديد يظهر في ميدان التربية والتعليم ، حتى يستطيع أن يكون معلّماً مجدداً وحيوياً ، وحتى يتمكن من تحقيق أهدافه ومثله العليا التي رسمها لنفسه ، باعتباره فيلسوفاً ومصلحاً ، وعالماً .

سابعاً : وجوب العناية بتكوين المعلّم

ولما كان المعلّم هو حجر الزاوية في كل إصلاح منشود في التعليم ، لذلك تجب العناية بعملية تكوين المعلّمين التكوين المطلوب ، ويجب عدم الشح في هذا التكوين لأن كل دينار أو درهم ينفق في سبيل تنشئة المعلّم الصالح إنما هو يؤتي ثماره المؤكدة ، في تكوين كل مواطن صالح مهما علت مرتبته ، وسما قدره ، ابتداء من أصغر الموظفين في الدولة ، إلى أعلى إنسان فيها وهم القادة والحكام والزعماء .

ولا شك أن المجتمع الذي يقصّر ، أو يبخل ، أو يشح في الإنفاق على عملية تكوين المعلّم الصالح لمدارسه إنما مثله مثل الجيش الذي يقصّر أو يبخل أو يشح في الإنفاق على تكوين القادة ، وهيئة أركان الحرب لمختلف أسلحته .

يقول **الأستاذ إسماعيل القباني** في كتابه « **دراسات في تنظيم التعليم بمصر** » (ص ٢٥) :

« إن المعلّم هو كل شيء في التعليم ، فمهما تدارسنا من الأنظمة والبرامج ما شئنا ، فما دامت تربية الأطفال موكولة إلى أناس ليست لهم صفة الأهلية للقيام بهذا العمل السامي ، فلا أمل في بناء الجيل القادم بناءً صحيحاً ، وإنه لمن قصر النظر أن نضن بقليل من المال في سبيل الحصول على معلّمين قادرين » .

وأختم هذه الدراسة القصيرة بنص للشيخ عبد الحميد بن باديس طيّب الله ذكراه في هذا الصدد يقول فيه :

« لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم ، فإن العلماء من الأمة بمثابة القلب من الجسم إذا صلح صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله . وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام وعملهم به . وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم ، فإذا كان علماؤهم أهل جمود في العلم ، وابتداع (أي بدعة) في العمل فكذلك المسلمون يكونون . فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم .

ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم ، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلّم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته ، وما يستقبل من عمل ، لنفسه وغيره ، فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم » والمعلّم هو أساس إصلاح التعليم .

وهكذا فإن المعلّم هو حجر الزاوية في كل إصلاح وتكوين للأجيال الصاعدة .

الهوامش

[illegible]

دور المحاسبة في التنمية الاقتصادية (*)

المحاسبة علم اجتماعي يهدف في المقام الأول إلى قياس وتوصيل المعلومات الضرورية لإدارة وتقييم أي وحدة اقتصادية . من هذا التعريف الموسع لعلم المحاسبة نجد أن مهنة المحاسبة والقائمين عليها يعملون في إطار إيجاد نظام معلومات يوثق به في المجتمع الذي يمارسون نشاطهم فيه . نظام المعلومات ذلك يؤدي دور مزدوج في البيئة الاجتماعية التي يوجد بها :

● **أولا** : إمداد القائمين على إدارة الوحدات الاقتصادية المختلفة بتقارير مالية وغيرها توضح الوضع الاقتصادي لتلك الوحدات .

● **ثانياً** : إعلام وتوجيه المجتمع في العموم عن الأوضاع المالية للوحدات الاقتصادية العاملة من خلال الدور الثاني الذي تقوم به مهنة المحاسبة نجد أن المعلومات المحاسبية تدخل في مجال اتخاذ القرارات التي تهم ذلك المجتمع لحاجة متخذي هذه القرارات إلى معلومات كمية وغيرها ترشدهم عن المخلفات المالية والاقتصادية في المجتمع وكذلك تستخدم كمؤشر في عمليات التوقع المستقبلي للأوضاع الاقتصادية المثلى .

إن مراجعة التطور التاريخي لعلم ومهنة المحاسبة تبرز أنها مصدراً حيوياً للمعلومات الكمية ذات الصبغة الاقتصادية ، هذه المعلومات تشكل اللبنة الأساسية في رسم سياسات وخطط التنمية الاقتصادية في أي مجتمع . فالمعلومات المحاسبية تعد من أهم المدخلات التي يعتمد عليها القائمون على رسم خطط التنمية سواء في مجال التخطيط ، أو اتخاذ القرارات ، أو تقييم الأداء ، أو الرقابة على تنفيذ الخطط ومتابعتها .

في السنوات الأخيرة نجد أن خطط التنمية الاقتصادية في البلاد الأقل نمواً قد أخذت في البروز على كل المستويات والتحرك في كل الاتجاهات مما يجعل العبء جد كبير على العاملين في مهنة المحاسبة وتنظم أجهزة المعلومات المالية في مواكبة هذا التطور ، وإعداد واضعي الخطط بالمعلومات المطلوبة سواء على مستوى الوحدات الاقتصادية الخاصة أو المستوى الوطني على العموم .

المقصود بالتنمية الاقتصادية

تحديد المقصود بالمعاني اللفظية يدفع الباحث إلى إيجاد تعاريف متفق عليها للدلالة على المراد تحديده من ألفاظ ، بيد أن الوصول إلى تعريف محدد في علم الاقتصاد على الخصوص والعلوم الإنسانية الأخرى على العموم ليس بالمشكلة السهلة الحل ، إذ إن هنالك تعريفات اقتصادية لعمليات التنمية الاقتصادية بعدد الكتّاب والباحثين الاقتصاديين الذين تداولوا الموضوع على التقريب ، هذا يعني أنه ليس هنالك تعريفاً اقتصادياً للتنمية الاقتصادية متفق عليه من قبل علماء الاقتصاد . **يقول الأستاذ** NICHOLAS KALDER : **« إن التنمية الاقتصادية هي العمل على تحقيق زيادة سريعة تراكمية ودائمة في الدخل الحقيقي عبر فترة ممتدة من الزمن »** [1] .

هذا التعريف لعملية التنمية الاقتصادية محدود الأفق لأنه ينظر إلى هذه العملية من نظرة نقدية مالية بحتة بحيث نجد أن منهاج وطريقة التنمية الاقتصادية التي تمر بها بلادنا ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية وسياسية أكبر بكثير من زيادة دخل الفرد ، وإن مشاريع وبرامج التنمية والتخطيط الاقتصادي تهدف في المقام الأول إلى بناء الإنسان في جميع جوانب الحياة بينما نجد أن **الدكتور فايز الحبيب يعرف التنمية الاقتصادية الشاملة بأنها « ذلك التطوير البنياني أو التغير البنياني للمجتمع بأبعاده الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية من أجل توفير الحياة الكريمة لجميع أفراد المجتمع »** [2] .

في هذا التعريف نجد أن الغرض الأساسي من عمليات وبرامج التنمية الاقتصادية هو تطوير الفرد أولا ، ثم أسلوب حياته ثانياً . وضمن أبعاده الاجتماعية والسياسية والدينية التي تحكم مجتمعه .

باحث اقتصادي آخر يؤكد أن هنالك ثلاثة عوامل لا بد من وجودها لإنجاح أهداف التنمية :

(١) تغير بنياني من شأنه تحقيق معدل مرتفع للزيادة من الدخل الفردي الحقيقي عبر فترة ممتدة من الزمن .

(٢) دفعة قوية ينبغي بفضلها التغلب على عوامل المقاومة الداخلية

إعـــداد:
د.عبدالله عبدالعزيز العبدالقادر

التي يمر بها الاقتصاد المتخلف.

(٣) استراتيجية ملائمة يتبنى بمقتضاها توفير أسباب الدفعة القوية اللازمة لتحقيق ذلك التغير البنائي الذي تتطلبه التنمية[٣].

هذه الثلاثة عوامل يمكن لها التفاعل فيما بينها من خلال عمليات التخطيط الاقتصادي الذي يدفع بعجلة التنمية الاقتصادية ويحقق الأهداف المرجوة منها، على أنه مهما تعددت طرائق التخطيط الاقتصادي للتنمية فإنه لا يتعدى أن يكون مجموعة من القرارات الشاملة التي تتخذ لتقرير مسارات التحرك التي سوف ينهجها الاقتصاد الوطني والقائمون على أمره. هذه القرارات المتخذة والبدائل المختارة لا يمكن الوصول إليها إلا بعد حصر وتقييم للموارد البشرية والمادية والمالية المتوفرة في المجتمع المراد التخطيط له، وإعداد البرامج والمشروعات التي تستخدم وتستغل تلك الموارد أكفأ استخدام، حسب الاستراتيجية التنموية التي تحكم عمليات التنمية الاقتصادية المتفق عليها أصلاً.

خلاصة القول إن عمليات التنمية الاقتصادية في ماهيتها وجوهرها ما هي إلا مجموعة قرارات متناسقة تتخذ بهدف الوصول إلى أغراض اقتصادية واجتماعية وسياسية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة.

دور المعلومات المحاسبية

المعلومات المحاسبية تعتبر وسائل أكثر منها غايات، إذ ليس لها قيمة جوهرية في حد ذاتها، ولكن قيمتها تكمن في كونها بدائل عن الأحداث الاقتصادية التي تمثلها. فإذا قبلنا بأن السياسات والخطط الاقتصادية بمعناها الشامل ما هي إلا وسائل لإنجاز بعض الأهداف الاقتصادية والاجتماعية، من هنا يتضح دور المعلومات المحاسبية في تقديم العون النفيس لإنجاز تلك الخطط وهذا ما سوف نأتي على تفصيله فيما يلي:

١ - دور المعلومات المحاسبية في تنمية الاقتصاديات المحلية فإن الاتجاه يركز عادة على تشجيع أسواق المال الداخلية، وذلك للمساعدة في تجميع رؤوس الأموال الصغيرة في ثنايا اقتصادية كبيرة، وتسهيل **عمليات تداول أسهم الشركات وتأسيسها** والمساهمة فيها. في هذا الصدد تعتبر المعلومات المحاسبية جد مهمة في تشجيع أسواق الأموال وزرع الثقة فيها لأن المعرفة بالمراكز المالية للوحدات الاقتصادية المتداول أسهمها، ودرجة السيولة بها، ودرجات الربحية لديها، يساعد المستثمرون على اتخاذ قرارات الاستثمار على معلومات أكثر عقلانية وذات مدلول مالي محدد. كذلك على المحاسبين والقائمين على أمر المهنة إيجاد المعايير والقواعد المحاسبية الحاكمة على إصدار ونشر تلك المعلومات وذلك لإضفاء صفة الرسمية عليها ورفع درجة الثقة بها.

(٢) مجموع المراكز المالية للوحدات الاقتصادية العاملة في البلاد بما فيها الدولة تعكس بوضوح المكانة الاقتصادية والوضع المالي للبلاد، على ذلك فإن القدرات الإدارية الفردية لهذه الوحدات تؤثر بصورة مباشرة في هيكل الاقتصاد الوطني. ففي كل مرة يتخذ قراراً بالإنتاج أو التسعير أو الاستثمار في هذه الوحدات بدون معلومات صحيحة ووافية وموثوق بها فإن الاحتمال يرجح بأن موارد البلاد قد تهدر أو يساء استعمالها. لذلك فإن **المعلومات المحاسبية الداخلة في عملية اتخاذ القرارات على مستوى الوحدات الاقتصادية في البلاد وتضم قياس وجمع وتوصيل هذه المعلومات جد مهم في تشكيل البنية الاقتصادية للبلاد ومن ثم دفع عجلة التنمية فيها.**

(٣) توفير الأموال والموارد المالية اللازمة لعمليات التنمية تعتمد على ما تحصله الدولة من ضرائب وإيرادات أخرى التي يلزم تحقيقها وتحصيلها إلى معلومات محاسبية دقيقة تقرر مقدار رؤوس الأموال المستثمرة والأرباح المحققة والتي يمكن فرض الضريبة أو الزكاة الشرعية عليها. هنا نجد أن للمحاسبة دوراً جد فعال في توفير البيانات والمعلومات التي يعتمد عليها جهاز تحقيق الضرائب التي تعتبر مصدراً مهماً لإنجاز أهداف التنمية الاقتصادية.

في بلادنا العزيزة قد لا تكون **للضرائب أو الزكاة الشرعية** النسبة الكبيرة في تمويل مشاريع التنمية الاقتصادية الجبارة حيث إن إيرادات صناعة البترول تغطي الجزء الأكبر من متطلبات مشاريع التنمية، ومع ذلك فإن للمعلومات المحاسبية المتعلقة بهذه الصناعة دوراً جد كبير في عمليات التخطيط لسياسات الإنتاج وتوقع الإيرادات وقرارات التسعير وغيرها. من هذا المقام يتوجب القول إن توطيد دعائم فكر محاسبي هذه الصناعة وغيرها من الصناعات الشابة مطلب وطني ومهمة سامية تضطلع بها مهنة المحاسبة والقائمون على أمرها.

(٤) برامج ومشاريع التنمية الاقتصادية المختلفة لا يمكن لها أن تؤدي الغرض الذي من أجله أعدت ما لم يكن دور الرقابة المالية عليها واضحاً وكذلك متابعة التنفيذ. وتقييم الأداء في هذا المجال نجد أن للمعلومات المحاسبية مساهمة فعالة في إمداد القائمين على أمر تنفيذ تلك البيانات والتقارير الدورية للمساعدة في كشف الانحرافات، وتبيان أسبابها، والمعاونة في اتخاذ القرارات الإدارية الصحيحة، وكذلك الربط بين المشاريع التنموية والأشخاص القائمين على أمرها عن طريق نظم محاسبة متطورة تحدد المسؤولية وتقييم الأداء.

(٥) دور التخطيط والتوقع المستقبلي في إعداد خطط التنمية الاقتصادية مهم جداً ويعتبر من الركائز المهمة التي تبنى النجاح لبرامج التنمية. في هذا المجال نجد أن المعلومات المحاسبية تقدم الخلفية التاريخية

التي تبنى عليها خطط التنمية من حيث المعلومات المدونة عن نتائج الأعمال السابقة ، وكذلك الأسلوب العلمي في التوقع ووضع التقديرات الأكثر احتمالا للتحقق . فإ محاسبة التكاليف والمحاسبة الإدارية إلا أداة ملّمة لتحقيق تلك الأغراض والمساهمة بالخبرة المكتسبة في التوقع المستقبلي بناء على العوامل الظاهرة والمعلومات المدوّنة .

دور المحاسبين في التنمية الاقتصادية

بعد أن أوضحنا الدور الذي تضطلع به المعلومات المحاسبية في إعداد وتنفيذ ومراقبة برامج التنمية الاقتصادية نجد أن هذه المعلومات لا يمكن لها الظهور إلى حيز الوجود وتقديم المساهمة المطلوبة منها إلا بعد أن يتفهم المحاسبون لدورهم في إعداد تلك المعلومات ، وكذلك التفكير الجدي في تطويرها وإخراجها من الدائرة التقليدية المالية التي تدور في أفقها . **فيما يلي نقدم بعض الاقتراحات التي تضع القائمين على أمر مهنة المحاسبة في الصورة لأداء الدور المطلوب منهم في عمليات التنمية الشاملة :**

(١) استيعاب استراتيجية وخطة التنمية بأبعادها المختلفة من حيث الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية التي ترمي إلى تحقيقها . وكذلك معرفة الاختيارات التي وضعها القطريون لتحقيق تلك الأهداف . هذه المعرفة توفر للمحاسب ويجهز المعلومات الخلفية اللازمة لإعداد المعلومات المطلوبة التي تساعد على تحقيق الهدف المرجو الوصول إليه . ذلك أن معرفة معد المعلومات بالغرض الذي من أجله والمجال الذي سوف تستخدم فيه تلك المعلومات يساعد على إعدادها بصور تساعد مستخدم تلك المعلومات في أداء مهمته .

(٢) توسيع دائرة وأفق الفكر المحاسبي حيث إن المعلومات المطلوبة لإعداد وتنفيذ ومتابعة الخطط الاقتصادية ذات صبغة ومغزى يختلف كثيراً عن المعلومات التقليدية التي تقدمها التقارير المحاسبية في العادة . مثال ذلك **مفاهيم المحاسبة المالية في التكلفة التاريخية ، وثبات القوة الشرائية للوحدات النقدية** وموضوعية القياس . هذه المفاهيم تحتاج إلى نوع من التطوير لكي تكون المعلومات المحاسبية المستخرجة من الدفاتر والتي تبنى على معلومات تجمع وتعد في ضوء مبادئ ومفاهيم تلائم احتياجات التنمية التي قد يكون من المفيد فيها الاعتماد على معلومات تصور توقعات مستقبلية ذات نظرة واقعية ، وإن كان في ذلك تضحية ببعض من دقة المعلومات التاريخية وخروجاً على **مبدأ القياس النقدي الثابت .**

(٣) تشجيع الاستثمار الأجنبي ومحاولة استقطابه للمساهمة في مشاريع التنمية ومشاركة الشركات الوطنية يوجب التفكير الجدي في تطوير نظم المحاسبة المعمول بها الآن ، وكذلك تطوير نظم جمع المعلومات وإثباتها بالوسائل الآلية الجديدة بما يلائم تلك المشاريع من طرائق محاسبية مرنة ومتطورة .

في هذا الصدد نجد أن القائمين على أمر المهنة والمنظمين لها لا بد لهم من طرح تعاريف جديدة لمعالجة المصاريف والإيرادات الداخلة في ذلك المجال ، وطرق قياس الربحية ، وإصدار ونشر التقارير المحاسبية بما يلائم روح العصر وظروف التنمية التي تمر بها .

(٤) ميزانية الدولة العامة أداة جد مهمة في تنفيذ برامج التنمية الاقتصادية للبلاد ، حيث إنها الترجمة المالية لسياسة الدولة النقدية والاقتصادية والوسيلة التي بواسطتها تخصص موازنات الصرف على المشاريع التنموية المختلفة .

الأسلوب المحاسبي المتبع في إعداد تلك الميزانية يتطلب جهداً تطويرياً كبيراً بحيث تخرج ميزانية البلاد من مجال الاعتمادات المقدرة مالياً إلى أسلوب ميزانيات الأداء وأساليب التحليل الكمي للمشاريع والبنود المدرجة أو حتى الميزانيات ذات الأساس الصفري في بعض الحالات وهذا يتطلب دراسات وأبحاث تستهدف تطوير أساليب إعداد الميزانية ، ومما يجب أن يؤخذ به لتحويل ميزانية الدولة العامة إلى وسيلة فعالة في الاستخدام الأرشد لموارد البلاد الاقتصادية .

الهوامش

(*) قرأت هذه الورقة في ندوة سبل تطوير المحاسبة في المملكة العربية السعودية ، بكلية العلوم الإدارية ، جامعة الرياض ، في الفترة ١٨ ـ ١٩ جمادى الأولى ١٤٠١هـ .

(١) Nicholas Kaldor, «Essays on Economic Stability and Growth», 1960, P. 23.

(٢) د . فايز الجيب : مفهوم التنمية وطرق قياسها : كلية العلوم الإدارية ـ جامعة الرياض ـ دورة الميزانية العامة كأداة للتنمية الاقتصادية ، محرم ١٤٠١هـ ـ ص ٣ .

(٣) د . محمد زكي شافعي : التنمية الاقتصادية : دار النهضة العربية ، ١٩٧٠م ، ص ٨٤ .

المراجع

١ ـ مراجع مشار إليها

Nicholas Kaldor, «Essays on Economic Stability and Growth», 1960, P. 23.

د . فايز الجيب : **مفهوم التنمية وطرق قياسها** : جامعة الرياض ـ كلية العلوم الإدارية ، دورة الميزانية العامة كأداة للتنمية الاقتصادية ، محرم ١٤٠١هـ ، ص ٣ .

د . محمد زكي شافعي : **التنمية الاقتصادية** : دار النهضة العربية ، ١٩٧٠م ، ص ٨٤ .

٢ ـ مراجع ذات علاقة بالبحث

Robert Seiler, «Accounting, Information Systems, and Underdeveloped Nations», Accounting Review, October, 1969, P. 952.

د . عبد الفتاح محمود عبد الفتاح : **الفكر المحاسبي والتنمية الاقتصادية** : ، مجلة المحاسبة والإدارة والتأمين ، العدد ١٢ ، سنة ١٩٧١م .

A. Shtewi, «The Role of Accounting and Accounts in the Developing Economy of Saudi Arabia», D. B. A. Dissertation, USC, 1970.

د . عبد الهادي عامر : **استراتيجية التنمية والبترول في المملكة العربية السعودية** ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٩٧٠م .

ذكرى عيد ربيع

شعر: جليلة رضا

عيد الربيع وأي عيد ربيع
والأفق يزف دامياً.. كصريع
غضبان أنت وحانق.. متذمر
متحجر.. بالثلج بغير دموع
تلك الرياح الخانقات أخالها
أنفاس جنٍّ راكض مدفوع
.. أين الطفولة في سناك سعيدة
تغزو الرياض بشدوها المسموع
يا ويح قلبك أيها العيد الذي
حنَّتْ إليه أزاهري وربوعي

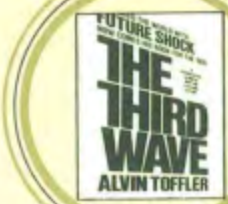
★ ★ ★

أنا.. أنا.. يا بؤس ما حلّاتني
من وحشة، وتغرب، ونزوع
إني انتظرتك فوق شط ضائع
ران الجمودُ عليه وسط صقيعي
لكنْ عبرتُ الجسر ثابتة الخطى
أطوي الخواجز في رضاء قنوع
صارعت عمري والشتاء أنينةً
وطويتُ عاصفتين خلف ضلوعي
ويبستُ.. فاستوحيتُ طيفك مقبلاً
يضفي الحياة على هشيم جذوعي
وفتحت قلبي مثل قصر فاخر
طلق المنى والعاطفات.. وسيع
.. حتى أتيتَ مُخيِّباً أمل الورى
فوددتُ لو تهفو إلى توديعي
أنضيت في الإصباح نبع مشاعري
فهجرتني.. سيفاً.. بغير دروع
وطوت بي عبر النهار.. سفينة
تلهو بها الأمواج دون قلوع
وأفضتني ليلاً.. فجاشت أدمعي
وتمازجت نيرانها بشموعي
لم تدر ما صنعت بداك بهجتي
وبكل قلب.. بالجمال.. ولوع
شم النسيم..؟ وما شممت سوى الردى
عيد الربيع.. وأي عيد ربيع!




مكتبة تهامة
الجديدة
طريقك
لمزيد من المعرفة
اخي القارئ .. مكتبة تهامة الجديدة تتيح لك فرصة الحصول على مختلف الكتب والمراجع العربية والاجنبية التي تناسب كافة المستويات . وتحتوي جميع الرفوف . بما الكتب العلمية والثقافية . والتاريخية . ومجموعة القواميس . وبعض اللغات . بالاضافة الى كتب للاطفال . الى جانب الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية ..
.. يقع في تعرف الى مساحة المكتبة ٧٥٠ متر مربع ..
نحن هنا
مكتبة تهامة
قم بزيارتنا
عنوان المكتبة

رحلة في كتاب



بقلم:
ألفن توفلر
عرض وتحليل:
د. أحمد عباس عبد البديع

الموجة الثالثة



★ الفن توفلر ★

«رؤية جديدة لتطور التاريخ، واستيعاب شامل لمدى واسع من الموضوعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، التي عالجها المؤلف ليستقرئ منها تصوره لمدنية المستقبل التي سوف تعيد تشكيل حياتنا من جديد!».

بينما يتأهب العالم لاستقبال القرن الحادي والعشرين، تتصاعد أهمية الدراسات المستقبلية التي بدأت منذ العقد السادس تشهد نشاطاً ملحوظاً بقيام العديد من الجماعات واللجان المعنية بوضع الخطط والوسائل الكفيلة بالمحافظة على الجنس البشري، وحماية البيئة من الآثار المدمرة الناجمة عن التطور التكنولوجي الراهن. وفي نفس الوقت يعكف كثير من العلماء والمفكرين على رصد ما يدور في عالمنا المعاصر من أحداث وتطورات مثيرة وصراعات محمومة، في محاولة منهم للبحث والتأمل في مستقبل الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والتنبؤ بما سوف يكون عليه مجتمع الغد. وقد تولد عن هذه الدراسات والتأملات أدب الدراسات المستقبلية، الذي أضحى يحتل مركز الصدارة بين مختلف الدراسات الإنسانية، ويحظى باهتمام بالغ من كافة الأوساط العلمية والسياسية والشعبية.

وإلى هذا اللون من الأدب ينتمي كتاب «**الموجة الثالثة**» الذي نقدم له هذا العرض، ويعتبر مؤلفه **ألفن توفلر** من ألمع المفكرين والكتّاب المستقبليين. وقد برز دوره بصفة خاصة في الجمعية الدولية لتقييم التكنولوجيا التي تأسست عام ١٩٧٢م، وفي عالم التأليف ذاعت شهرته منذ أن نشر كتابه «**صدمة المستقبل**» الذي كان له تأثير كبير على الفكر المعاصر فيما يتعلق بالموضوعات التي تتناول التغير الاجتماعي. وقد كان **توفلر** مراسلاً لعدد من المجلات، ثم عمل أستاذاً زائراً في جامعة **كورنيل**، وله عدد لا يحصى من المقالات في المجلات والصحف، كما حصل على خمس درجات شرفية في الآداب والقانون والعلوم.

وينطوي كتاب «**الموجة الثالثة**» على رؤية جديدة لتطور التاريخ، واستيعاب شامل لمدى واسع من الموضوعات السياسية والاجتماعية

والاقتصادية والنفسية التي عالجها المؤلف ببراعة فائقة ، ليستقرئ منها تصوره لمدنية المستقبل التي لن تكون ـ **كما يقول** ـ امتداداً للمدنية الحالية أو انعكاساً لها ، ولكنها سوف تعيد تشكيل حياتنا من جديد .

والكتاب ، فضلاً عن ذلك ، يتميز بأسلوبه الآخاذ الممتع الذي يمزج فيه الكاتب بين دقة التحليل العلمي ورشاقة الأدب الصحفي .

ويضم كتاب « **الموجة الثالثة** » خمسة وأربع وخمسين صفحة ، من بينها قائمة بالمراجع التي تشتمل على خمسة وأربعة وثلاثين مرجعاً ، بالإضافة إلى عدد ضخم من المقالات والأبحاث العلمية والتقارير والوثائق . وقد قسمه **توفلر** إلى أربعة أقسام ، أولها بعنوان « **تصادم الموجات** » ، والثاني بعنوان « **الموجة الثانية** » ، والثالث بعنوان « **الموجة الثالثة** » ، وأخيراً خاتمة الكتاب . وهذه الأقسام الأربعة بدورها مقسمة إلى ثمانية وعشرين فصلاً .

تصادم الموجات

في مستهل كتابه يورد المؤلف طائفة من العناوين التي تعج بها الصحف اليومية حول أنباء الاضطرابات والقلاقل التي تنتشر في كل مكان ابتداء من حوادث الشذوذ الفردية ، والمضاربة في الذهب ، واختطاف الطائرات ، وعمليات الاغتيال والعنف الدموي ، وارتفاع أسعار النفط ، إلى غزو الفضاء ، والزيادات الضخمة في الإنفاق العسكري في ألمانيا الغربية ، والانقسام بين السود واليهود في أمريكا ، والتجمعات المناهضة للتسلح الذري ، والمسيرات المعارضة لاستخدام الطاقة النووية . . ويقول **إن هذه الأحداث ومثيلاتها تبدو على السطح أنها مفككة وغير مترابطة ، ولكنها في حقيقة الأمر تعبير عن تفجر التصادم بين مدنية مدبرة وأخرى مقبلة . . بين مدنية الموجة الثانية ومدنية الموجة الثالثة .**

وفي هذا الإطار ، ينظر المؤلف إلى التاريخ على أنه سلسلة من موجات التغير المتلاحقة ، ويقول إن كل موجة تبدأ زحفها بطرف قيادي ثم تأخذ في التدفق عبر الكرة الأرضية لتغير معالم كل ما تصل إليه أو تمسه . وقد كان الطرف القيادي للموجة الأولى هو **الثورة الزراعية** التي بدأت منذ ثمانية آلاف عام تقريباً والتي كانت أول نقطة تحول في تاريخ البشرية ، ثم تابعت الموجة الأولى انتشارها في مختلف أرجاء المعمورة لتشكل مدنية ذات طابع معين . ولم تكد هذه الموجة تستنفد طاقاتها حتى بدأت **الموجة الثانية** زحفها بالدلاع **الثورة الصناعية** في أوروبا في أواخر القرن السابع عشر ، وكانت بمثابة الطرف القيادي لهذه الموجة التي أخذت تتدفق إلى كثير من مناطق العالم ، والتي ما زالت مستمرة في الانتشار ، إذ إن كثيراً من البلاد تعيش حتى اليوم في كنف مدنية الموجة الأولى ، أو إنها شرعت تحبو في مجال التصنيع ، الأمر الذي يعني أن الموجة الثانية لم تبدأ بعد ولم تستنفد قواها كلية حتى الآن .

ولم تكد موجة التصنيع تبلغ قمتها في العقود التي أعقبت الحرب العالمية الثانية في أمريكا وبعض الدول الأوروبية حتى بدأت تظهر إلى الوجود عملية أخرى تشير إلى أن الموجة الثالثة قد شرعت تتدفق على شواطئ العالم . وقد أدى ذلك إلى وقوع التصادم بين الموجتين وهو الذي نشأ عنه محيط مضطرب مليء بالتيارات وحركات المد والجزر والعواصف المتصارعة . وهكذا نجد في الولايات المتحدة التي بدأت فيها الموجة الثالثة في العقد الخامس كثيراً من التوترات الاجتماعية ، والصراعات الحطيرة ، والتيارات السياسية الجديدة التي أخذت تشق طريقها عبر التقسيمات الطبقية والعرقية والحزبية مما يجعل من العسير إمكانية التمييز بين التقدميين والرجعيين وبين الأصدقاء والأعداء ، نظراً لتفكك كل الاستقطابات والتحالفات القديمة . فالاتحادات العمالية والرأسماليين ـ على الرغم مما بينهم من صراعات عميقة ـ اتحدوا في حلف واحد لمناهضة المدافعين عن البيئة ضد التلوث ، كذلك فإن السود واليهود الذين كانوا متحدين في الحرب ضد التمييز بمختلف أشكاله وصوره تحولوا إلى معسكرين متعاديين . وفي نفس الوقت تتردد في وسائل الإعلام كثير من الأنباء عن سلسلة لا نهائية من التطورات والأحداث المثيرة .

الموجة الثانية

وفي معالجته لمدنية **الموجة الثانية** ، يقول المؤلف إنه منذ ثلاثمائة سنة تقريباً أطلقت **الثورة الصناعية** دوياً هائلاً إيذاناً بانطلاق الموجة الثانية التي بدأت زحفها عبر الكرة الأرضية لتكتسح الماضي بكل مؤسساته التي أفرزتها من قبل مدنية **الموجة الأولى الزراعية** حيث كانت الأرض أساس الاقتصاد والثقافة ، وبنيان الأسرة والسياسة ، ابتداء من الصين واهند إلى بنين والمكسيك ، وفي اليونان وروما . وبالرغم من تباين هذه الحضارات إلا أنها كانت جميعاً متمركزة في القرية التي كان يسود فيها تقسيم بسيط للعمل ، وسلطة ذات طابع تسلطي ، واقتصاد غير مركزي كانت كل جماعة في نطاقه تتولى إنتاج حاجياتها .

وقد فرضت **الموجة الثانية** ذلك كله لتقيم بدلاً منه مدنية جديدة قوية وغريبة ، وهي مدنية النظام الصناعي . فالنظام الصناعي لم يكن مجرد أعمدة الدخان المتصاعد أو خطوط التجميع ، ولكنه كان نظاماً اجتماعياً شاملاً ، فقد أنتج المصانع الكبيرة وأدخل الجرار الآلي في المزارع ، والآلات الكاتبة والحاسبة في المكاتب والمبردات في المطابخ ، كما انبثقت عنه الصحف اليومية ودور السينما ومترو الأنفاق والطائرات النفاثة ، وهو الذي عمم ساعات اليد وأشاع استخدام صناديق الانتخابات . **وأهم**

من ذلك كله أنه ربط بين هذه الأشياء جميعاً في نظام واحد كما لو كانت أجزاء متعددة من آلة واحدة.

وفي بادئ الأمر، بينما كانت أعاصير **الموجة الثانية** تحشد قواها، كانت تندلع الحروب الدموية والصراعات العنيفة بين المدافعين عن الماضي الزراعي وأنصار المستقبل الصناعي. ففي الولايات المتحدة بلغ هذا الصراع ذروته عام ١٨٦١م، على هيئة ما يعرف **بالحرب الأهلية** التي لم يشتعل أوارها ــ كما يقولون ــ بسبب النزعة الإنسانية أو تفاقم قضايا الضرائب، ولكنها حوربت من أجل مسألة أكبر من ذلك بكثير، وهي **من الذي ستكون له السيطرة على المجتمع الأمريكي؟ هل هم الزراعيون أم الصناعيون؟ هل هي قوى الموجة الأولى أم قوى الموجة الثانية؟** وعندما انتصرت جيوش الشمال أصبح من الواضح أن قوى **الموجة الثانية** هي التي قدر لها أن تسيطر على أمريكا.

وفي **اليابان**، وقع نفس التصادم بين الموجتين ابتداء من عام ١٨٦٨م، عندما تم القضاء على الإقطاع ثم الأخذ بدستور على النمط الغربي في عام ١٨٨٩م، وما تبع ذلك من ظهور اليابان كأمة صناعية من الطراز الأول. وفي **روسيا**، حدث نفس التصادم بين قوى الموجتين. فثورة ١٩١٧م، ما هي إلا ترجمة روسية للحرب الأهلية الأمريكية، أي أنها لم تنشب أساساً من أجل انتصار اليسار ولكنها قامت من أجل انتصار قضية التصنيع. فلم يكد **البولشفيك** يقضون على كل مظاهر الرق والإقطاع حتى ألقوا بالزراعة وراء ظهورهم، وشرعوا في التعجيل بإقامة النظام الصناعي وتحولوا إلى حزب **الموجة الثانية**.

وفي بلد بعد آخر، تفجر نفس التصادم إلى أن تحطمت قوى **الموجة الأولى** تماماً في منتصف القرن العشرين، وانعقدت السيادة على الأرض لمدنية **الموجة الثانية**. وفي الوقت الحاضر، يحيط بالكرة الأرضية حزام صناعي بين خطي ٢٥° ، ٦٥° شمالاً حيث يعيش ١/٤ بليون في أمريكا الشمالية، و ١/٤ بليون آخر في أوروبا الغربية، و ١/٤ بليون ثالث في المنطقة الروسية الأوروبية. ثم نأتي إلى المنطقة الصناعية الآسيوية التي تشمل اليابان، وهونج كونج، وسنغافورة، وتايوان، وبيوزيلاندا، وأجزاء من كوريا الجنوبية، والصين حيث يعيش ١/٤ بليون رابع. وجملة ذلك أن المدنية الصناعية تستغرق بليوناً من البشر وهم ١/٤ سكان العالم.

أسس مدنية الموجة الثانية

ويحدد الكاتب ثلاثة مجالات تمثل في جملتها الركائز الأساسية التي تنهض عليها أي مدنية من المدنيات، قديمة كانت أو جديدة. وهذه المجالات هي: المجال التقني، والمجال الاجتماعي، والمجال الإعلامي.

ويشمل **المجال التقني** نظم الطاقة والإنتاج والتوزيع. وقد كانت مجتمعات **الموجة الأولى** تحصل على الطاقة من مصادر متنوعة، قابلة للإحلال والتجديد، مثل القوة العضلية البشرية والحيوانية، ومخلفات الزراعة والماشية، والشمس، والرياح، والمياه. وبالعكس من ذلك، فإن مجتمعات **الموجة الثانية** تستمد طاقاتها من مصدر واحد غير قابل للإحلال بدءاً بالفحم ثم النفط الذي أتاح للمدنية الصناعية فيضاً هائلاً من الطاقة مما عجل بنموها بدرجة كبيرة.

وهذا الانتقال في نظام الطاقة زامنه تقدم هائل في التكنولوجيا. فمجتمعات **الموجة الأولى** كانت تعتمد على «**المخترعات الضرورية**» كالروافع والأوناش والزرانيق والمعاصر لزيادة القوة العضلية، في حين أن **الموجة الثانية** دفعت التكنولوجيا إلى مستوى جديد في مجال الاختراع بإنتاج الآلات الضخمة والسيور المتحركة، ثم الآلات الدقيقة التي لم يكن الهدف منها زيادة القوة العضلية مثل أجهزة الاستشعار وغيرها من الأدوات التي تستطيع أن تسمع وترى وتلمس بدقة متناهية أكثر من البشر. وكانت التكنولوجيا فضلاً عن ذلك بمثابة الرحم الذي أخذت تتوالد منه المخترعات بتوالية لا نهائية.

وقد أدت هذه القاعدة التكنولوجية ــ يؤازرها النظام الجديد للطاقة ــ إلى ظهور نظام الإنتاج الكبير الذي أخذ يقذف إلى الأسواق ملايين المنتجات المماثلة من القمصان والأحذية والسيارات والساعات واللعب والصابون والشامبو وآلات التصوير والمولدات الكهربائية. وفي نفس الوقت، أفرز نظام الإنتاج الكبير تغييرات موازية في نظام التوزيع فنشأت الشبكات الحديدية وأقيمت الطرقات السريعة وظهرت المحلات التجارية الضخمة والشركات العملاقة لتعمل كلها في توزيع هذه المنتجات.

ويقول **توفلر** إن هذا المجال التقني للموجة الثانية احتاج إلى **مجال اجتماعي** ثوري يمكن أن يتواءم معه. فقبل **الثورة الصناعية**، كان النمط السائد للأسرة هو الأسرة الممتدة، المتعددة الأجيال، التي تتسم بالاستقرار. ولكن، عندما أخذت **الموجة الثانية** تتدفق عبر الكرة الأرضية وانتقل الإنتاج من الحقل إلى المصنع، لم يعد أفراد الأسرة يعيشون ويعملون معاً، كما أن وظائفها وزعت بين مؤسسات جديدة متخصصة حتى يمكن تحرير العمال من قيود العمل المنزلي والانصراف كلية إلى العمل في المصانع. فتعليم الأطفال تحول إلى المدارس، ورعاية المسنين والمعوقين انتقلت إلى مؤسسات خاصة، كما اكتسبت الأسرة خاصية الحراك نظراً لحاجة العمال إلى ملاحقة أعمالهم من مكان لآخر، وأصبحت

أصغر حجماً وأكثر مواءمة لاحتياجات المجال التقني الجديد . وهكذا ظهرت **الأسرة الذرية (نسبة إلى الذرة)** وأصبحت النمط السائد في كل المجتمعات الصناعية . بل إنه في اليابان ، حيث كانت قداسة الأسلاف تمنح امتيازات خاصة لكبار السن ، أخذت الأسرة الكبيرة المتعددة الأجيال في التفكك عندما غمرتها تيارات **الموجة الثانية** .

وفي نفس الوقت ، أخذت المدرسة طابع المصنع ، فقد ظهر نظام التعليم الجماهيري ، الذي لم يكن يستهدف تلقين المعرفة بقدر ما كان يعمل على غرس قيم المواظبة والطاعة وتحمل رتابة العمل الروتيني المتكرر لإعداد الأطفال لحياة المصانع والمكاتب .

وكما أن **الموجة الثانية** قد أفرزت نظام الأسرة الذرية ، والمدرسة [illegible] **الصناعية العملاقة** . ففي عام ١٩٠١م ، ظهرت أول مؤسسة رأسمالها بليون دولار في الولايات المتحدة ، وهو تركيز للأرصدة لم يكن من المتصور وجود مثيل له في أي فترة قبل ذلك . وحتى سنة ١٩١٩م ، كانت توجد ست من هذه المؤسسات العملاقة ، وبعد ذلك أصبحت من المقومات الأساسية لاقتصاد الموجة الثانية في كل المجتمعات .

وحول هذه المؤسسات الثلاث ، نشأ عدد آخر من المنظمات التي أخذت طابع نظام المصنع كذلك ، مثل الوزارات الحكومية والنوادي الرياضية وغرف التجارة والاتحادات العمالية والهيئات المهنية والأحزاب السياسية والمكتبات وغيرها من آلاف المنظمات التي يضم كل منها أعداداً كبيرة من الأفراد . فقد اعتقد المخترعون الاجتماعيون في كل مكان أن المصنع هو النموذج الأمثل للإنتاج ، ومن ثم عمدوا إلى تصميم المنظمات الأخرى على غراره . بل إنه في مجال الفنون ، نجد نفس القواعد التي تأسس عليها المصنع . وتقدم الموسيقى دليلاً مدهشاً على ذلك . فعندما قدمت **الموجة الثانية** ظهرت القاعات الموسيقية في لندن وباريس وفيينا وغيرها ، ثم أن رجل الأعمال تحويل الإنتاج ، وشرع في بيع التذاكر لمستهلكي الثقافة ، ومع تزايد عدد التذاكر المباعة ، لجأ إلى إضافة المزيد من المقاعد ثم إقامة قاعات أكثر اتساعاً . ولكن هذه القاعات الكبيرة كانت تحتاج إلى أصوات أكثر ارتفاعاً ، أي موسيقى يمكن الاستماع إليها بوضوح في آخر صف من صفوف القاعة بينما لم تكن التكنولوجيا المتاحة في مقدورها أن تجعل ذلك ممكناً . ومن ثم كان لا بد من الانتقال من موسيقى الغرف إلى **الأشكال السيمفونية** ، وبالتالي إلى ظهور **الأوركسترات** الضخمة التي تضم كثيراً من الآلات ، وأعداداً كبيرة من العازفين ، لإنتاج الصوت الضروري . ومن أجل هذه المؤسسة الصناعية كتب **بيتهوفن** ، **وماندلسون** ، **وشوبير** ، **وبراهمس** سيمفونياتهم الرائعة . بل إن الأوركسترا ذاته عكس سمات أخرى للمصنع من حيث بنيانه التنظيمي . ففي بادئ الأمر ، كان الأوركسترا بدون قائد ثم أخذت القيادة تنتقل بين العازفين . وفيما بعد ، أصبح العازفون منظمين على نمط تنظيم العمال في المصنع أو الموظفين في المكاتب البيروقراطية وموزعين إلى فروع أو إدارات تمثل الأقسام المختلفة للآلات في الأوركسترا ، ويسهم كل قسم منها في المخرج الكلي وهو الموسيقى ، ويتولى تنسيقها من القمة المدير أو قائد الفرقة ، وهذه المؤسسة تبيع منتجاتها للسوق الجماهيري . وهكذا ولد المصنع الموسيقي .

ويقول **توفلر** إنه كان لا بد **للمجال الإعلامي** أن يتكامل مع المجالين التقني والاجتماعي . فقد تطلب الإنتاج الكبير والاستهلاك الجماهيري وسائل متقدمة في مجال الاتصال مثل البريد والهاتف والبرق لنقل الرسائل إلى الملايين بسرعة فائقة . واليوم أضحى الاتصال يعتمد على تكنولوجيا أكثر تعقيداً أتاحت [illegible] للصحف ، ثم الإذاعات والأفلام السينمائية والتليفزيون ، وكلها توجه رسائل متماثلة إلى ملايين العقول في وقت واحد كما تخرج المصانع منتجات متماثلة للملايين المستهلكين ليستخدموها في بيوتهم .

إنتصار المجتمع إلى منتجين ومستهلكين

لئن كانت الموجة الثانية قد تميزت على أحد مستوياتها بإيجاد نظام مترابط ومتكامل من حيث مجالاته التقنية والاجتماعية والإعلامية ، فإنها على مستوى آخر شطرت المجتمع إلى نصفين أحدهما قطاع المنتجين والآخر قطاع المستهلكين .

في المجتمعات الزراعية كان أغلب الناس من الفلاحين الذين كانوا يعيشون على ما تنتجه الأرض التي يزرعونها ، ولم تكن التجارة تمثل سوى عنصر ضعيف الأثر في التاريخ . فنطقة البحر الأبيض المتوسط من فرنسا وإسبانيا حتى تركيا ، كانت خلال القرن السادس عشر تضم ٧٠ مليوناً من السكان الذين كان ٩٠٪ منهم يعيشون على الزراعة ، ولم يكن يدخل الأسواق إلا ٦٠ أو ٧٠٪ من إنتاجهم الكلي . وقبل ذلك ، لم يكن اليونان أو الرومان أو الأوروبيون في العصر الوسيط يميزون بين الإنتاج والاستهلاك ، بل إنه لغاتهم خلت من كلمة « **المستهلك** » .

وقد غيّرت **الموجة الثانية** ــ ويطلق عليها المؤلف في هذا السياق **الإسفين الحق** ــ هذا الموقف ، إذ خلقت لأول مرة في التاريخ وضعاً يكون فيه الجزء الأكبر من الإنتاج موجهاً للبيع والمبادلة ، وأصبح الجميع يعتمدون في طعامهم وسلعهم وخدماتهم على ما ينتجه الآخرون . وهذا الانفصام بين المنتج والمستهلك أدى إلى ظهور نظام السوق الذي يعتمد عليه اقتصاد **الموجة الثانية** في توزيع السلع والخدمات ، الأمر الذي يعني أن السوق ليس ابتكاراً رأسمالياً كما يقال ، ولكن إحدى الدعائم التي يرتكز عليها النظام الصناعي .

ويفعل هذا الانقسام بين الإنتاج والاستهلاك ، وجدت الحكومات نفسها إزاء تمزق من نوع آخر ، وهو الصراع بين مطالب المنتجين للحصول على مزيد من الأرباح ، ومطالب المستهلكين في تخفيض الأسعار . وهذا ما يعلل نمو حركة المستهلكين في الولايات المتحدة والانتفاضات الأخيرة في بولندا ضد الأسعار التي ارتفعت بقرار حكومي ، والحوار العنيف المتواصل في بريطانيا حول الأسعار وسياسة الدخول ، والجدل الأيديولوجي القائم في الاتحاد السوفييتي حول إعطاء الأولوية للسلع الكمالية أو السلع الاستهلاكية .

وليست السياسة وحدها هي التي تأثرت بهذا الانقسام ، إذ إنه أدى كذلك إلى وصم المدنية بالصبغة التجارية والطابع المادي وسيطرة المال والحسابات الدقيقة والمصلحة الذاتية . وقد أفضى ذلك كله إلى إفساد العلاقات الشخصية والروابط الأسرية وقيم الحب والصداقة والجوار . . . ولم تعد المنتجات وحدها هي التي يجري مبادلتها ، ولكن أيضاً العمل والأفكار والفنون ، كما أنه أوجد ازدواجاً في الشخصية ، فالفرد بوصفه منتجاً يلتزم بمبادئ الطاعة والانضباط والنظام في إطار الجماعة ، في حين أنه كمستهلك يجد في البحث عن المصلحة العاجلة ومتابعة رغباته الفردية .

قانون مدنية الموجة الثانية

وبالرغم من هذا الانشطار الذي أحدثته **الموجة الثانية** في قوى المجتمع ، إلا أنها فرضت عدداً من القواعد التي تشكل قانون المدنية الصناعية . وهذه القواعد هي التنميط ، والتخصص ، والتزامن ، والتركيز ، والتعظيم ، والمركزية . ويقول **توفلر** إنها جميعاً قواعد مشتركة بين المجتمعات وتكاد تطغى على ما يوجد بينها من اختلافات .

وتتبدى قاعدة التنميط في إنتاج ملايين السلع أو المنتجات المماثلة ، وفي كثير من الأشياء الأخرى مثل إجراءات التوظيف واختبارات الكفاءة الإدارية وتصنيفات الرواتب والأجور وعطلات نهاية الأسبوع . كذلك فإن وسائل الاتصال الجماهيري ترسل صوراً منظمة بحيث أضحى الملايين يشاهدون نفس الإعلانات ويقرأون نفس الأخبار ويحصلون على نفس المعلومات ، كما أن أجزاء كثيرة من المدن تبدو مماثلة وعلى نمط واحد مثل محطات البنزين ولوحات الإعلانات .

أما التخصص فإنه يجد أصوله في الفصل بين الإنتاج والاستهلاك وتعميق تقسم العمل الذي يقضي بألا يؤدي العامل أو الأخصائي إلا شطراً واحداً من العملية الإنتاجية . وقد اقترن التخصص بالفصل بين صاحب المعرفة والعميل ومن ثم فلم يعد المريض مثلاً يستخدم معرفته في العناية بصحته ، ولكن الصحة استحالت إلى مُنْتَج يقدمه الطبيب أو توزعه البيروقراطية الحكومية ، كما تحول التعليم إلى خدمة ينتجها المدرّس في المدرسة ليستهلكها التلاميذ .

والقاعدة الثالثة هي **التزامن** الذي نجم عن حتمية تكييف الناس لسلوكهم مع إيقاعات الآلة التي لا ينبغي لها أن تتوقف دون مبرر نظراً لارتفاع نفقاتها . ومن ثم أصبح من المتعين على العمال أن يكونوا جميعاً على خطوط التجميع في نفس الزمن .

وليس من قبيل المصادفة ــ كما يقول المؤلف ــ أن الساعات اختلت في الانتشار في بريطانيا في أواخر القرن الثامن عشر ــ أي في نفس الوقت الذي فرضت فيه **الثورة الصناعية** مبدأ التزامن . وقد امتد هذا المبدأ إلى مختلف جوانب الحياة كضرورة وصول التلاميذ إلى المدرسة عند دق الجرس وتخصيص ساعات محددة لراحة الجميع وأزمنة معينة للتسلية أو تناول القهوة أو الاستماع إلى برامج الإذاعة . **كما أصبح لزاماً على أفراد الأسرة أن ينهضوا من الفراش ويخرجوا إلى العمل ويعودوا إلى البيت في وقت واحد .**

والقاعدة الرابعة للمدنية الصناعية هي **التركيز** ، ويتمثل بصفة خاصة في الاعتماد على مستودعات مركزة تركيزاً شديداً من الطاقة ، وتركيز السكان في المراكز الحضرية الضخمة وحشد آلاف العمال في مصنع واحد . وقد امتد مبدأ التركيز كذلك إلى السجون والمصحات العقلية والملاجئ حيث تحتشد أعداد كبيرة من المجرمين أو المعتوهين أو المنحرفين . كما حدث تركيز شديد بالنسبة لرؤوس الأموال وبالنسبة للإنتاج في الشركات والاحتكارات العملاقة .

أما التعظيم فإنه يتمثل في ذلك الافتتان والانبهار بكل ما هو ضخم وكبير الحجم بحيث أصبحت الضخامة مرادفة للكفاءة مما حدا بالحكومات والمؤسسات والشركات إلى التسابق بطرق جنونية من أجل تعظيم كل شيء . فغدت المدن والأمم تفاخر بمبانيها الشاهقة ومدودها الضخمة ومصانعها الهائلة . واستناداً إلى هذه القاعدة ذاتها استحدث علماء الاقتصاد أداة إحصائية ضخمة وهي الدخل القومي الذي يختزل مجموع الأنشطة الاقتصادية حتى ولو كان هذا النشاط عبارة عن هدم أحد المنازل .

والمركزية هي القاعدة السادسة ، ومن أبرز مظاهرها ذلك التحول من اقتصاد الموجة الأولى إلى الاقتصاد القومي المتكامل ، وتشجيع المركزية الحكومية فيما يتعلق بصنع القرار ، فأصبحت السلطة التنفيذية وحدها هي التي تقوم بدور رئيسي في تحديد السياسات سواء كان ذلك في الولايات المتحدة أو اليابان أو السويد أو فرنسا أو بريطانيا .

النظم السياسية في الموجة الثانية

وبالرغم من أن النظم السياسية في مجتمعات **الموجة الثانية** تبدو مختلفة عن بعضها بعضاً، إلا أنها ترتكز على مؤسسات وأبنية تماثل الآلات الصناعية. ولذلك فإنه ليس غريباً – **كما يقول المؤلف** – أن نجد علماء السياسة يستخدمون عبارات ميكانيكية مثل آلية الحكم، والجهاز الحكومي، وتوازن القوى السياسية، كما يستخدم الزعماء مثل هذه العبارات كحركة الجماهير وكوصف الحزب بأنه أقوى جهاز في الدولة.

ويضيف المؤلف إلى ذلك أن الحكم النيابي الذي نأخذ به كل مجتمعات **الموجة الثانية** يبدو كالبنيان المكون من عدد كبير من الأجزاء المتشابكة التي تدور وتتحرك معاً في وقت واحد. فبينما قامت المؤسسات النيابية على المستوى القومي بادئ الأمر، فإنها تأسست كذلك على المستويات المحلية ثم امتدت إلى المدن والقرى. واليوم توجد في الولايات المتحدة ٢٥٨٦٩ حكومة محلية، كما توجد في مختلف أنحاء العالم الآلاف العديدة من هذه الآليات الديمقراطية وكلها تعمل في إطار واحد.. وتترابط مع بعضها بعضاً لتشكل آلية عليا خفية أو مصنعاً عالمياً لصنع القانون.

ومع أن فكرة الحكم النيابي ارتبطت منذ البداية بالديمقراطية، إلا أنه لم يحدث أبداً في أي بلد من بلاد **الموجة الثانية** أن كان للشعب سيطرة على جهاز الحكم، فقد تحول هذا الجهاز نفسه إلى بنيان صفوي تدرجي حيث توجد في القمة الصفوة العليا التي تقع دونها الصفوة، وتأتي أخيراً الصفوة الدنيا، وهو نفس الأسلوب التنظيمي السائد في المصنع.

كذلك فإن **الدولة القومية** ما نشأت إلا لكي تتواءم مع النظام الصناعي. فقبل أن تبدأ **الموجة الثانية** زحفها، كانت معظم مناطق العالم مقسمة إلى قبائل وبطون وبلديات وممالك وغير ذلك من الوحدات الإقليمية. غير أن التكامل الاقتصادي القومي الذي حققته تقنيات **الموجة الثانية** فرض قيام نوع من التكامل السياسي من أجل المحافظة على هذه التقنيات وحمايتها.

ويقرر **توفلر** أن قوة الاندفاع نحو التكامل لم تتوقف عند حدود الدولة القومية، إذ كان لا بد للمدنية الصناعية من تغذيتها من الخارج حتى تستطيع إحداث التكامل على المستوى العالمي. وهكذا أخذ الاستعمار الذي بدأ في عصر الموجة الأولى شكلاً مغايراً للصورة التي كان عليها عندما كان الغامرون من الغزاة الأوائل ينتشرون في كثير من الأراضي، ويبسطون سلطانهم عليها لكي يبعثوا إلى ملوكهم بأحمال الذهب والزمرد والحرائر والتوابل. أما الاستعمار الجديد، فإنه لم يعد مسألة هامشية على هذا النحو، ولكنه أصبح عنصراً متكاملاً في الهيكل الاقتصادي للدول الصناعية. وهكذا فإنه حتى عام ١٩٣٥م، كان الأوروبيون يسيطرون على ٨٥٪ من أراضي العالم.

اضمحلال قوة الموجة الثانية

لقد طغى النظام الصناعي الذي أفرزته **الموجة الثانية** على حياة الفرد وخصوصياته وأسلوب تفكيره واتجاهاته منذ أن أضحى يعيش في بيئة أشبه ما تكون بالمصنع وقوامها الآلات والمنظمات العملاقة التي تعمل في جملتها على التصغير من شأنه وتحيله إلى جزء متناه في الصغر من آلية اقتصادية واجتماعية وسياسية ضخمة معقدة التركيب ومتشابكة الأجزاء على نحو يجعله عاجزاً عن إدراك كنهها. ولئن كانت هذه المدنية الصناعية قد أدت إلى تحسين المستوى المادي للفرد العادي، فإنها في نفس الوقت خلقت من الوسائل والإمكانات ما لا يدمر مدينة فحسب، ولكن الكوكب الأرضي برمته، كما أنه لم يحدث من قبل أن تعرضت المحيطات للتلوث والأجواء للتسمم على نحو ما يحدث اليوم، ثم هنالك أيضاً قضية الاستعمار واستعباد المواطنين في **آسيا وإفريقيا** من أجل استخراج المواد الأولية اللازمة لاحتياجات الصناعة، وتركهم فريسة للفقر والجوع والمرض.

ويقول **توفلر** بعد عرضه المستفيض لمثالب وسلبيات النظام الصناعي، إنه من الأمور البديهية في الوقت الحاضر أن اللعبة الصناعية قد أشرفت على نهايتها، وأن قوة **الموجة الثانية** بدأت في الاضمحلال والتدهور في كل مكان، وهو ما يعزى إلى أمرين:

- **أولهما**: أن الأمم الصناعية قد وصلت إلى نقطة النهاية بالنسبة لاستغلال موارد الطبيعة التي لم تعد تحتمل مزيداً من هجوم الصناعة عليها، وخاصة بعد انحسار قوى الاستعمار عن الأمم التي كانت تعدها مورداً للمواد الأولية.
- **والآخر**: أنه لم يعد في مقدورنا الاعتماد بصورة مطلقة على الطاقة غير المتجددة وذلك بسبب ما تتطلبه تكنولوجيا المستقبل من أشكال جديدة للطاقة تتواءم مع مستلزماتها.

وبالإضافة إلى هاتين الحقيقتين، فإن ثمة ضغوطاً تفككية داخل المدنية الصناعية ذاتها مما يشير إلى أن نظم **الموجة الثانية** باتت تعاني من أزمة حادة متعددة الجوانب، سواء في نظم الرفاهية والنظم البريدية ونظم المواصلات ونظم الخدمات الصحية. وفوق ذلك كله، فقد أصبح الملايين في الوقت الحاضر يبحثون في يأس عن ظلالهم وتحديد مواقع

ذاتياتهم الضائعة . وأخيراً ، فإننا لو أصغينا بإمعان لأمكننا أن نستمع إلى هدير **الموجة الثالثة** التي بدأت تتدفق على شواطئنا لتقوض كل القواعد التي رفعتها مدنية الموجة الثانية .

يؤكد **توفلر** في بداية حديثه عن **الموجة الثالثة** أو مدنية الغد حقيقة هامة ، وهي أن هذه المدنية لن تكون امتداداً للمدنية الصناعية المتحضرة ، ثم يردف قائلاً إن محاولاتنا في تقصي كنه الغد ومعالمه ما زالت تعد فذاً أكثر منها علماً بالرغم من مخرجات العقول الإلكترونية والرسوم البيانية والإحصائيات والنماذج والمصفوفات الرياضية التي يستخدمها الباحثون والعلماء المعنيون بالدراسات المستقبلية .

ونتناول فيما يلي أسس وقواعد مدنية **الموجة الثالثة** كما يتصورها الكاتب ، وسوف نلاحظ أن تصوراته عن هذه المدنية ليست من قبيل التكهنات أو ضرباً من ضروب الخيال ، ولكنها مستمدة من مقدمات يقينية تعبّر عن الواقع الذي عاشته البشرية منذ العصور السحيقة حتى الوقت الحاضر .

وفي عرضه لمشكلة الطاقة يقول إنها برزت ابتداء من عام ١٩٦٠م . . على أن الحقيقة الكبرى التي غفل عنها العالم هي أن مشكلة الطاقة لا تكمن في حجم احتياطيات النفط ولكن في توفير أنواع متعددة وأشكال متنوعة من الطاقة بحيث يمكن استخدامها في مواقع وأغراض لا تحظر على بال . **فإذا كان ظهور قاعدة الطاقة النفطية في الموجة الثانية قد اقترن بتطور تكنولوجي معين ، فإن العالم يقف اليوم على أعتاب طفرة تكنولوجية تاريخية ونظام جديد للإنتاج مما يتطلب تغييراً جذرياً في بنيان الطاقة .**

ويستطرد الكاتب قائلاً إنه من العسير أن نحدد في المرحلة الراهنة ماهية التأليفة التكنولوجية التي سوف يعتمد عليها المستقبل ، ثم يعرض أمثلة عديدة للإمكانات المتاحة في الوقت الحاضر للكشف عن مصادر جديدة للطاقة . وهذه الإمكانات تتراوح بين البطاريات الكهربائية الضوئية التي تحول ضوء الشمس إلى طاقة كهربائية ، وهذا النوع من التكنولوجيا تستخدمه حالياً كثير من الشركات ، ومشروعات السوفييت في تثبيت بالونات في طبقات الجو حاملة ضواحين هوائية لتبعث الأشعة الكهربائية إلى الأرض من خلال أسلاك معينة . كما تعاقدت مدينة نيويورك مع إحدى الشركات لإحراق نفاية المدينة لاستخلاص الطاقة منها . وفي إيطاليا وإيسلندا ونيوزيلاندا ، تولد الطاقة من مصادر حرارية من باطن الأرض ، وفي جزيرة (هونشو) في اليابان يستخدمون رصيفاً عائماً يزن خمسمائة طن للحصول على الطاقة من حركة الأمواج المرتطمة بهذا الرصيف . وفي جنوب كاليفورنيا تقوم شركة أديسون ببناء برج لتجميع الطاقة الشمسية من خلال مرايا تدار بالعقول الإلكترونية ثم تركيزها على غلايات لتوليد الكهرباء . وفي شتوتجارت بألمانيا صنعت شركة ديملربنز حافلة تسير بالطاقة الأيدروجينية . وفي لوكهيد بكاليفورنيا يقوم المهندسون بتصميم طائرة تندفع بالطاقة الأيدروجينية أيضاً . ومن المحتمل استخدام التكنولوجيا الكهربية الضوئية في إنتاج تيار كهربائي يستطيع أن يطلق الأيدروجين من الماء ، ومن ثم يمكن استخدامه كطاقة محركة في السيارات .

وهذا التحول في قاعدة الطاقة تتطلبه قاعدة الصناعة الجديدة التي سوف تحل محل الصناعات التقليدية للموجة الثانية كصناعات التعدين والسكك الحديدية والمنسوجات والصلب والمطاط والسيارات ، فكل هذه الصناعات أصبحت في عداد الصناعات المتخلفة لأنها تقوم على مبادئ الكهربية الميكانيكية فضلاً عن أنها تستخدم مدخلات ضخمة من الطاقة ، وتخرج مقادير هائلة من النفايات ومواد التلوث ، وأخيراً فإنها تعتمد على المهارات المنخفضة والعمل الرتيب المتكرر . **ويسوق الكاتب العديد من الأمثلة والإحصائيات التي تدل على انكماش الصناعات التقليدية** كصناعات المنسوجات والحديد والصلب في الولايات المتحدة والسويد وتشيكوسلوفاكيا واليابان . . بينما أخذت تنتقل إلى الدول النامية التي تسود فيها تكنولوجيا أقل تقدماً وعمالة أقل تفقة .

والصناعات الجديدة لا تقوم على مبادئ الكهربية الميكانيكية أو العلم الكلاسيكي للموجة الثانية ولكنها ترتكز على مزيج من العلوم التي لم تكن موجودة حتى الخمس وعشرين سنة الماضية وهي علوم الإلكترونات الكمية ونظرية المعلومات وعلم الأحياء الجزيئي وعلم المحيطات وعلم النوويات وعلم التبيؤ (من كلمة البيئة) وعلوم الفضاء . ومن هذه العلوم نشأت صناعات **العقول الإلكترونية** ، وتحليل البيانات ، والترانزستورات ، وصناعات الفضاء ، والبتروكيميائيات المتقدمة ، وهندسة الاتصال ، وعشرات الصناعات الأخرى .

وقد تم هذا التحول بالفعل بدليل أن مناطق الاقتصاد القائم على صناعات الموجة الثالثة أخذت في الازدهار ، في حين أن المناطق التي تعتمد على صناعات **الموجة الثانية** أصيبت بالكساد . فقد أصبحت

الإلكترونات والعقول الإلكترونية تشكل مبيعات تزيد قيمتها عن مائة بليون دولار في السنة نتيجة لما أحرزته الصناعات الإلكترونية من تطور مذهل في السنوات الأخيرة مما أدى إلى إغراق الأسواق بالحاسبات الصغيرة الحجم ، والساعات الرقمية والأجهزة الطبية المتناهية في الصغر التي يمكن تثبيتها في ثنايا الملابس لقياس وتنظيم دقات القلب ومستويات الضغط . ومن المتوقع أن يشيع استخدام العقول الإلكترونية الصغيرة الحجم بحيث تصبح من بين الأدوات العادية في كل منزل .

ويتحدث العلماء والمهندسون والتقنيون عن كثير من العمليات التي لا يمكن إجراؤها إلا في الفضاء ، مثل فصل الأنزيمات النادرة من الخلايا البشرية ، وصناعة الأنسجة البصرية وغير ذلك من صناعات الفضاء . كما أن إحدى شركات الفضاء ، تمكنت من التعرف على إمكان صناعة ٤٠٠ سبكة مختلفة لا يمكن صناعتها على الأرض بسبب قوة الجاذبية الأرضية .

وتدل الدراسات التي أجريت في أعماق المحيطات على أن المحيطات يمكن أن تسهم في حل مشاكل الطعام لما تحتويه من مقادير لا نهائية من البروتين ، فضلاً عن أنها تزخر بأنواع مختلفة من المعادن ابتداء من النحاس والزنك والقصدير إلى الفضة والذهب والبلاتين وكذلك خامات الفوسفات التي تستخدم في صناعة الأسمدة . وتتطلع بعض شركات التعدين إلى مياه البحر الأحمر التي تحتوي على ما قيمته ٣,٤ بلايين دولار من الزنك والفضة والنحاس والقصدير والذهب .

وتمثل الصناعات البيولوجية المجموعة الرابعة من صناعات الغد ، وقد شرع العلماء في دراسة فكرة استخلاص نوع من البكتيريا القادرة على تحويل ضوء الشمس إلى طاقة كهربائية كيميائية واستخدام المواد الحيوية في إنتاج البلاستيك والأسمدة والملابس والأصباغ والمبيدات ، وفي إنتاج المحاصيل الزراعية في التربة الملحية والرملية ، وإنتاج محاصيل أخرى تستطيع مقاومة الآفات . ويدل ذلك كله على أن البيولوجيا سوف تحل محل الكيمياء في الأهمية .

تفكك وسائل الاتصال الجماهيري

وإلى جانب هذا التحول في المجال التقني ، يسوق المؤلف عديداً من الدلائل التي تشير إلى تحول المجال الإعلامي ، فيقول إن **الموجة الثالثة** أحدثت تفككاً هائلاً في وسائل الاتصال الجماهيري التي كانت تتدفق منها نفس الأنباء ، ونفس الصور ، ونفس الثقافة ، والتي كونت ما كان يطلق عليه (**العقل الجمعي**) . وتقدم الصحافة أول دليل على هذا

[illegible] الصحف في الولايات المتحدة من ٦٣ مليون نسخة يومياً في عام ١٩٧٣م ، إلى ٦٢ مليون نسخة يومياً في عام ١٩٧٨م . وفي نيويورك وحدها فقدت الصحف الثلاث الكبرى بين أعوام ١٩٧٠ ــ ١٩٧٦م ، حوالي ٥٥٠ ألف قارئ . وفي بريطانيا هبط توزيع الصحف بنسبة ٨٪ بين سنتي ١٩٦٥ ــ ١٩٧٥م . وفي مقابل ذلك ، تشهد الولايات المتحدة انفجاراً هائلاً في عدد المجلات الصغيرة التي باتت تحصى بالآلاف والتي توجه إلى أسواق محدودة أو جماعات ذات مصالح خاصة أو إقليمية أو محلية ، **أي إن المجلات غير الجماهيرية أخذت تحل محل الصحافة الجماهيرية** .

وهذا الانتقال نحو التنوع والتعدد في الكلمة المطبوعة أصبح له ما يوازيه في مجال الكلمة المسموعة ، وفي مجال الإذاعة المرئية كذلك . فتحت تأثير **الموجة الثالثة** انشطر المستمعون بين عدد ضخم من محطات الإذاعة . ففي المدة من ١٩٥٠م ، إلى ١٩٧٠م ، ارتفع **عدد محطات الإذاعة في أمريكا من ٢٣٣٦ إلى ٥٣٥٩** ، ثم أن تنظام الإذاعات السلكية في السيارات ، وأصبح في مقدور قائدي السيارات في [illegible] **وقد بلغ عدد أجهزة الإذاعة السلكية في عام ١٩٧٧م ، حوالي ٢٥ مليوناً** . كذلك فإن التليفزيون السلكي يصل الآن إلى ١٤,٥ مليون منزل .

وفي اليابان ترتبط مدن بأكملها بالأسلاك التليفزيونية مما يمكن المشترك من إدارة قرص معين في جهاز منزله للحصول على البرنامج أو الصور أو البيانات التي يريدها أو عروض لمواد الصحف والمجلات الصادرة . كما أنه بمقتضى نظام (**هي أوفس**) يستطيع كل مشترك أن يثبت في جهازه التليفزيوني ميكروفوناً وكاميرا تليفزيونية فيتحول إلى مرسل ومستقبل في آن واحد ، ومن ثم تستطيع وأنت في منزلك أن تتحدث مع من تشاء في منزله وتسمع وترى كل شيء يدور من حوله . وقد أصبحت ألعاب **الفيديو** من الأمور الشائعة إذ يمكن أن تتحول شاشة التليفزيون إلى منضدة لتنس الطاولة أو ساحة للتنس أو حلبة للهوكي أو رقعة شطرنج . **وكل هذه التطورات ومثيلاتها تدل بصورة واضحة على انشطار جمهور الإذاعة والتليفزيون إلى قطاعات وشرائح مختلفة ، وبالتالي فإنهم يتلقون صوراً ومعلومات وبيانات متفرقة ومتنوعة .**

التفيه في العدد القادم

موضوع خاص

★ حركة البلوط وأشواكها المسننة ★

أسلحة الحيوانات الدفاعية والهجومية

بقلم: عبد الرحمن حريتاني

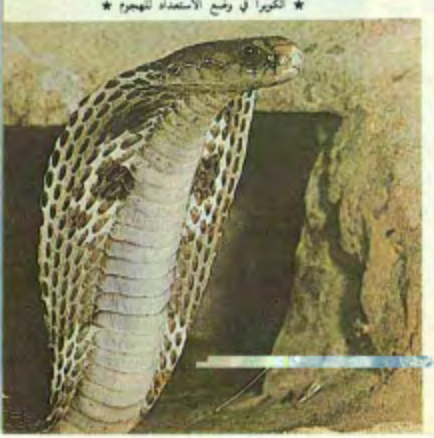
★ أبو مِنْجَل – أرغل – من عائلة اللقلق ★



★ الغزال وسلاحها الوحيد القرون ★



★ الكوبرا في وضع الاستعداد للهجوم ★





★ الأخطبوط وأذرعه الثمان التي تحمل آلاف الممصات ★



★ السمكة الضفدعة وفرائسها تعتقد خطأ أنها مصدر غذائها ★



★ حكمة الخبر وبدأ رد الفعل الثقافي ★

★ السمكة أم الخير ونشر سائل أسود حولها للتمويه ★



أسلحة الحيوانات Les Armes

تنوعت الأسلحة بتنوع القدرات والظروف والإمكانات والمكان .. ومنح الله المدبر المقدر جميع مخلوقاته لزوم قضاء أمدها .

فوجد الحيوان المفترس ـ بضم الميم وكسر الراء ـ لغاية وتدبير ، ووجد الحيوان المفترس ـ بضم الميم وفتح الراء ـ أيضا لغاية وتدبير .. وفي أكثر الأحيان والمراد لا نعلمه يكون المفترس هو المفترس . والمفترس قد سلح بأسلحة فالحرباء تلصق بلسانها الطويل المدبب الفريسة لتبتلعها لقمة سائغة .. ثم يجري الثعبان ليبتلع الحرباء بلا أية رحمة .. ليجري القنفذ فيهلك الثعبان .. فيجري الصقر ليقنص القنفذ .. وهكذا .. متوالية خلقية أرادها الله عبرة وتبصر لمن وعى وتدبر وتفكر .

ما يلزم الحيوان المفترس .. الشرعة ليلحق بالفريسة .. والقوة ليصرعها .. والسلاح كأداة لتنفيذ القتل .

وما يلزم الحيوان المفترس .. أيضاً بعض السرعة للهرب والنجاة .. والخداع أو الحيلة حيث لا تنفع قوة .. والسلاح لعله يصد بعض كيد المعتدي .

فما أسلحة القوي .. وما أسلحة الضعيف ؟ .

[التبدل العدد (٦٢) ص ٩٢



★ الكوماتيل ـ نجم البحر ـ وقدرة عالية على الهرب والتكاثر ★



★ حمكة تخرج من كمينها الحصيري ★



★ الأيمون البحري ولاسنانها السامة ★



★ الأيمون البحري وابتلاع حمكة ★



★ رأس حرباء ولسان طويل يسحب الفريسة ★



الأيمون البحري والاستعداد لولادة جديدة ★

الأخصائيون وآلة الحرب
: specialistes et machines de guerre

السمك النشاب ـ الرامي ـ Poisson-Archer يعيش في المياه العذبة ـ **في جزر أندونيسيا** ـ يعاف المخلوقات والسكائنات المائية ولا يتغذى إلا بحيوانات البر (عناكب . فراش . ذباب) ، يملك آلية قنص بسيطة ذات مهارة فائقة ، وسلاحه بسيط ومتواضع .. فم متجه للأعلى وفرضة طولانية في سقف الحلق تتحول إلى أنبوب ماص دافع ـ بعد سندها باللسان

تخيّمُ السمكة النشاب تحت سطح الماء وترصد فرائسها من هذا المكان ، وعندما تحط حشرة على نبت مائي قريب منها ـ أو وهي طائرة ـ تحدد مكان الحشرة بدقة وإحكام مراعية في ذلك حيود انكسار أشعة الضوء في الماء ، ثم تسحب الماء مبيا حوفا وتغلق الخياشيم وتضغط الماء في دفق سريع وقوي كالقذيفة باتجاه الفريسة . فلا تشعر الفريسة إلا وقد هوت في الماء في انحدار مباغت وفوري .. فتتلقفها السمكة الغائلة غذاءً هنيئاً مريئاً تحسد عليه من باقي بني جنسها الأسماك .

والأوني كوفور Onychophores تملك آلية عمل مختصة تختلف في طريقة التنفيذ ونوعية السلاح المستعمل .. وإن أدت لنفس الغرض ـ فريسة تلتقط وتلتهم ـ .

تعيش دودة الأوني كوفور في المناطق الحارة والرطبة ـ خاصة مناطق الغابات المدارية ـ وتتخذ من المستنقعات والأماكن المعتمة والأشجار المتعفنة وأوراق الشجر مخابئ لها ، وتقوم بنصب أشراكها على شكل ألياف رفيعة دبقة ولزجة تقذف بها من غدد تقع على جانبي الرأس لمسافة تصل إلى (٥٠) سم ، لتكوّن بها شبكة كشبكة الصياد الماهر ، بحيث إذا وقعت فريسة بين هذه الحبائل لن تستطيع الافلات أو الهرب مهما حاولت ، وفرائسها متنوعة (حشرات . ذباب . نمل . حلزون) .

والأوني كوفور حيوان رخوي لا فقاري ، تمتلك أعداداً كبيرة من القوائم الصغيرة والزوجية ، وتتنفس من خلال فوهات موزعة على الجسم .

ومن أسماك الأعماق سمك يمد من فمه خيطاً طويلاً ينتهي بطعم ـ على شكل سنارة الصياد ـ يستدرج به الأسماك الصغيرة التي تقترب لتتناول هذا الطعم ـ فتصبح هي الطعم والطعام ـ لسمكة فاغرة فمها الواسع الموجود في رأس كبير .

والأفيدس La aphides ـ أرقيات من فصيلة البراغيث ـ حيوان أبعاده

صغيرة جداً ، لكنه يمتلك سلاحاً دفاعياً فعالاً ضد أعدائه ، فهي تنتظر وبهدوء اقتراب عدوها منها لمسافة قريبة وهو واثق من الحصول على وجبة مختصة . وما أن يفتح له ليباشر عملية البلع حتى يفاجأ بشيء لم يدر بخلده ، سائل لحمي لزج حمر على فمه وأنصفه فلا يعد يستطيع فتحاً ولا بلعاً ، وتقضي الأنيدس في طريقها غير مبالية تاركة العدو المهاجم في حيرة من أمر هذا السلاح الذي لا يرد . أما . . من أين جاء هذا الشمع اللاصق ؟ فمن أنبوبين صغيرين متوضعين على بطن الأنيدس

وقاذفة القنابل La bombardier ـ خنفساء صغيرة الحجم ـ تستخدم سلاحاً دفاعياً عجيباً وفعالاً ، فتفاجئ العدو المقترب وتشل حركته وتضعه في جو كله خوف وهلع .

فحين تشعر باقتراب العدو المذيل منها ، تقذف عواد كيميائية لاهبة لمسافة أمتار عدة ، حيث يتحول في الهواء إلى غاز ينتشر في الجو محدثاً ضجيجاً وفرقعة شديدة وهباً ودخاناً وزفير نار مدهش .

هذه المواد الكيميائية مؤلفة من ـ **مركبات الكينون** ـ وموضعة في غدد خاصة في مؤخر البطن تضمهم حجرتان منفصلتان . وعند لزوم الاستعمال تصب محتوياتها في حجرة ثالثة ـ حيث يمتزجا ـ ليكونا الغاز المتفجر الذي تقذفه في وجه أعدائها . ولذلك حيث ـ باختفاء الفرقعة ـ .

والظرابين La Mouffette . . حيوانات لواحم صغيرة الأحجام ، ذات فراء كثيف ناعم وجميل تتباهى الحسان في التمنطق به . . منها أنواع إفريقية وآسيوية وأميركية . . هذه الظرابين تجيد فنون الحرب الكيميائية وحروب الغازات بفعالية نادرة ، وسلاحها الكيماوي هذا فعال لدرجة أن من عاداها مرة وذاق تجاربه ومرارته ، لا يعيد الكرة ثانية طيلة حياته ولو هلك من الجوع . . وطريقة الظرابين في الدفاع عن نفسها وخلاصها من العدو المفترس تتلخص في أنها تتلك عند قاعدة الذيل غدتين كأنهما مدفعان ، فإذا ما أحس الحيوان بخطر يقترب ـ أو إذا ما استثير أو أغضب ـ انقبضت العضلات المحيطة بهما فتقذفان بسائلين كيميائي كريهاني كرذاذ دقيق ينتشر لمسافة قد تبلغ أربعة أمتار . . هذا السائل من أنواع الزيوت الطيارة له رائحة نتنة خانقة كريهة لا تطاق تزكم الأنف وتقزز النفس وتثير الغثيان والقيء . . إضافة إلى أنه كاو مهيج يحدث التهابات شديدة إذا لامس أغشية العينين أو الأنف أو الفم ـ وقد يصيب العيون بعمى مؤقت أو مستديم ـ ، وإذا كانت الريح موانية قد تنتشر الرائحة لمسافة بضع مئات من الأمتار ، والملابس التي تتلوث برشة خفيفة من هذا السائل لا تزول منها الرائحة الكريهة إلا بانقضاء عدة أشهر مع غسل متكرر .

والحيوان الذي يجره سوء حظه لاقتعال معركة مع الظربان ، يتلق درساً لا ينسى يبقى في ذاكرته إلى أن يموت . **أشهر انواع الظرابين** ، الظربان **الأميركي** والظربان **الكندي** ذو الشريطين والظربان الصغير الأرقط . . وأقواها غازاً الظربان الأميركي .

وهناك حيوانات أخرى تفرز روائح كريهة مثل ـ **الدلدل ، القس ، ابن عرس ، قط الزبادة ، البق المنزلي ، الصرصور** ـ ، وحده الإنسان يستفيد من غرورها ويوقعها في الشراك ـ حيث لا تنفع القذائف ـ ليستفيد من فرائها الجميل . .

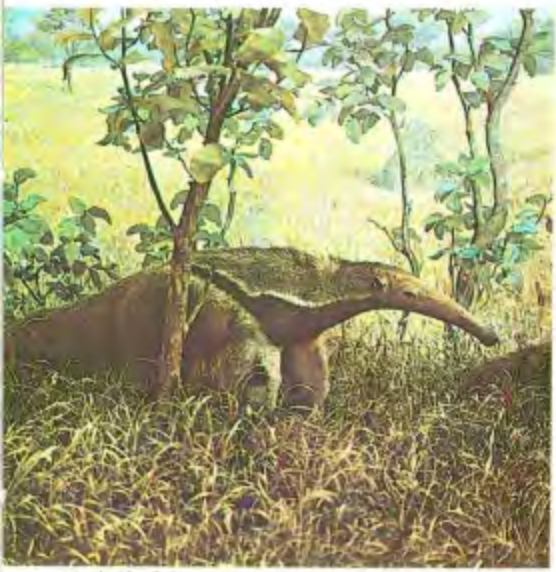
والحيوان البحري المعروف بناسم (**اسكانيوس ميراتيسيوس**) ـ من الرخويات ـ يفرز حامض الكبريتيك المخفف ، فتحجم أغلب الأسماك عن افتراسه أو حتى الاقتراب منه ، بل وحتى عن أكل الأنواع الصالحة للأكل إذا ما تلوثت بهذا الحمض . . **وسمك أبو سيف Le Marlin blue** من أكبر أنواع الأسماك العظمية ، ويوجد في جميع محيطات العالم ، وطوله يجاوز السبعة أمتار تقريباً

هذا السمك فه مجهز من الأعلى ـ امتداد الفك العلوي ـ بسيف طويل مدبب يغرسه في الفريسة ويشل حركتها ثم يقطعها ويزدردها على مهل ، وسيفه هذا يخترق قارباً إذا ما أثير . ـ والحيوان لا أسنان له ـ .

أما السمك الجراح La poisson-chrirugien فيمتلك مثلثاً أسود صغيراً في بداية ذنبه الأصفر يستعمله كالمبضع ـ مشرط الطبيب الجراح ـ حيث يعمل أياً في تشريط جسم العدو المهاجم في أكثر من مكان .

والسمك البالون Poisson - Ballon أو الفهقة ، سلاحها الدفاعي الفعال وهي إعلامي أكثر منه حقيقي ، فعند الخطر واقتراب العدو المهاجم يسرع افترائها ، تبتلع الماء أو الهواء ، وتملأ في نوع من الحنجرة في المعدة قابلة للتوسع والامتداد ، فتنتفخ وتتكور وتبرز أشواكها على شكل قرص «البري مسن» . وينظر العدو المهاجم هذا النظر الرهيب المفزع ويخاله وحشاً أسطورياً رهيباً ، فيفر إلى غير رجعة .

وآكل النمل Le fourmilier حيوان عديم الأسنان ، والجمجمة أسطوانية الشكل ليس لها إلا فتحة الخطم حيث تسهل للسان الدودي اللزج الطويل ـ ٣٠ سم تقريباً ـ أن يمتد إلى الخارج وينقض إلى الداخل ، طوله (٢) متر تقريباً . . له



★ آكل النمل ★



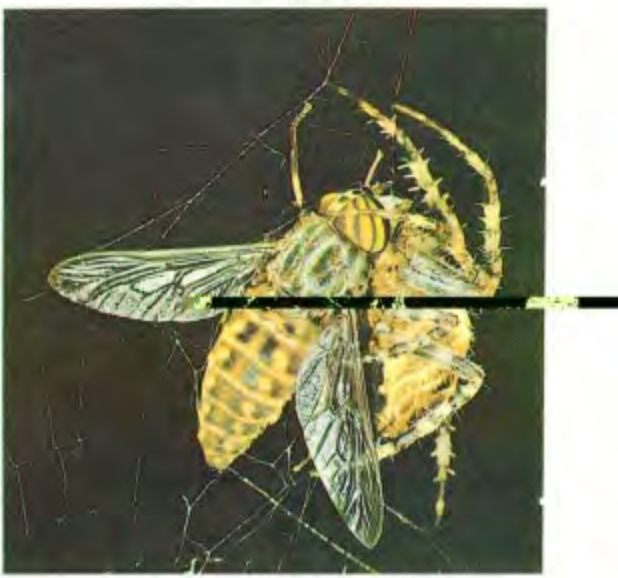
★ النمل الأبيض وصغار حيوان آكل النمل ★

مخالب قوية يهيئ بها يبوت النمل وبراثن متنية إلى الخلف على طول الأقدام يشق بها مجمعات النمل العادي والنمل الأبيض . والنوعين الأخيرين ـ لأنه ثلاثة أنواع ـ من سكنة الأشجار .

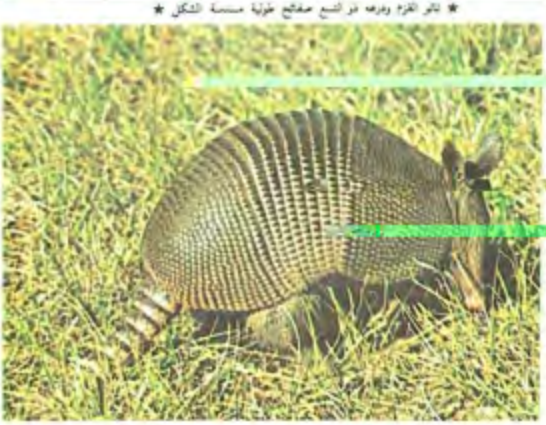
والحيوان المدرع طويل الذنب تاتو القزم Le tatou nain ـ يستوطن البرازيل وأمريكا الاستوائية ـ سلاحه الدفاعي الفعال درعه المكون من تسعة صفوف من الصفائح الطولية المستدة الشكل ـ كالأربطة ـ هذا المدرع يحمي الحيوان ليس فقط من أعدائه بل من النباتات الشوكية الخشنة التي يفضل السكن بينها ، يأكل النحل بشراهة .

وللتمساح Le crocodile سلاح هجومي ماكر ، فهو يتمسوه في الأبهر الجارية كقطعة خشب ضخمة تتساق مع تيار الماء ، وعندما تأتي الحيوانات لتستقر عليها أو ترتوي منها خوفاً ، يبرز لها بفكيه القويين اللذين لا يرحمان .. وعلى البر يهاجم الحيوانات الكبيرة الثديية ـ كالأسود والخراطيس ـ .

★ التكوينات وأشكاله الخيالية لاتصاق القريبة ★



★ تاتو القزم ودرعه ذو التسع صفائح طولية مستدة الشكل ★



وهذا حيوان آخرة يهابه كل من في البرية ويخشى الاشتباك معه ـ كالظربان ـ ، يسمى بالخنزير ذي الأقلام ، واسمه الشهير به هو **القنفذ Porcs-epics** لأن له طباع الخنزير من خياء وتعاقل تركيب وبطء حركة .. وهو حيوان قارض ، تهابه جميع الحيوانات المتوحشة ولا تقربه ، والثعبان عدوه الذود .. سبب هذا الخوف سلاحه الدفاعي الفعال .. أشواك صلبة قاسية تنتهي بؤبر حادة مرهفة طولها يتجاوز ١٠ سم ، وعددها يتراوح بين (٢٠ ـ ٢٥) ألفاً ، وإذا فقدت إحداها سرعان ما ينمو بدلها .. وهو ـ كالظربان ـ لا يعتدي على أحد ولكن الويل لمن يتجرأ على النيل منه ، فحقل الأشواك التي كل شوكة منها موضوعة في استرخاء بين عضلات خاصة تحت الجلد مباشرة ، تهيأ وتنتصب ـ كالصواريخ ـ استعداداً للانطلاق .. وعندما يهاجم حيوان ـ ذئب . ثعلب ـ تهابه بفمها ، ولا يفعل شيء هذا الخبيث إلا أن يأتي بحركة لطيفة جداً ، فهو يترقب اللحظة الأخيرة ويستدير بسرعة مولياً ظهره لعدوه والأشواك في أقصى حالات التأهب .. فيمثل رأس وفم وخيشوم الحيوان الغير بجراب صغيرة قاتلة تخرج من القنفذ لتستقر في العدو المهاجم .. وكلما حاول الحيوان استخراج الشوكة بمهاجمة غررت أكثر ـ لأن في طرف كل شوكة عشرات الإبر الصغيرة المتراكمة والمتجهة إلى الخلف ـ ، هذه الإبر تدفع الأشواك داخل جسم الحيوان كلما تحرك ، وقد تصل بالأشواك إلى شرايين هامة أو إلى القلب فتثقبه .. ومع حيوانات أخرى ضارية ـ كالنمر أو الأسد أو الثعبان ـ يكور نفسه ويبرز الأشواك ، وعندما يضرب ثعباناً فقد وهو في حالة دفاع عن نفسه ، يمثل رأسه وجسمه بالأشواك ، علماً بأن الأنياب السامة لا يمكنها اختراق جلد القنفذ ، وأيضاً للقنفذ مناعة طبيعية ضد السم ـ فيما لو اخترقت الأنياب ـ .

فن الاختباء
L'art de se cacher

غريزة البقاء وحفظ النفس والجنس الذي يفضي إلى حب الحياة والتعلق بديمومتها القصيرة الأجل .. ظاهرة موروثة متأصلة في كل حي .. والحيوانات بما ملكت من قوى وظواهر قوة .. تستغلها بما أوتيت من استعداد وتمكن لتدافع عن حياتها وبقائها بشتى السبل المتاحة .. فإما تهاب ينزع أو ناب يفرز أو شوك يمطر أو سم يقذف .. أو اهرب لا يقع سلاح مع عدو قادر ليس بينها وبينه تكافؤ قوى وفرص .. أو الاختباء والتخفي بوسائل عديدة ومتغيرة تفرضها طبيعة الحال والجو المناسب لعدم المواجهة .. أو ـ وهذا أدهى ـ الظهور هكذا علانية وبملاء أمام العدو المفترس اعتماداً على سلاح لا يرد ولا يقهر أو طعم جسد لا يستساغ .

والاستخفاء أنواع .. فإما استخفاء بـاللون ـ المماثلة ـ .. أو استخفاء بالشكل .. أو تلون تحذيري .. أو تقليد وتكيف .

الاستخفاء باللون

أكثر الظواهر شيوعاً في عالم الحيوان ، حيث يغير الحيوان لونه الخارجي ليلائم ويطابق الألوان البيئية أو النوعية المحيطة به .. وكمثال .. ما تراه في **تدييات المنطقة القطبية المتجمدة الشمالية** ـ الأرنب البري والفاقوم والثعلب وغيرهما ـ ، فعندما تكتسي المنطقة المحيطة بهم بالثلوج البيضاء شتاءً يتبدل لون فرائهم للأبيض ليتجانس مع الوسط المحيط بهم ، بينما في الربيع والصيف تتخلى بلون رمادي أحمر يحاكي لون نباتات الوسط الذي هم فيه .

أما أبرز الأمثلة على هذا التلون فهو ما تقوم به **الحرباء La caméléon ـ من الزواحف الإفريقية ـ والنطاط** ـ نوع من الجراد ـ حيث تغير لون

جلدها بصورة عجيبة وغريبة .. فهي أبي ما حظت تتبع لونها لون المكان الذي وجدت فيه بصورة سريعة ومذهلة .. وطبعاً هذا يستتبع عدة عمليات فيزيولوجية وبيوكيميائية وهرمونية متعددة ـ سيأتي شرحها ـ .. فهي خضراء ونية ورمادية وصفراء ومنقطة وجرداء ، حسب الوسط فحصاً كان أم حجراً أم ورقة شجر .. وهي بعد تغيرها للونها هذا تمكث الساعات الطوال ساكنة متخفية صابرة بلا حس ولا حركة عمدية بهذا التخفي عن عيون الأعداء ومترقبة راصدة لفرائسها في ذات الوقت ، فإما حشرة أو دابة أو فراشة تمد لها لسانها الطويل وتلصقها عليه ثم ترجعه إلى حلقها صيداً ثميناً يرد غائلة الجوع .

وفي **عالم الأنهار** هناك الكثير من أنواع الأسماك ـ **سمك الترويت . سمك موسى . سمك اللامبري . سمك الهندة** ـ ، وبضعة أنواع من الزحويات تغير لونها تبعاً للون قاع البحر الذي تعيش فيه .. وأبسط أنواع المملكة الطبيعية ـ ظاهرة تضاء الظلال ـ بمعنى أن الجانب المواجه للضوء من الحيوان ـ السطح العلوي ـ يكتسي بلون داكن ، في حين يكتسي الجانب الآخر البعيد عن الضوء ـ السطح السفلي ـ اللون الفاتح .

ومن ظواهر المملكة الطبيعية أيضاً ـ ظاهرة اللون الواحد ـ حيث تعيش الحيوانات في أوساط تتشابه لون جلودها مثل ـ **الفهود والأسود** ـ التي تعيش بين نباتات السافانا التي تشابه ألوانها .

وظاهرة البقع والخطوط من أشكال التمويه السطحي الأكثر مهارة ، فالبقع والخطوط التي تميز جلود بعض الحيوانات تعمل على تجزئة أجسادها فلا تعد مرئية في مجموعها .. بل تبدو كما لو كانت متفككة القطع لا تجري .

الاستخفاء بالشكل

ومعناه أن يتطابق شكل الحيوان وحجمه مع الوسط الذي يحط عليه ، فيحطيها هذا الحيلة من أعدائها لكونها صارت إما فرعاً لغصن أو ورقة لشجر أو شوكة نافرة .. **والحشرات ـ أكثر من مليون نوع** ـ هي الأكثر شهرة في هذا المجال ، ولأنها أكثر ما تعيش على الأشجار والنباتات ، فلقد أعطاها تنوع وتعدد أشكال النبات وكثرة تفرعاته ـ سيقاناً . أغصاناً . فروعاً . أوراقاً . أشواكاً . أزهاراً ـ مجالاً واسعاً ومتنوعاً لتجد الشكل الذي يلائم ويجانس شكلها ولونها .. فهناك من الحشرات ما هو عصوي الشكل ـ أجسام أسطوانية مستطيلة ـ تتسلق نبات الصلوج ـ نبات له تفرعات عصوية ـ وتلتصق به بملا حبراك لتبدو كأنها أحد فروع أغصانه ، فتخدع بذلك أعدائها من الطيور وقاران الخلود . وبرقة فراشة جيومترا Geometra تتشابه مع غصن ، وبرقة فراشة أخرى تتشابه مع ورقة صنوبر إبرية ، **وفراشة شيذورا** Schizura شكلها يشبه غصناً مكسوراً ، وأبو دقيق والنطاط يماثلان أوراق الشجر ، وهناك فراشات وخنافس تتشابه أشكالها قلف الشجر أو بروز أشواكه .. والحشرات الورقية ـ الهند إستراليا ـ هذا شكل يشبه تماماً ورق الشجر ، وفوائها وأجسامها المستعرضة والمسطحة على هيئة صفائح ورقية ، وحتى أنها تحوي ذات التعرقات ، بحيث تبدو ورقة وسط التركام فلا يراها عدوها ولا فريستها .

وهناك أيضاً الجراد الورقي الذي بالإضافة إلى شكله الورقي يحمل فوق جناحيه بقعاً تشبه العفن ، فيظنها القان ورقة ميتة مكسورة بقطريات مجهرية متفحمة تعافها النفس ، وهناك من يحمل على جسمه عقداً غريبة تشبه البراعم . هذه الحشرات العصوية والورقية تتخذ أشكال وألوان ما تحط عليه من أغصان وأوراق وسوق وبراعم بحيث لا يمكن تمييزها عن أجزاء النباتات التي توجد عليها ما دامت ساكنة لا تتحرك .

وهناك أسماك كثيرة تتشابه بأشكالها حزم من الطحالب ، فتبدو كعشب يجرفه الموج أو كصخرة مكسوة بحيوانات أولية . وفي حالات خاصة سرعان ما يعمل الحيوان على اكتساب شكل البيئة التي يوجد فيها ، فسرطانات البحر ومنها النوع المعروف باسم ـ **لوكسورينكوس كريسباتس** ـ و ـ الناسك برنار ـ تبدو كما لو كانت تزرع فوق أجسامها أنواعاً مختلفة من الطحالب والهيدرات والإسفنج وأنواعاً غيرها من الكائنات الثبتة الأخرى التي تعيش معها في نفس البيئة .

التلون التحذيري

كذلك ينتشر هذا التلون على نطاق واسع في عالم الحيوان ، وهدفه عكس ما يهدف إليه التجانس اللوني ، فبينما يهدف الاستخفاء باللون إلى إخفاء الحيوان عن أعين أعدائه وفرائسه ، نجد أن التلون التحذيري يظهره ويعلن عنه بشكل سافر متحد .. فحيوانات التلون التحذيري زودت بأسلحة دفاعية بسيطة وخطيرة في آن واحد ، وتأثيراتها ونتائجها مضمونة ، نجعل العدو الذي تذوقها مرة يتلفق درساً لا يمحى من الذاكرة بسهولة ، ولذا فأين ما أبصرها هذا العدو بألوانها البراقة اللامعة تجنبها وأعرض عنها وكأنه لم ير شيئاً ، ثم يبدأ البحث عن رزقه في مكان آخر .

أسلحة هذه الحيوانات إما سوائل كيميائية ذات رائحة كريهة (السكونيان . الدلدل . بعض أنواع البق والخنافس) ، أو أنها تحمد ذاتها ذات طعم كريه لا يستساغ ـ طيور السهيد الإفريقية . بعض أنواع العنكبوت والنمل . بعض أنواع الفراشات ـ . وهناك بعض التعابين السامة ذات ألوان زاهية لماعة ، وحيوانات برمائية كثيرة .. وكل لون زاه في عالم الحيوان يعتبر لوناً تحذيرياً ، كما أن كل لون باهت يعتبر لوناً للتخفي .

الهرب والحيلة
La fuite et la bluff

● هروب الأرنب البري ، تعدد مصادر الخيل لرأسيات الأرجل ، أولى مبتكر للصاروخ والقنابل الدخانية ، أحماك طائرة وحيوانات تمشي على سطح الماء ، الشجاعة الكبيرة للوزغة ، العيون الكاذبة للحشرات والضفادع والأسماك ، فن الحاولة .

كما أن هناك **أسد الغابة** الذي لا يهاب الموت ـ قوة وشجاعة وبأساً ـ أيضاً هنالك **الأرنب الوديع** الذي قد يقتله زئير أو عواء أو فزع مفاجئ .. ولهذا كان الهرب والاختفاء في دهاليز وأنفاق تحت الأرض سلاح الأرنب الدفاعي الوحيد .

ورأسيات الأرجل Céphalopodes أرقى طوائف شعبة الرخويات ـ بل واللافقاريات عامة ـ وأكبر وأبرز شعب عالم الحيوان وأكثرها أهمية ، تعداد أفرادها يجاوز الـ (٩٥٠,٠٠٠) نوع ، منها الحباري والأخطبوطات والسبادج والقواقع والمفارات .. رأسيات الأرجل هذه أكثر الرخويات نشاطاً وأسرعها حركة ، ولا تكفيها هذه الصفات لتدافع عن نفسها ضد من يجاول افتراسها من حيوانات البحر الكثيرة ، بل يلجأ بعضها لحيل مبتكرة متعددة وطريفة .

فالأخطبوط La poulpe ـ من أذكى اللافقاريات ـ لا يمتلك لولبي ولكنه له ثمانية أذرع طويلة تحمل الآلاف من الممصات القوية التي تلتصق بجسم الفريسة وتعطيه القدرة على التشبث والامساك بأدق الأشياء شكل (٣٤) ، وهو لا يجيد السباحة ويزحف على القاع عثياً بين تجاويف الصخور ومتخذاً منها قواعد ينطلق منها لمهاجمة الفرائس الغافلة التي لمر به ، وهو مولع بافتراس الأسماك والسرطانات والمفارات .. يقبض على الفريسة ويحيطها بأذرعه الثانية ، ثم يثقب هياكلها بمنقاره ويدفع بإفراز هاضم داخلها ، ثم يمتص أنسجتها المهضومة ويتركها هياكل عارية .. والأخطبوط كالحباري عندما يحس باقتراب الخطر من عدو مهاجم يعمي شراً ، يطلق صبغاً داكناً سائلاً يشبه لون الحبر من كيس خاص في جسمه يكون به سحابة معتمة من حوله تحجب الرؤية عن عدوه المهاجم لفترة تتيح له الهرب والعودة بأمنه .

والسمكة أم الحبر La seiche هذا نفس السلاح ، إذ تفرز حبراً أسوداً من



★ الحشرة الورقية وعليك أن تميز الحشرة من الورقة ★

حويصلة حبر خاصة تحتوي سائلاً أسود تقطي به السحابة الفاحمي ، إضافة إلى تميزها بقدرتها على تغيير لونها حسب المكان الذي تنتقل إليه ، كما أنها تكسو نفسها عند اللمس بألوان مغايرة بعد أن تتفاعل أدمتها مع الضوء .

والخيارات ـ حيوانات رخوية كبيرة ـ ، وهي بعكس الأخطبوطات سباحات ماهرات ، يساعدها على السباحة وفي الأعماق زعنفتان جانبيان . . طول جسمها قد يصل إلى (٣) أمتار ، وله عشرة أذرع مزودة بأقراص ماصة ، اثنتان منها أطول من الباقي قد تمتدان لمسافة (٩) أمتار تقريباً ، وظيفتها إمساك الفريسة ، وجذبها إلى بقية الأذرع القصيرة الممكنة ، حيث تدفع بها إلى الفم الغاطر .

والخيار المملاق Gaint squid أكبر وحش جبار لافقاري في البحر ، يقاتل الحوت ـ أكبر حيوانات الأرض ـ والذي يتجاوز طوله الـ(١٩) متراً ، ويجرّحه بواسطة أقراص ممصاته الموجودة على أذرعه العشرة ، ويلفه بأذرعه الطوال ، ولكن أكثر الأحايين يكون هو المهزوم ، وإن كان منظر صراعهما مشوق للغاية .

أما الخيار La pieuvre ، **فهو أول مبتكر للصاروخ الحديث** ، وبالتالي **فهو أول من استعمل مبدأ رد الفعل النفاث** . . عملية الاندفاع إلى الأمام بدفع غاز أو سائل من الخلف ، ولكنه عوضاً عن أن يدفع الغاز أو السائل يدفع بالماء ، فعندما يحس بالخطر وبعدو قادم ، يقفز للخلف بقفزات سريعة مذهلة بمساعدة قمع موجود في دثاره بين أذرعته الطويلة ، هذا القمع هو جهاز للدفع المائي ، إذ يفعل الدفع للأمام يتجه هو في الاتجاه المضاد ، وبنفس الوقت يضرب عدوه بتيار قوي ومستمر من الماء المدفوع من هذا القمع ، ومع الانسحاب يضخ بعضاً من الحبر فتنتشر في الثنو سحابة سوداء يتوارى أمامها ويختفي عدوه بين طياتها فلا يرى شيئاً . . وعلى الأجنحة الخلفية خشرة أبي دقيق البوم عينان كاذبتان مخملتان تجعلانه يشبه وجه بومة أو قطة ، فلا يقترب منه عدو .

والضفدعة تنفخ جسمها وتدير ظهرها للعدو المهاجم الذي يريد افتراسها ، فيدهش من هذه العيون المخملة الخاطفة التي تجعلها تبدو وكأنها عيون وحش مخيف . . وما هي في الحقيقة إلا بقع على الجلد ، ويهرب العدو لتكون فريستها للهرب أيضاً .

والسمكة المنساة بـ chaetodon capistratus تستخدم عيون كاذبة متوضعة قرب الذيل وحين اقتراب العدو لافتراسها ، يحاول الاختفاء والتداري عن هذه العيون لبراعتها ، ولكنه يقع في شر عمله فيظهر أمام عيونها الحقيقية وهو يتلصص ، فتهرب السمكة قبل أن يكمل استعداداته الهجومية وتتركه في حيرة وذهول من كيفية اكتشافه .

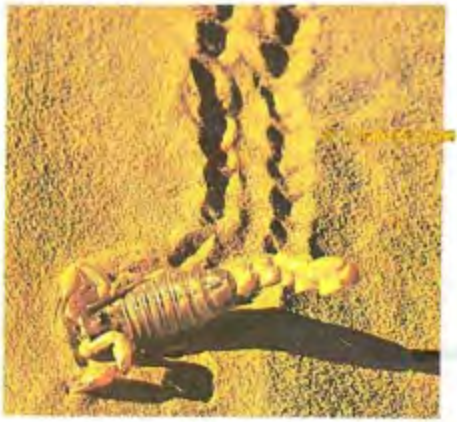
والوزغة الشجاعة ـ أبو بريص ، يسير على السقف ورأسه إلى الأسفل وكأنه بهلوان يؤدي قفزة ، مستخدماً سلاح أكفه وذراعيه المشكلة بشكيف خاص يساعده على التشبث ، إضافة لوجود خلايا سطحية تشكل مهامز تعمل عمل مخالب القط ، يدخلها في سطح الجدار الخارجي بتتابع حركات سريعة بحيث لا تستطيع عيوننا ملاحقتها ، وهذا يكفيه للهرب من أي عدو ، إضافة إلى أنه يخلف أحياناً ذنبه وراءه إذا أمسك به ممسك .

وهناك الكثير من **الثعابين غير السامة** التي تحدث فحيحاً وصفيراً Missing تقلد به الصفير الطبيعي للثعابين السامة . . وبعض **الثعابين السامة** التي تقلد الثعابين غير السامة ـ **كالكوبرا** ـ فتخدع العدو فلا يقربها . واليوم يصفر ويطرقع بمنقاره زيادة في التأكيد ، وأيضاً حيوانات أخرى ـ بعض السحالي ـ تلجأ لهذه الحيلة ، والحيوان الصغير **السمور** ـ حيوان ثديي ذو فرو ثمين ـ La matre ، رغماً عن صغر حجمه فهو حيوان هجومي من الطراز الأول مع ما يشابهه حجماً أو أكبر قليلاً ويعرف كيف يدافع عن نفسه ، ولكن حين يجد نفسه في مأزق حرج ، كأن يجد أمامه عدواً أكثر قوة وبأساً ولا تنفع معه المضلات أو الشعر الشائك . . فحينها لا يجد مناصاً من اصطناع الموت . . وخاصة إذا علم أن عدوه من النوع الغدر الذي لا يأكل الجيف ـ وهي أكثرية أعدائه ـ . وبثبوت وعيونه تحتلس النظر بين الفينة والفينة إلى العدو . . فلربما غير رأيه هذه المرة .

الذهاب Les Malins

الغدر بمختلف أنواعه من أشرس وأقوى الحيوانات ، يهاجم جميع أنواع الحيوانات ، والثدييات الكبيرة تعتبر فرائسه المفضلة ـ الخنازير المتوحشة ، الأيائل ، الغزلان ، الزراف ـ كما أنه قد يهاجم الذئب والإنسان أحياناً . . يتميز الغدر بحجم كبير ، وعضلات قوية ، وقوة هيكلية متميزة ورشاقة وتناسق في القد ، ومع ذلك فهو غير متوحش إلا إذا جاع ، وهذا ما يدفعه للاشتراك في قتال يومي من أجل البقاء . . فرائسه الكبيرة ـ كالزراف ـ يصطادها بأن يعتلي الأشجار ويقع على أحد الأغصان القوية يترصد قدومها ، ثم فجأة يقفز بكل ثقله وقوته على ظهرها حيث يكسر عمودها الفقري ـ وخاصة عند العنق ـ فيشلها ويقصدها بملا حمراك . . صيده أكثره ليلي ، ويتسلق الشجر حين يداهمه خطر أقوى من أن يتصدى له

والسلاحف من أقدم الزواحف التي تعيش على الأرض لأزمانٍ ، وهي ثلاث مجموعات كبيرة ـ **السلاحف البرية ، وسلاحف المياه العذبة (اليرمائية) ، والسلاحف البحرية** ـ ، سلاح السلاحف درع واقٍ يحميها ولا يبرز منها سوى الرأس والرقبة والقوائم ، كما أن لها حاسة سمع قوية تنذرها بأدنى حركة تخفي رأسها وقوائمها الغير محمية . . **والسلاحف البرية** تحفر جحورها على عمق مترين أو ثلاثة أمتار وتقضي بداخلها الجزء الأكبر من حياتها ، وتعتبر سهلة القنص لعدم تملكها لوسائل دفاعية رادعة إلا درعها والصفائح القرنية والصدرة المسطحة في منطقة البطن . . أما **السلاحف البحرية** فأحجامها كبيرة ، وقد يصل وزن إحداها إلى (٧٥٠) كيلوغراماً ، وطول فكها إلى (٢,٤٠) متر ، وقد تعودت هذه السلاحف على الحياة في الماء وتحولت قوائمها إلى زعانف قوية تساعدها على السباحة . . أما سلاحف المياه العذبة ـ **اليرمائية** ـ فيكثر وجودها في **أوروبا وآسيا وأميركا** ، وهي حيوانات ضارية تتغذى بالرخويات والأسماك والضفادع . ومن أغرب سلاحف هذا النوع السلحفاة المسماة بـ ـ **ماتاماتا** ـ والتي تعيش في أميركا . . طريقتها في اقتناص الفرائس غريبة ، فهي تقبع في قاع النهر في سكون تام ، وتترك بعض رفاقها الجلدية وزوائدها الجسمية كطعم تمتد في الماء ، وما أن تقترب إحدى الأسماك لتلتهم الطعم ، حتى تنبض من سباتها المصطنع وتلتهمها .



★ العقرب يلدغ فيحقن في الرمال ★



★ الثعبان والغزلان وجهاً لوجه ★



★ هجوم ـ عقرب إفريقي ـ يوضح الاستعداد للإمساك ★



★ استسلام الغزلان لمصيرها المحتوم ★



★ عنكبوت سام ★



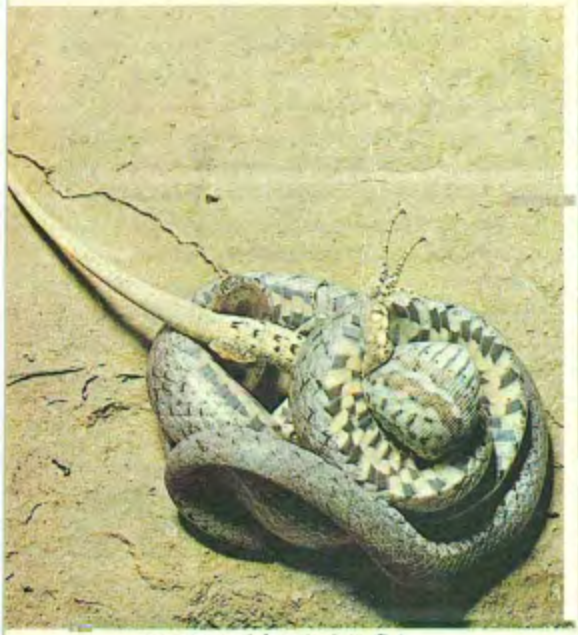
★ ابتلاع الثعبان للغزلان ★

ومن هذا النوع أيضاً **سلحفاة القساح** La Torte-Alligator التي تتوضع في قيعان الأنهر كالكتلة كبيرة خامدة بيلا حس ولا حركة ، ولها للأمام عقلة قية كطعم هي بمثابة زائدة قية ذات لون أحمر ضعيف لها شكل ومظهر الدودة . . والفريسة لا تلحظ إلا هذا الطعم الذي تقترب منه للتلهيه فيكون سبباً لأن تلق حتفها من هذه الكتلة الجامدة التي حسبتها صخراً .

والسمكة المعروفة باسم **السمكة الضفدعية** Poisson-Grenouille شكلها وهيئتها (الملحقة) الملفتة للنظر والاستغراب و (العجة) ، تدفع بالفضوليين والمتطفلين من السمك إلى الاقتراب للفرجة على هذا المنظر المضحك الذي لا يخيف أحداً ـ عرض وتقاطع وجه أفطس قبيح ـ فيدفع حياته ثمناً لفضوله واستخفافه المكر بخلق الله . . وللسمكة الضفدعة إضافة لما يعشه لها الصدر من فضوليي السمك تقنية خاصة للإمساك بالفرائس ، فهي أولا تعيش في وسط يلائم شكلها وألوانها ـ حيث النباتات المائية المختلفة الأشكال والألوان ـ



★ الوزغة ـ أبو بريص ـ بلون ورق الشجر ★



★ الكوبرونيل البورنوليه وقد أمسكت بحرباء لتحتفها ★



★ الحرباء وتلونها بالوسط الذي تعيش فيه ★



★ الكوبرونيل البورنوليه وقد بدأت بالبلع عكس ما هو متبع في عالم الثعابين من الذنب إلى الرأس ★



والسمكة الورقة La Poisson-Feuille ما شكل عجيب عريض يجعلها تبدو أشبه بورقة ، ولفرط حيلتها ودهائها تسبح ببسطه وانسياب وتوازن هادئ فيظنها الظان حلاً وديعاً ، فيقترب السمك منها مدفوعاً بحسن نية وظن بريء من هذه الوداعة والهدوء ودون احتياط ، لكنه يسرح لقمة سائغة في بطن هذه

السمكة التي ليس لها من سلاح إلا هذه الوداعة والهدوء وخفلة أهل بادي الرأي والظن الحسن الذي لا يصاحبه تفكير وحذر وحساب للفاجآت لا تخطر على بال .

وأغرب أعداء النمل جميعاً ، الحشرة العجيبة المسماة بـ Fourmilion ـ أسد النمل ـ ، والتي ليس لها قم ، لكنها تمتلك فكوكاً متباعدة مزودة بأنسنوك حادة تجري داخلها قنوات تمتص بها غذاءها .. طول الحشرة حوالي ١ سم ، وتشبه العنكبوت .. تحفر هذه الحشرة أقماعها في الرمل على شكل قمع طوله ٥ سم تقريباً

والعناكب Aignees أمن أحط المخلوقات ، فهي أكثرها وحشية وضراوة وقدرة على الغدر والافتراس ، طبعها دنيء ووفاؤها معدوم ولا تعرف معنى للمروءة .. وجدت العناكب على الأرض منذ **(٣٠٠) مليون سنة** ، وهي تقارب الـ **(٣٠٠) ألف نوع** ، منها (١٢) نوعاً فقط يهاجم الإنسان ، ومنها ما هو سام وسمه الزعاف يفوق في تأثيره سم الثعبان ذو الجرس .. فالعنكبوت تفترس العنكبوت ، بل إن العنكبوت تفترس صغارها إذا جاعت ، وحتى ممارسة الحب بين الزوجين لا يتم إلا اختصاباً وبالقوة ، فتحاول الأنثى التهام الذكر قبل أن يبدأ ، وإن لم تتمكن ، ففي النهاية وبعد أن تحور قواه .. والعنكبوت ليس بحشرة ، إذ إنه يمتلك ثمان أرجل ـ والحشرات ذوات ست أرجل ـ ، محب الانفراد والعزلة ، فحتى الحب ليس له وجود في قاموس عواطفه ، فصبر النظر يعتمد على اللمس ، وليست له عيون مركبة كالحشرات . في أسفل بطنه ست فتحات كل منها مملوءة بثقوب دقيقة كثيرة ، تتحكم أشكالها المتنوعة في نوعية الخيط المنبعث منها ، يمد سواقيه الخلفيتين إلى الغدد الليفية بسائل بروتيني ليستخرج منها الخيوط الجافة أو اللزجة التي تتجمد بمجرد خروجها إلى الهواء .. بهذه الخيوط ينصب شراكه الشريرة التي يصطادها بها فرائسه .. شباكه وكيفيته ينصبها في أي مكان ، ويكفي يومي إهمال لأية زاوية لتجد فيها شركاً ، والشراك عادة مؤلفة من خيوط جافة ولزجة منوعة ، رفيعة قطرها لا يتجاوز الـ مليون / ١ من البوصة (البوصة ٢,٥٤ سم) ، ومنها يشكل خيوطاً مستقيمة طويلة وزوايا للأركان وأربطة للتثبيت وأذرعاً لربط الزوايا .. جهد وصنع فيه كل الحذق والمهارة والدقة ، ولا أحد يستطيع إنكار جهد صانعه ، وأنه صانع ماهر بارع يتقن عمله تمام الاتقان .

وكثيراً ما تساءلنا جميعاً كيف لا يقع هذا الخبيث في شباكه التي ينصبها لغيره ، ولو خطر لك يوماً وراقبته وهو ينصب هذا الشرك لشاهدت عجباً .. فهو يمد خيطاً بين فرعي شجرة ـ أو حائطين ـ ، ثم يمد خيطاً ثانياً يتدلى منه إلى أسفل منشئاً خطاً رأسياً ، ثم وبسرعة يمد الخطوط النصف قطرية المنبعثة من المركز ، ثم يمد أول حلقة دائرية من خيط جاف لئلا يلتصق هو نفسه في الفخ ، ثم يطلق فيمد الدوائر المتعاطفة بالمادة اللزجة التي ستلتصق بها الفرائس .. بناء غاية في الدقة والاتقان والابداع ، وتقنية هندسية متكاملة ، ومقاييس تدخل بدقتها وروعتها .. ولينجذب العنكبوت الموقع في شراكه تراه يتزلق على الخيوط النصف قطرية الجافة متجنباً خيوط الدوائر اللزجة ثم يكمن وراء البؤرة بصبر ما بعده صبر ، إلى أن يحس بالموقع لأي شيء على الشبكة ، فيتزلق مسرعاً نحو ضحيته ويحقنها بسم زعاف ثم يلفها في أربطة لتبدو كمومياء الفراعنة ، ويتركها معلقة إلى أيام الجدب والجوع وأحياناً يمتص رحيق الفريسة المغذي ويتركها هيكلاً يابساً .

الثعابين وحيوانات أخرى سامة

Les serpents et d'autres animaux venimeux

الثعابين من أغرب حيوانات الأرض ، لا تمتلك أطرافاً ولا قرناً ولا ريشاً ولا أذاناً ولا حتى أجفان عيون ، وتنام وعيونها مفتوحة .. جميع الثعابين تتغذى بالحيوانات ـ حية أكثر الأحايين ـ ، وبعضها لا يأكل إلا الديدان ، وبعض الآخر لا يأكل إلا الضفادع والأسماك ، والغالبية تتأكل غذاء متنوعاً (أسماك ، ضفادع ، عظايات ، طيور ، ثدييات ، ثعابين) ، وبعضها يبلع ثمراً أو حشرياً أو





★ الفهد ـ من العائلة القطية ـ وعاش قوية ★

حتى إنساناً ـ وحداً لله أن هذا النوع نادر ـ .. ولقنص فرائسه .. يعتمد الثعبان على التلصص والزحف الغير المسموع ، تساعده قوة بصر وحاسة شم حادة ولسان مزود بأعضاء حس يخرجه الثعبان ، ويدخله ليكتشف ما يحيط به ويزوده بأفضل المعلومات .

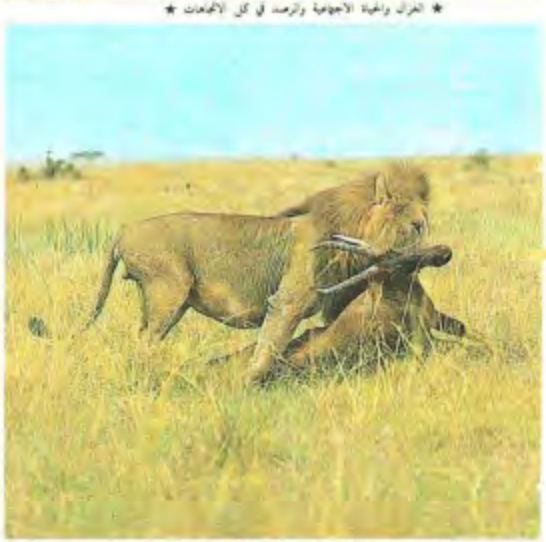
وثعابين القتل المبكر ووراءه البلع مجموعتان :

●● **المجموعة الأولى** : تضغط على الفريسة بعد إمساكها بلف جسمها حولها لفة واحدة ـ **الأصلة الأميركية** ـ ، ومنها ما يلف الجسم حولها عدة لفات ـ باقي أنواع الأصلة ـ ، علماً بأن هذه اللفات لا تسحق العظم ، بل تتوقف التنفس وضربات القلب ـ ميتة نموذجية ـ ، ثم وبعد أن تموت الفريسة يبتلعها الثعبان بسكون بدءه من الرأس وانتهاء بالذيل .. وجميعها ثعابين غير سامة .

●● **المجموعة الثانية** : وهي ثعابين سامة ، تحقن السم في جسم الفريسة بعد جرحه بالأسنان أو الأنياب .. أما **ثعابين البلع المباشر** ، فهي ليست بحاجة لشق الفريسة أو عصرها أو حقنها بالسم ، بل هي تبتلعها هكذا ، ومنها السام وغير



★ الغزال واحدة الأجهزة والرصد في كل الاتجاهات ★



★ الأسد ورثها حية لأنه لا يأكل الفريسة أبداً حتى ولو مات جوعاً ★

السام ، وقتلها **الأصلات والكوبرا والأناكوندا والبوا والكورونيل** وغيرها

أكبر الثعابين حجماً وطولاً ـ الأصلات ـ ثلث ثعابين العالم ، وهي غير سامة وغير مؤذية ، وإن كانت لفرط كبر حجمها وما يعطيه لها هذا الكبر من قوة قد تبتلع حيواناً أو ماعزاً أو حتى إنساناً ، **طولها يتجاوز الثمانية أمتار** . يليها في الكبر والطول ، **البوا ، والكوبرا** ـ أكبر الثعابين السامة ـ ، **والأناكوندا التي قد يصل طولها إلى (١٢) متراً.**

والكوبرا من أخطر الثعابين السامة على الاطلاق ، تشترك **والمامبا** في أسرة واحدة ، تمتلكان أسناناً وأنياباً مجوفة قصيرة جامدة مكانها الجزء الأمامي من الفم ، وتوجد في جميع القارات ـ عدا أوروبا ـ ، وهي على أنواع :

الكوبرا المصرية ، الكوبرا الهندية ، الكوبرا ذات النظارة ، الكوبرا ذات الرقبة السوداء ، والكوبرا الإفريقية قاذفة السم .

وتعتبر **كوبرا رينجهال** Ringhal أبرع قاذفة للسم ، فإذا ما أثيرت قذفت السم في عيون مستقيمين تجاه عيني الخصم ، ويصل سمها لمسافة تتراوح بين (١٨٠ ـ ٣٦٠) سم ، وقد تقذف من (١٠ ـ ١٢) مرة في دقيقات سريعة متتابعة .

ولكن ما هو السم؟.. وكيف يصل إلى جسم الفريسة؟

السم سائل رائق شبيه ميض أو مصفر سريع الفساد ، ما أن يصل إلى جسم الفريسة حتى يشلها أو يميتها . **والسموم على أنواع** ، منها ما يهدم **كرات الدم الحمر** ويحطم **الأوعية الدموية الصغيرة** ، ويجعل المصاب ينزف نزيفاً داخلياً إلى أن يموت ـ تهاجم الغدد السامة الخلفية ـ .. ومنها ما يؤثر في **الجهاز العصبي** فيتلف **مراكز المخ الحساسة** التي تتحكم في **جهاز التنفس** تماماً سريعاً يفضي إلى الموت السريع ـ الكوبرا بأنواعها ـ .. ومنها ما يؤثر في **الدم والجهاز العصبي معاً** ـ الأفعى المتجلجلة ذات الجرس ـ .. والتركيب الميكانيكي لجهاز حقن السم يتكون من غدد سامة مكانها أسفل الرأس خلف مؤخرة العينين ، أو من خلايا غدد السم في مؤخرة الفم أو مقدمته ـ تهاجم الغدد السامة الأمامية ـ ، وقناة صغيرة توصل ما بين الغدة والناب الأجوف في مقدمة الفك العلوي ـ غدة لكل ناب ـ .. وفي لحظة العض يحدث ضغط على الغدد السامة من العضلات المحيطة فيسيل السم إلى القناة ومنها إلى السن الأجوف فكأن الجرح في جسم الفريسة ـ يعمل كإبرة الحقن تماماً ـ وجميع هذه العمليات من انقباض وعض ودفع سم ، ثم عودة الرأس إلى وضعه المتحفز استعداداً لانطلاقة ثانية لا تستغرق أكثر من نصف ثانية .

العقارب

أقدم الحيوانات على الأرض ، وجوده منذ **٤٠٠ مليون سنة** بشكله الذي لم يتطور ، بتشعب لطائفة العنكبوتيات التي تضم قرابة **٦٠٠ نوع** وتتبع شعبة مفصليات الأرجل .. ألوانه بين الأصفر والأسود ، وحجمه يتراوح بين ١٣ ملم و١٨ سم ، وهو حيوان ليلي لا يشعر بالضوء ، له عينان في وسط رأسه وخمس عيون جانبية ، ولكنها جميعاً لا تفيده بشيء في الإبصار .. منه نوعان شديدا الخطورة ـ **الأندروكتوناس الإفريقي** Androctanus ، ـ **والسنتروروس المكسيكي** centrurus ـ ، ونوع أقل خطورة ، وإن كان سمه يحدث شلل جزئي ، وهو ـ **البوثوس أوكستيانوس** Buthus occitanus ـ ، وهناك عدة أنواع غير ضارة بالمرة .. سلاحه زوجان ضخمان من الكلابات ـ الخالب ـ أحدهما أصغر من الآخر ، يفصل بينهما مساحات شعرية ـ شعيرات حسية خاصة ـ ينقب بهما داخل الأرض ويستكشف بهما الأشياء التي تلامسه ـ وبذا يعوض نقص الإبصار ـ ، والفريسة التابة لا يحس بوجودها ولا يراها .

إذن .. كيف يقتنص العقرب فرائسه؟

شعيرات الإحساس في كلابات هي الرادار الدقيق الحجم الذي يبدره بسائي حركة ، وينجرك وقد رفع ذيله ، والزبان السام ـ في مؤخرة الذيل ـ على استعداد للدغ .. ويستطيع أن يحمي هذا الزبان حتى يصل به إلى فمه .. فإذا ما صادفته فريسة أمسك بها بكلاباته ثم يحملها إلى الخالب ، ولا يلدغها بزنابه السام إلا إذا أبدت مقاومة أو حركة شديدة ، عندها يوخزها وخزتين أو ثلاث فيشلها ، ثم تطحنها الخالب ، ثم يفرز عليها بعض العصارات الذائبة لتسهيل عملية هضمها ، ثم يزدردها هنيئاً مريئاً بعد أن تصبح عجينة لزجة .

يتغذى العقرب على مختلف الفرائس الحية ـ من الحشرات إلى الفقاريات الصغيرة كالفئران ـ ، وهو غير نهم يصبر على الجوع شهوراً كاملة ، ويبقى حياً تحت الماء مدة ٤٨ ساعة ، ويتحمل جرعات عالية من **الإشعاعات الذرية** تصل

التتمة العدد (٦٢) ص ١٠١

إلى (٧٥,٠٠٠) **رونتجن** ـ وحدة قياس فرنسية ـ بينما الإنسان تقتله (٦٠٠) وحدة رونتجن فقط. ولا يبتعد عن بيته في أحسن الأحوال أكثر من مترين.

التقنية العالية
Les super techniciens

الخفافيش من الثدييات وليست من الطيور، وجسمها مغطى بفراء وليس بريش، **عمرها (٥٠) مليون عام** حيث كانت الحشرات البدائية التي تولد عنها الشعيلة نوع من الخفافيش، والتي انتشرت في كافة القارات.. والخفافيش أنواع كثيرة منها ـ **الثعالب الطائرة** المنتشر في المناطق الحارة، وآكلات الحشرات، ومصاص الدماء ـ أمريكا ـ، وخفاش الزهور.

والخفاش حيوان ليلي، وضعور عينيه لا يعينه عن الطيران والتنقل والقنص، وهو يطير في الظلام ويتجنب كافة العقبات بسرعات متفاوتة.. صحيح إن لدى الخفاش رادار!.. أو إن صح التعبير فإن الرادار يعمل على المبدأ الذي سبقه إليه الخفاش بخمسين مليون سنة.. فالرادار الذي نعرفه تتوزع مهامه بين محطة إرسال ترسل **موجات كهرومغناطيسية** في الفضاء، فإذا اصطدمت هذه الموجات بعائق ـ ولنكن طائرة مثلاً ـ فإن بعضاً من هذه الموجات المرسلة تنعكس عائدة إلى أجهزة المحطة المرسلة لتستقبلها وتترجمها إلى معطيات وإحداثيات بنوعية العائق ومسافته، والوقت الذي يمضي بين انطلاق الموجة وعودة صداها يقدر منه بعد الجسم الطائر.

والخفاش مستنبطة هذا المبدأ، ترسل نبضات قصيرة من موجات فوق صوتية ـ وليست أمواج كهرومغناطيسية ـ ذات تردد يبلغ (٥٠,٠٠٠) هيرتز ـ ذبذبة في الثانية ـ وكل صرخة تستمر ٥٠٠/ ١ من الثانية. ـ الكلاب تلتقط الترديد حتى (٣٥,٠٠٠) هيرتز.. القطط حتى (٤٧,٥٠٠) هيرتز.. بعض الفئران الصغيرة حتى (٩٥,٠٠٠) هيرتز.. الإنسان من (١٦,٠٠٠ ـ ٢٠,٠٠٠) هيرتز.. والدلفين كاستثناء (٢٠٠,٠٠٠) هيرتز ـ. وعند اصطدام هذه الذبذبات بأي عائق، ينشأ لها صوت صدى مرتد، حيث يستقبله أحد الأغشية الخمسة الذي يترسله بدوره مضخماً إلى صيوان الأذن، ثم إلى المخ ـ الذي تكبر فيه المنطقة السمعية ـ حيث يحدد المسافة والزاوية ونوعية العائق على ضوء هذه المعطيات.

والإنسان لا يستطيع سماع أصوات الخفافيش ـ خاصة في الكبر ـ لأن المقتدرة السمعية للإنسان مهما كبرت لا تتجاوز الـ (٢٠,٠٠٠) هيرتز.

ولكن، لم تستعمل الخفافيش هذه الموجات الفوق صوتية القصيرة جداً؟. الحكمة في هذا كشف الأجسام والعوائق الصغيرة التي تستطيع رد هذه الموجات.. ـ وكمثال ـ.. أمواج البحر التي تتكسر على الشاطئ.. فالموجة الصغيرة يعكسها جسم صغير فيردها أو يكسرها، بينما الموجة الكبيرة لا تستطيع هذه الأجسام الصغيرة ردها أو كسرها.

وأيضاً نتساءل.. لم تتصادم الخفافيش بعضها ببعض عندما تطير في مجموعات وتصدر صرخاتها في آن واحد!

في الحقيقة إن المدبر أوحى في كل شيء أمره، و.. فصّل تفصيلاً.. فلكل خفاش مقام صوتي مختلف في العلو وفي الحدة، وكل خفاش منها يتفرد بنغمات ذاتية خاصة يستطيع أن يميزها لوحده من بين جميع نغمات السرفق ـ كخصيات أصبح الإنسان ـ.. وبعد هذا ألا يجدر بنا أن نخشع لموجد الفرد والأحدية في كل شيء؟.

والثعبان ـ الكروتال ـ الحية المجلجلة ذات الجرس La serpent sonnettes أخطر أنواع الثعابين حيلة ودهاً، وأخطر أنواعها السهلة **ذات الجرس البستوني الغربي** (أمريكا ـ المكسيك) التي لها تركيز سمي فائق وعيون كالنظار، وسيلة ذات الحرس في اقتناص الفرائس، هي الخروج بحملات ليلية، حيث إن الطقس الصحراوي يختلف نهاره عن ليله، فيصبح شديد البرودة ليلاً، والحيوانات ذات الدم الحار لا تتغير درجة حرارة جسمها أيما وجدت، وهذا الفارق بين درجة حرارة الجو المحيط وحرارة جسم الحيوان، يلتقطه ـ كاشف حراري ـ وهو عضو خاص مكانه بين فتحتي الأنف والعينين، يتأثر بأدق فروق درجات الحرارة حتى الـ (٠,٠٠١) من الدرجة. في الظلام والفريسة مطمئنة مختبئة بسدوله، يحدد هذا الكاشف الحراري اللعين مكانها والمسافة الموصلة إليها ـ بعد كشفه للفارق البسيط بين درجة حرارة جسم الفريسة والجو المحيط ـ، ثم يرسل بموجاته الحرارية إلى مخ الكروتال الذي يترجمها لواقع محدداً النوعية والمسافة بدقة متناهية ومحدداً للكروتال مقدار القفزة.

ولا نلحظ أنا وأنت ولا الفريسة كيف احتواها فم فاغر لا يرحم.. ولن يطول الوقت بالفريسة لتحتار في كيفية رؤيتها في هذا السظلام الدامس.

التضحية الطوعية
Le sacrifice Volontaire

● من الأفضل فقد الذنب أو إحدى القوائم أو حتى الأحشاء.. بدلاً من فقد الرأس.

شعبة الجلد شوكيات، شعبة من شعب عالم الحيوان الكثيرة، تحتوي على أنواع كثيرة جميعها تعيش في البحر، وحيث بهذا الاسم لأن للكثير من أنواعها أشواكاً تبرز من الجلد وتغطي الجسم كله.. والجلد المغلف للجسم يحتوي على هيكل صلب من الصفائح أو القضبان الجيرية.. ومن خصائص هذه الشعبة وجود ما يسمى بالجهاز الوعائي المائي الذي يقوم بمهمة الحركة والانتقال من مكان إلى مكان، وتم هذه التنقلات بالأقدام الأنبوبية.

أهم مميزات هذه الحيوانات الجميلة ـ وهي في الوقت نفسه سلاحها الدفاعي الوحيد ـ هو قدرتها الفائقة على التجدد، واستعاضة ما تفقده من أعضاء في جسمها، بعد أن تتنزع بها بكل طيبة خاطر.

هذه الشعبة تضم حيوانات تكتسب تماثلاً شعاعياً خماسياً ـ يصل في بعضها إلى الخمسين ـ ولذلك جميعها جهازاً وعائياً دورياً، وتضم الطوائف التالية:

(١) **طائفة النجميات**: وأشهرها نجم البحر الذي يعيش بالقرب من الشاطئ وفي الشعاب المرجانية، له جسم نجمي ذو خمسة أذرع.

(٢) **طائفة المئانيات ـ الأفيورويدا ـ**: ومنها أنواع نجم البحر الثعباني الشوك.

(٣) **طائفة القنفذيات**: ومنها قنافذ البحر وحيوان الرئة المعروف.

(٤) **طائفة الخياريات**: ومنها أنواع خيار البحر.

(٥) **طائفة الزنبقيات**: ومنها أنواع زنبق البحر.

هذه الحيوانات البديعة تلجأ لحيل فيها الكثير من التضحية والإيثار الذي لا تحسد فيه شيء، فهي إذا ما هاجمها عدو يريد افتراسها وقد يبرء جمال شكلها وطعم في وجبة دسمة.. قدمت له وبكل رضا واختيار قائمة أو ذراعاً أو حتى معدة، وتتركه يتلهى ويستلذ فيما لم يبذل فيه جهد، وتفر هاربة إلى حيث الأمان تنتظر نمو العضو الذي فقدته ولسان حالها يقول.. أكثر منها لا تخسر منه ولا يضر.. المهم عند هذه الحيوانات ألا يُفقد الرأس، فهذا لا يعوّض، وكل شيء عداه يستبدل حتى ولو طيبت المكوك فقط. ذلك أن الله (جل جلاله) منحها بقدرة عالية وسريعة على النمو والتكاثر، فخلاياها الحركية ـ في حال كسر ذراع ـ ما تشق وتلتئم بسرعة، ومن ثم تبدأ مرحلة توالد الأدمة.. ليعود العضو كما كان وأحسن.. وهناك مجموعة ثانية حيوانات تحتفظ بالمثل الجنسي طوال حياتها.

الدفاع والهجوم الجماعي (المشترك)
La défense et l'offensive en Commun

أنواع من الطيور **كالبجع** pelicans تعيش كمجموعات وبأعداد كبيرة جداً ، سلاحها الدفاعي كثرة عددها ، فكثافة تجمعاتها تبعد العدو عنها ، كما أنه هو سلاحها الهجومي ، فعندما تطلب الغذاء تتوضع فوق الماء على شكل مجموعات ـ أصناف حلقات ـ و تضيق بأحنحتها مأكولات تهرع الأسماك ، فتدفعه السمك للشاطئ حيث يقل عمق الماء ، فتلتقط هذه الطيور منها ما يكفيها غذاء لذلك اليوم .

وجماعات **ابن آوى** Les chacals الناكر ، يجري بينها توزيع للأعمال عادل عند طلب الفرائس ، فمجموعة تتولى مهمة محاصرة الفريسة المختلسة لتخرجها من مكان بالوسيلة التي ترتئيها ، ومجموعة تتولى دفعها باتجاه معين حيث يقف كمين المجموعة الثالثة المتفق على مكانه سلفاً . ويلتئم شمل المجموعات الثلاث حول الفريسة للمشاركة في الغذاء كما تشاركت من قبل في القنص . . وكذلك تفعل بعض مجموعات الذئاب . . وهناك أسلوب دفاعي مشترك لبعض الحيوانات الضعيفة التي لا تبغي إلا رد كيد المعتدي الطامع ، مثل النوع من **الغزال** المسمى chèvres ov pronghorns . . هذه الغزلان تخرج إلى الفرضى بشكل مجموعات تتوزع فيما بينها أعمال الرقابة والرصد والانتباه ، فمجموعة تتقدم الموكب كطليعة استكشافية ترصد الأمام ، ومجموعة ترصد وتراقب اليمنة ، ومجموعة لرصد وتراقب اليسرة ، ومجموعة لرصد المؤخرة .

ولا يشارك الجميع في الرعي سوية ، بل تتناوب المجموعات ، واحدة تلو الأخرى وثلاث للمراقبة ، لئلا يفاجأ القطيع بما لم يحسن في الحسبان . والفيل من **(٦٠٠٠ ـ ٨٠٠٠) نوع** ـ يوجد في كل مكان ـ ، حشرة عشائية الأجنحة من أكثر من (٢٠٠٠ ـ ٩٠٠٠) نوع من الحشرات أمكن تصنيفها حتى الآن ، يملك حاسة شم قوية وقرون استشعار تتحسس وتسترشد له العالم المحيط به ـ لأنه ضعيف البصر ـ .

النحل ـ مع النحل والنمل الأبيض .. الأرضة .. والزنابير ـ جميعها حشرات اجتماعية تحيا حياة تعاونية رائعة ، يستحيها ذكاء نادر وقدرة عمل تخصصية . في حياتها للمتدبر أشياء تخلب اللب ، وفتنة وسحراً وجاذبية وتتبع أداء ، وهذا ما يجعلها **أرقى المجتمعات الحيوانية مسلكاً وتعاوناً ومشاركة حياة ومصير** . مجتمعها منظم رضيخ ، له **ثلاث طبقات رئيسية ـ الملكة . الشغالات . الذكور ـ وطبقة رابعة لا توجد في النحل ، هي طبقة العساكر** .

والنمل آكل اللحوم يختبر من النمل الرحل لأنه يغير أماكن مستعمراته باستمرار ، إلى حيث توجد اللحوم . . أما **النمل المزراعي** ـ نمل الظلات ـ قاطع الأوراق ، فيخرج مسافراً في رحلات طويلة بعيداً عن أعشاشه باحثاً عن أوراق الأشجار والأزهار ، وحين عودته ترى منظراً لطيفاً ـ ورق يتحرك ـ . . وعموماً فالنمل جميعاً في حالة حروب وإغارات مستمرة لا تنقطع ، أهدافها إما جلب الأرزاق أو لغرض السيطرة على منطقة ما أو لاتخاذ عبيد وخدم ـ كما في النمل الكسول المتبلد في اليابان ـ الذي يأسر العذارى كمخادم ثم يربيها ويعتني بها في أعشاشه ، لحين يشتد ساعدها ، فيضع رجلاً على رجل ويقوم هؤلاء العبيد المميزون بكافة الأعمال حتى إطعام الطعام ومد المواند .

وبعض أنواع من النمل الأبيض ـ **الأرضة** La termit ـ قاطع طرق ، يترصد للحاصدات من شغالات الأعشاش الأخرى ويسرق ما تحمله من مؤن ، أو يقوم بإغارات على الأعشاش المجاورة بعد أن يفاجئ الخنود الخرس ويتسرب إلى المخازن التي تخزن فيها المؤن فسلب وينهب ما فيها . . وبعض أنواع النمل تضم بين أفرادها لمداوي قزمة تخصصها السلب والنهب .

أما **النمل الأحمر** فلا يسرق الطعام ، بل يخطف الشغالات بعد أن يهاجم أعشاش النمل الأسود ويأخذ منها الحشرات الصغيرة ، وقد يحتل العش الذي يهاجمه بكامله ويستقر فيه ، بعد أن يزيح الملكة عن عرشها وصولجانها ، ويخضع أعداءه السود للاسترقاق صارم ويعاملهم كطبقة عبيد .

والتكتيك القتالي المتبع في عالم النمل حين تجهيز الحملات العسكرية وسيرها ، هو أن يسبق بعض النمل النشيط أية فرقة تتحرك إلى الأمام حتى مسافة أمتار ، ثم يعود هذا النمل المستكشف إلى العش ، ويتحرك غيره من النمل إلى الأمام ، ثم يعود هذا النمل المستكشف إلى العش ، ثم يتحرك آخر إلى الأمام .. وهكذا . فبهذا التكتيك التوزيعي تبقى الخطوط الأمامية لتلك الجيوش في تغير وتبدل دائمين مما لا يتعب هذه الفصائل . . ويتصرف النمل على أعماله من الرائحة التي تميز أفراد كل عش .

تعاون جماعي أحياناً يطيش بفكر الإنسان بعيداً . . ولا يفوقه أداءً وروعة إلا تعاون هذه المجتمعات نملياً . والطرف المهاجم ـ يفتح الجيم ـ حين يخبره كشافوه بتقدم طلائع النمل المهاجم ، ينتشر الآلاف من الجنود في أقل من لمح البصر في جميع الاتجاهات استعداداً للذود عن حمى الديار والأهل ـ والجنود طبقة لا تشارك في أي عمل سوى الحرب ـ . . أما النمل الأبيض ـ الأرضة ـ ويوجد في كل مكان وخاصة المناطق الحارة ، غذاؤه الأساسي الخشب ، وجميع أنواعه اجتماعية وإن تمايزت مجتمعات عن أخرى ببعض الرقي والتقدم .

مجتمعه الطبق ثلاث فئات ـ كالنمل العادي ـ ، يبني بيوتاً كالعمارات قد تصل لعلو (٧) أمتار ـ استراليا ـ ، والأعشاش صلبة وقوية ، وتتكون من حبات الرمل وذرات التراب التي تبللها بلعابها وتلصقها فتصبح مثل قطع الإسمنت . ثم ترتب هذه القطع فوق بعضها ، لتكون بنياناً شاهقاً تصد به الأعداء من سحالي وطيور ، وبداخل العش طرق وأنفاق ودهاليز كثيرة ، وفي الأماكن المعطرة يبني فوق العش ما يشبه المظلة . .

والزنابير La guêpes **(١٠ آلاف نوع)** تعيش حياة اجتماعية مشتركة مشابهة للنمل ـ وإن كان بعض أنواعها لا يزال يحيا حياة فردية ـ . . تبني الزنابير بيوتها وأعشاشها من الورق المصنوع من الخشب أو من القماش المصنوع ـ ولذلك اعتبرت أقدم صناع الورق في العالم ـ . . وها نفس الطوائف الثلاث للنمل وذات توزيع العمل والاختصاص . . وللزنابير حملات عسكرية على أعشاش حبيراتها ، كما تهاجم الحشرات والعناكب الكبيرة الخطرة وتقتلها .

أما **النحل** LA Abeilles فحياته الاجتماعية سلماً تتعوق على الناحية العسكرية تنظيماً ودقة وتوزيع عمل ، وأرقى أنواعه الكثيرة ـ **نحل العسل** ـ ، التي تشابه مجتمعاته مجتمعات **النحل الطنان** الذي يهاجم خلايا جيرانه ، فتدخل الملكة وتلدغ ملكة تلك الخلية وتقضي عليها ، وتتوج نفسها ملكة جديدة على هذه الخلية ، وتخضع لها الشغالات التي تقوم برعايتها وخدمتها .

من السمات المشتركة لهذه المجتمعات الحشرية ، سمة الوطنية والاستماتة في الدفاع عن الأرض ، فجميع الأفراد تشترك في الدفاع المستميت عن العش أو الخلية ، وهدفها النهائي هو حماية المستعمرة والذود عن حمى الديار والوطن . . وحماية الفرد ليس له حساب بتاتاً في هذه المجتمعات ، ولن تجد أبداً نملة أو نحلة أو زنبوراً يقاتل لعنصرية دفاعاً عن أخ أو زوجة أو رفيق سلاح .

سلاح جنود النمل في الغالب ـ بعد العض ـ **حمض الفليك** ، والزنابير سلاحها إبرة قوية تلسع المهاجم فتقضي عليه ـ ولا تلدغ إلا في حالة الدفاع عن العش ـ ، والنحل سلاحه اللسع أيضاً ، إذ تحمل كل نحلة في نهاية بطنها زبالا ، يتكون من قضيبين رفيعين في كل منهما عشر أشواك حادة ، تستعمله مرة واحدة فقط وتموت لأن آلة اللسع المسننة تتمزق بعد اللسع ، ومع اللسع تحقن العدو **بحامض الفورميك** وسموم أخرى ، علماً بأن ملكة النحل لا تلدغ إلا ملكة مثلها .

وبعد .. فإن لله في خلقه شؤون .

اللوحة والفنان

• تكوين لفرس ، ومنازل •

● اللوحة المعروضة هنا هي تكوين محكم من الناحية البنائية لفرس ومنازل ، أي إن الموضوع مستمد عناصره من البيئة السعودية ، فالفنان يسجل البيئة عن طريق إبراز الطراز المعماري للمنازل الذي يزخر بالزخارف الشعبية ، أو إبراز المثلثات والأرشات التي تميزت بها المباني في المنطقة الغربية «سوض الفنان» ، أو إبراز الجوامع ، والحصان العربي الأصيل وما يرتديه من زي يزخر أيضاً بالزخارف الشعبية .

● يتضح من اللوحة مفهوم الفنان للفن وهو أن الفنون يجب أن تستمد جذورها وعناصرها من التراث ، وأيضاً من واقعها المكاني والزماني ، لذا خرج أسلوب الفنان في اللوحة بشكل متجانس ومتفاعل مع الواقع .

● استنبط الفنان عناصره من الزخرفة العربية ، ومن الفنون الشعبية ومن الأشكال الزخرفية المرسومة على الأدوات المستخدمة في البيئة السعودية ، تلك الأدوات التي تستخدم في الحياة اليومية .. وقد صاغ تلك العناصر في صيغة تشكيلية معاصرة تتضح من كيفية تناوله لعناصر العمل الفني من كتلة وفراغ وخط ولون .. وذلك لإبراز التراث الحقيقي .

● أسلوب الفنان في اللوحة يتسم بالحس الشعري ، والرؤية الشرقية ، والبساطة ، وتلخيص الأشكال والعناصر ، فهو يحيل الكتل إلى مساحات مسطحة في إطار البعدين ، ويشغل تلك المساحات بعناصره الزخرفية .

● بناء اللوحة يعتمد على العلاقات الهندسية وتناغمها سواء في المساحات وإيقاعاتها ، أو في الخطوط المستقيمة والمنحنية وهارمونيتها ، والخط المنحني عند الفنان يحرك العين المتلقي في جميع أجزاء اللوحة . أما الألوان فهي متضادة ومتجانسة ومستمدة من التراث الشعبي .



• سليمان أحمد باجبع •

● ولد بالمنطقة الغربية بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٧٤ هـ .

● حصل على دبلوم معهد التربية الفنية بالرياض .

● يقوم حالياً بتدريس مادة التربية الفنية بالمنطقة الغربية .

● اشترك في كثير من المعارض والمسابقات داخل المملكة وخارجها منها :

★ جميع المعارض والمسابقات التي أقيمت بالمنطقة الغربية منذ عام ١٣٩٦ هـ .

★ معارض المقتنيات التي تقام بالرياض للأعوام ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ١٣٩٩ ـ ١٤٠١ هـ .

★ المعارض السنوية لمناطق المملكة للأعوام ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ١٣٩٩ هـ .

★ معارض الفن السعودي المعاصر بالرياض الأول والثاني والثالث والرابع .

★ معرض الكويت الخامس والسابع للفنانين التشكيليين العرب .

★ معرض الفن السعودي بألمانيا ١٤٠١ هـ .

★ معرض الأسبوع الثقافي السعودي بالمغرب .

★ مهرجان الشباب الرابع بالمغرب .

★ معرض أسبوع الإحساء السعودي البحريني ١٤٠٢ هـ .

★ المعرض التشكيلي لمهرجان دول الخليج بفرنسا ١٤٠١ هـ .

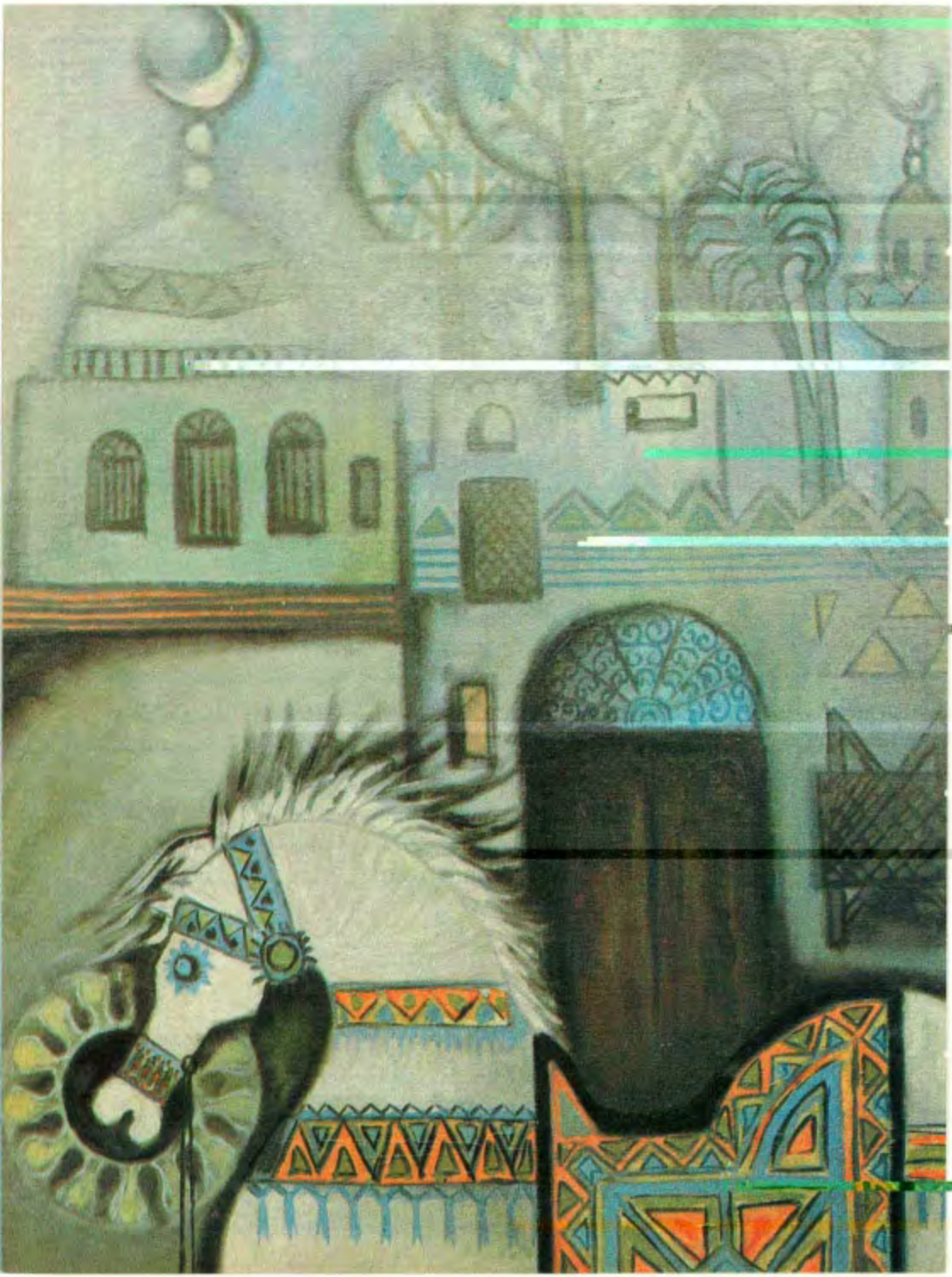
● أقام معارض شخصية بصالة العرض بنادي الاتحاد بجدة .

● فاز بجوائز تشجيعية ، وجوائز مقتنيات من جميع المعارض والمسابقات التي اشترك فيها ، ونذكر منها :

★ الجائزة الثالثة في معرض الفن السعودي المعاصر لعام ١٤٠١ هـ .

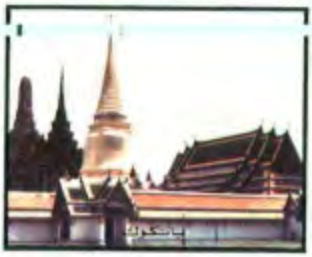
★ الجائزة الثانية في المعرض العام الخامس لمقتنيات الفنون التشكيلية .

★ الجائزة الثالثة في معرض الفن السعودي المعاصر لعام ١٤٠٢ هـ .







مَرحبًا بكم في عَالمنا.

يشهد عام ١٤٠٢ تطورا هامًا جعل من السعودية أحدى أضخم شركات الطيران في العالم - توسعت شبكة مواصلاتها لتشمل مايتعدى الأربعين مدينة في اربع قارات مختلفة - وزيادة اسطولها من الطائرات الضخمة الفسيحه - أدى إلى زيادة عدد رحلاتها المباشرة لاتاحة المزيد من فرص التنقل بين مختلف المدن .

السعودية هي الخطوط الوحيدة التي تؤمن المواصلات بين ٢٢ مطاراً داخل مدن المملكة .

لكننا الآن نضيف إلى خدمتنا خطنا الجديد إلى سنغافوره عن طريق بانكوك - مرتين كل اسبوع

حتى يمكن أن تكون السعودية هي أول ما يمكن أن تتذكره عندما تفكر في السفر إلى عالم التجارة والسياحة الشرق الأقصى

السعودية
الخطوط الجوية العربية السعودية

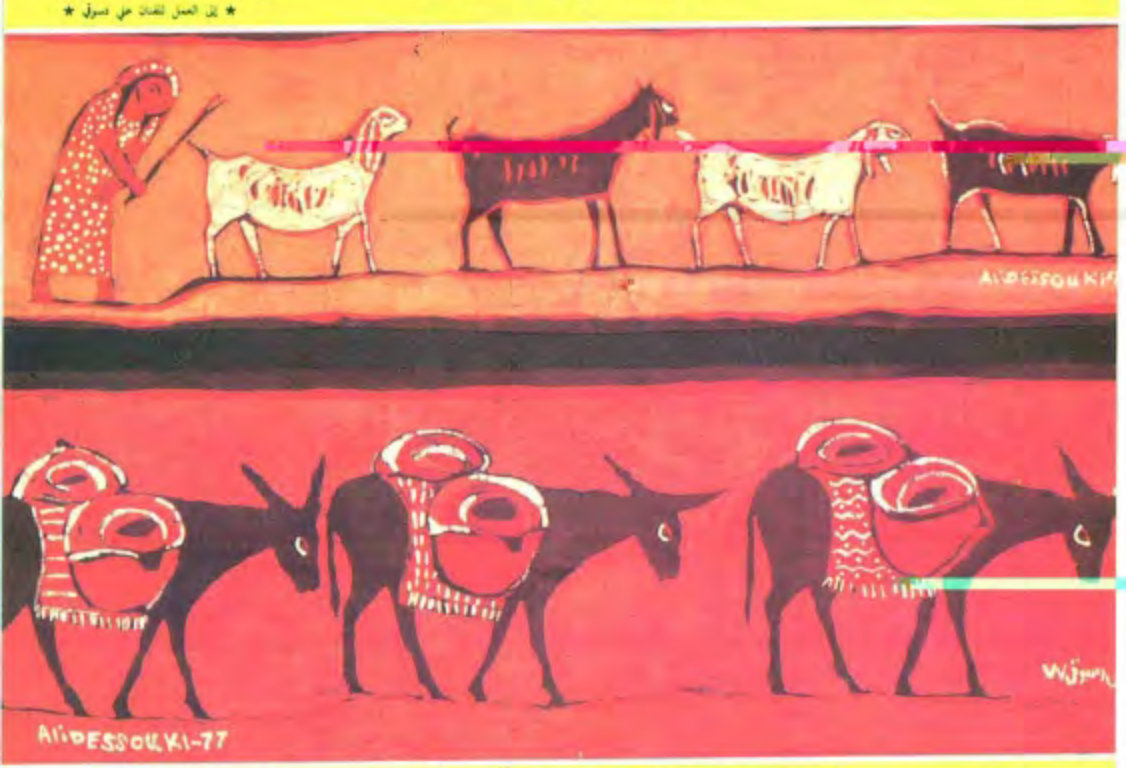


الباتيك

فن قديم.. معاصر

بقلم: فوزي سليمان

★ إلى العمل للفنان علي دسوقي ★



نشأته

فن «الباتيك» - أو فن الرسم والطبع على القماش - فن قديم وحديث.. تمتد جذوره إلى آسيا.. إلى جاوه والهند والصين واليابان... ومن هنا أخذ شهرته كفن آسيوي.

ونروى عن بدايته قصة ذائعة بين أوساط فنانى الباتيك

● فن الرسم والطبع على القماش أصله من آسيا واتخذ طابعًا محليًا في كل بلد حل به ●



★ السرج ★



★ الفنان علي دسوقي مع إحدى لوحاته ★

الباتيك

فن قديم .. معاصر

قطنية خاصة ، تتجاوب مع الأصباغ الخاصة لفن الباتيك ، لأن الألوان تصبح عازلة إذا استخدمت على أقمشة صناعية .. ولا بد من مراحل عديدة حتى تكتمل اللوحة .. أولا تنقع الأقمشة في ماء بارد لمدة ٢٤ ساعة حتى تزال طبقة النشاء التي تغلف القماش .. ثم تنشر وتكوى .. ويرسم عليها التصميم المعد .. بعد هذا يستخدم الشمع وهو عازل للون . **أبيض وأصفر** ، مع قليل من نوع خاص من **المسحوق** ، حتى يتماسك النوعان على القماش .

بعد التصميم تحدد ملامح اللوحة .. يغطى اللون الأبيض ـ لون القماش ـ وتغطى كل الأجزاء بالشمع بفرش مختلفة الأحجام ، ثم تصبغ الألوان حسب المطلوب في اللوحة . **والألوان غالباً خمسة** .. وفي كل مرة يعد صبغه بلون ما يؤكد اللون السابق بفرشة الشمع حتى يتماسك اللون السابق ، لأنه في كل مرة تتأثر اللوحة من خلال المواد الكيماوية التي تكون ممتزجة بالأصباغ في عملية تركيب الألوان .. وبعد الانتهاء من اللون الأخير تغلى قطعة القماش عدة مرات في ماء ساخن .. ثم يعاد نشرها .. وتجفف .. لتخرج إلينا ـ أخيراً ـ اللوحة التي نراها أمامنا .

أترى درجة المعاناة في مثل هذا العمل الفني .. ؟ هذا هو جانبه التقني أو الحرفي .. لكن هناك جانبه الأهم .. **الرؤية الفنية** .. إبداع الفنان الذاتي .. كيف يعبّر وبأي أسلوب يعبّر .. هنا يعبّر الفنان بأصعب الأدوات .. وأكثرها مشقة ومعاناة عن فكره وتجربته .. يجابه الفنان هنا تحديين .. تحدي الصنعة وتحدي الفن الإبداعي .

نسوق هذه المقدمة ونحن بصدد التعرض لأحد فناني فن الباتيك البارزين في مصر .. وهو **الفنان علي دسوقي** الذي عرف بفنان الباتيك .. وأضفى طابعاً محلياً وعربياً على الفن القادم من آسيا .

فن النسجيات

وقبل أن نتحدث عنه لا بد من أن نشير إلى جذور هذا الفن في بلد الفنان ـ مصر ـ وإلى زملائه من الفنانين الآخرين في هذا المجال الصعب .

ذلك أن فن النسجيات له أصول في مصر ، وهذه الأصول تطورت عبر القرون ، لتصل إلى **فن النسجيات الإسلامي** عن فنان هندي من روّاد هذا الفن أراد أن يهدي زوجته شيئاً مميزاً يختلف عن كل ما تملكه ليعبّر لها عن حبه .. فقام باستخراج مجموعة كبيرة من الألوان والأصباغ ، ورسم بها قطعة من النسيج صور عليها كل المعاني التي أراد أن يفصح بها عما في قلبه من حب ، واستغرق في صنع عمله هذا سنة كاملة .. وانتشر هذا الفن في بلاد عديدة .. من آسيا إلى جنوب إفريقيا إلى مصر .. وفي كل بلد هاجر إليها الباتيك تطور واتخذ طابعاً فنياً قد يبعده قليلاً أو كثيراً عن الأصول الآسيوية .

ماهيته

"ومن" الباتيك ما صنعب .. يحتاج إلى صبر ومعاناة ومراس .. كما يحتاج إلى الروح الفنية المبدعة التي بدونها لا يكون فناً !!

تستخدم فيه أقمشة



★ نساء من الصعيد ★

المعروف . عرف المصريون منذ القدم صناعة النسيج ، حيث يعود إلى **العصر الفرعوني** ، ويمتد إلى **العهود الإغريقية والرومانية** . وتفوق المصريون بمنسوجاتهم التي تأثرت ببعض عناصر إغريقية ورومانية وساسانية . وتأثر الفن القبطي بالفن الهيليني (أومزيج الحضارات الإغريقية والشرقية القديمة) ، ومن ثم تطور وخاصة في النسجات التي اتخذت طابعاً محلياً يتميز بالرمزية والبعد عن الواقع . . والتعبير عن الأشخاص والطيور بشيء من السذاجة والانفعالات الفطرية ، حتى لتبدو الأشكال محرفة أو تجريدية . وتميزت بعض **مدن الصعيد** مثل **أخميم** بالتفوق في فن النسيج ، الذي تحرر من القيود الشكلية المعروفة في الفن اليوناني والبيزنطي . . ليقترب من البساطة حتى لتبدو رسوم القديسين كأنها من رسوم الأطفال . . فلا يصورون في هيئة الملوك والأمراء كما فعل فنانو أوروبا في العصور الوسطى ، بل كفريسين أشكالهم مليئة بالسذاجة . . وتحرف نسبة أجسامهم ، وتلمس في جرأة خطوطها وتركيبها مما يقترب بها من الفن الحديث .

هذا عن الماضي البعيد . . فاذا عن الواقع الحاضر ؟

تجربة الخرائية

هناك تجربة **قرية الخرانية** . . التي كانت بدايتها مع النسجيات . . وفي الوقت الذي كان فيه الفنان الراحل **حبيب جورجي** يجري تجربته في النحت التلقائي . . كان الفنان الراحل **رمسيس ويصا واصف** يجري تجربته في النسجيات ، فاختار مجموعة من أولاد هذه القرية التي تقع بين الحقول قرب **أهرام الجيزة** ، ووفر لهم إمكانات المعيشة والجو الهادئ ، ودعاهم ليغزلوا بخيوطهم لوحات تلقائية تعبّر عن الطبيعة ومظاهر الحياة حولهم ، ثم تناول بعد هذا تجربة الباتيك ، التي استفادت من تجربة غزل خيوط السجاد ، ولكن بشكل أكثر بساطة وأقل ألواناً ، فالألوان هنا لا تتعدى لونين أو ثلاثة . . والأصباغ تصنع من نباتات البيئة . . وأصبح لها لون خاص يختلف عن الألوان التقليدية لفن الباتيك . . نجد فيها اللون الأخضر بدرجاته واللون الأصفر بدرجاته ، ولا توجد الألوان الكيماوية الصناعية . . وتستخدم أعمال فن الباتيك بالخرانية في أغراض شتى . . في الملابس والمفارش والستائر وبعضها كلوحات فنية لها ذوقها الخاص .

هؤلاء هم فنانو الباتيك التلقائيون ، أما بالنسبة لفناني الباتيك المحترفين ، والمعروفين . . فالملاحظ أن عددهم ـ بالنسبة للفنانين التشكيليين عامة ـ قليل للغاية . . من أبرزهم **سعد كامل** ، **وخميس شحاتة** ، **وصبري السيد** ، **ونازك حمدي** .

يتخذ « **سعد كامل** » موضوعاته من الحياة الشعبية . . سواء أعماله في فن الحفر أو الباتيك . . ويستخدم في زخرفته المثلثات والدوائر كوحدات شعبية . ولا يقتصر في أعماله في الباتيك باستخدام الشمع . . بل يكمل بعضها بالفرشاة . . ويشترك معه في هذا الأسلوب الفنان « خميس شحاتة » الذي يجمع بين الباتيك والرسم بالألوان . . ويتفق مع سعد كامل في موضوع الفن الشعبي .

أما الفنان « **صبري السيد** » ، وهو أستاذ مادة الطباعة بكلية الفنون التطبيقية ، فقد استطاع أن يصل بمهارة صناعية إلى ابتكارات في التصميم . . واستخدم بمهارة

الباتيك فن قديم.. معاصر

التصميمات الزخرفية وخاصة في فكرة الدائرة، كما استفاد من بعض عناصر الفن الإفريقي.

وتستخدم الفنانة «**نازك حمدي**» موضوعات مصرية، ولكن من خلال خمس سنوات قضتها في **الهند** فيمكن أن نلحظ في كثير من لوحاتها مؤثرات من الهند ومن شرق آسيا حتى في استخدام الألوان.

وأكثر هؤلاء الفنانين يستخدمون **الخطوط العربية** كوحدات زخرفية كما يستفيدون في تصميماتهم من تراث الأقمشة القبطية.

مدرسة البيئة والحياة

بعد هذا نأتي إلى فنانتنا **علي دسوقي**.. محور موضوعنا هذا.. الذي يرتبط اسمه وفنه بالباتيك.. من خلال معارضه العديدة في مصر والمغرب وأوروبا.. إنه يحق من روّاد الفنانين المصريين الذين أعطوا لفن الباتيك طعماً خاصاً.. والذي أخلص لهذا الفن بالذات وكرس له جهده وحياته.. مما جعله يتميز عن جميع الفنانين بمهارته وتفوقه في عالم التشكيل والتكوين والبناء والألوان.. إنه فنان التزم بالباتيك وحده، وأخلص له.

تتميز كل أعمال علي دسوقي بزخارفها بنائيه.. بتجاورها.. بالناس البسطاء.. ولعل هذا يعود إلى نشأته.. فقد نشأ في حي شعبي، عريق هو حي **السلّوم**، حيث تمتد **الأزهر الشريف**.. **وسيدنا الحسين**.. حيث ترتفع مآذن المساجد والعمائر الإسلامية القديمة بزخارفها.. وحيث تموج الحياة بالناس.. والأعياد الدينية والشعبية.. وبالنماذج الشعبية الأصيلة.. كل هذا يعطي صورة ـ تعبّر عن روح الحي الشعبي.. هذه الروح التي تحوي الحب والتي جعلته يتعاطف مع الناس حوله.. الذين يستقبلون الحياة بإيمان قدري «توكلوا».. ومواجهة.. مشاكل الحياة بابتسامة.. وهم يفضلون **المواويل** على **الربابة**.. بين دروب أحياء القاهرة الشعبية حيث الأصالة والتقاليد.. وحيث نبل العواطف.. في هذه المدرسة.. مدرسة البيئة والحياة.. التي تشرّب فيها بعصارة الثقافة والشخصية والعراقة.. خرج إلى العالم الرحب.. يحمل فنه المتميز.. وتعيش في ذاكرته عادات وتقاليد الحي الشعبي.. مثل صندوق الدنيا.. السبوع.. احتفالات رمضان.. إلخ.

وعلي دسوقي فنان عصامي.. علّم نفسه بنفسه.. قرأ ودرس ولاحظ.. ثم التحق بالقسم الحر بكلية الفنون الجميلة.. وحينما يمنح منحة التفرغ من وزارة الثقافة يكون موضوع منحة الثلاث سنوات: «العادات والتقاليد الشعبية في مصر».

ويقوم بجولات في أنحاء مصر من **مرسي مطروح** حتى **البحر الأحمر**.. من **الإسكندرية** حتى **النوبة**.. تتوغل في الريف في بلدة أخميم بالصعيد يسترعيه كيف يصنع أطفال هذه القرية لوحات تعبر عن الحياة في القرية.. في ريف صعيد مصر بألوان وخيوط بأشكال بسيطة وتلقائية.. يعايش حياة القرية في مختلف مظاهرها.. يرحل إلى النوبة.. يعيش بين طبيعتها وجبالها وأهلها، ويعود إلى حيه الشعبي.. الغورية.. وإلى مرسمه بوكالة الغوري، يرسم، ويعبر عن أفكاره وانطباعاته وروبشته بالألوان على نسيج الباتيك.. يختار الفن الصعب الذي يجمع بين صنعة الحرفية وابتكارية الفن.

نماذج شعبية

نذهب إلى علي دسوقي في مرسمه بوكالة الغوري.. نخترق الطريق المزدحم الغاص بالبشر.. على مرمى من الأزهر الشريف.. وسيدنا الحسين.. نلتقي به.. يفرد أمامنا أقمشة الباتيك.. ونتأمل لوحاته.

هذه لوحة «**التحطيب**»... يستخدم فيها العمارة العربية بدوائرها وعليها خطوط عربية.. وهي لازمة نلمسها في أكثر لوحات علي دسوقي يعبر بها عن كلمات يختارها من القرآن الكريم.. ويبدو في اللوحة فارسان.. فارس أبيض وآخر بلون بني.. ويتبارى الفارسان في رشاقة.. بالتحطيب.. اللعبة المعروفة في صعيد مصر.. وتكاد تحس بحركة الخيل وإيقاع رقصها مع حركة التحطيب.

وهذه لوحة «**الفارس والعروس**».. على خلفية من العمارة الإسلامية والعربية بأقواسها الدائرية.. يبدو وسط اللوحة العريس والعروس.. العروس ممسكة بطائر.. وعلى اليمين عازفان يعزفان لحن الفرح أو لحن العروس..

وتستعرض الفنانة «**حاملة الجرة**».. من النوبة، في الخلفية تبدو جبال الجنوب.. وفي السفح بيوت بيضاء.. وفي مقدمة اللوحة فتاتان تحملان الجرة.. وتكاد تشعر بإيقاع موسيقي بلون بشرتهما السمراء.. وجه كل منهما تزينه حلي لامعة.

ومن **النوبة** أيضاً هذه اللوحة تشدك إليها بمجموعة النساء يجذبك إليهن تلاصقهن كأنهن كتلة فخارية أو نحتية.. وخلفهن الجبل.. كتلة حجرية أخرى.. تماسك الإنسان مع الإنسان في آلامه وحزنه.. وتوحد الإنسان مع الطبيعة.

«**قافلة الجواميس**».. لوحة أخرى معبرة.. من أعمال الريف.. موضوع محبب لدى الفنان.. اللون هنا لون الطين المحروق.. نقل حدة الضوء لتبرز عناصر اللوحة.. تشعر بالحيوانات وظل يبدو في مقدمة اللوحة كأنه بشرى أمل.. أو غد مرتقب.

وتنقلنا لوحة «**الحج**» إلى تقاليد شعبية كانت تمارس باحتفالات الحج.. حيث

تستخدم عناصر زخرفية على بيوت الحجاج يمكن أن تلمسها في تجوالك بحارات أي حي شعبي بالقاهرة «بسم الله الرحمن الرحيم» «الله أكبر» «ما شاء الله» «حج مبرور».. وإلى جوارها رسوم للسفينة أو القطار وسيلة المسافر للحج.. وكان يحتفل بالكسوة احتفالا رسمياً وشعبياً كبيراً.. وفي هذه اللوحة يستخدم «علي دسوقي» عناصر من تلك الذكريات والاحتفالات.. الأدلاء بمزمارهم.. الهودج وعليه رجال ونساء.. وتعيش شعائر ذلك الاحتفال الشعبي الكبير.

لا تكاد تصدق أن هذه اللوحات الجميلة وراءها معاناة.. ومراحل شديدة التعقيد.. تستلزم التخطيط المسبق لمراحل الصباغة والتصور المسبق لمواقع كل لون في اللوحة.. يتعامل الفنان هنا مع المواد.. كما يتعامل مع اللون والمساحة.. ومع الخيال والواقع.. كل لوحة تستغرق شهراً.. أو نحو ذلك.. وفي النهاية هاهي لوحة جميلة أمامك.. تكنيكها آسيوي أصلاً.. لكنها ارتدت ثوباً عربياً واتخذت روحاً محلية.. تعبر به عن البيئة بصدق ففي.. وتنقل إلى العالم الخارجي.. في بلاد الغرب.. وإلى إفريقيا.. بل إلى اليابان.. بالشرق الأقصى.. ليشار إليه أنه فن قادم من بلد عربي وله روح عربية.

* * *



★ بقلم المحرر ★

حيوان

Animal

هجرة أسماك السالمون الغريبة تستغل تجارياً

أسماك السالمون القادمة من شواطئ قارة أوروبا وأسماك السالمون القادمة من بحار شرق أمريكا وشرق كندا تتجمّع في شمال **المحيط الأطلنطي**، ثم تتجه إلى مصاب الأنهار الكثيرة في المحيط، لتتفرّق جماعات السالمون بعدها وتتجه كل مجموعة منها إلى النهر الذي ولدت فيه ونمت قبل أن تغادره إلى المحيطات.. وتضع أسماك السالمون بيوضها في منابع الأنهار ذات المياه الصافية، ثم تذهب لتموت حيث ولدت.



هجرة أسماك السالمون الغريبة هذه بعد أن درسها العلماء لأكثر من (٧٥) عاماً حتى كشفوا سرّها، استفادت منها **اليابان** و**تشيلي**، وعقدت الدولتان فيما بينهما عدة اتفاقيات لإنشاء مزارع محيطية كبيرة في شمال تشيلي حيث المناخ الجيد والجغرافية التي تشابه مناطق إنتاج السالمون في نصف الكرة الشمالي، ورصدت اليابان لذلك أكثر من (١٠٠) مليون ين ياباني ستعطي مردوداً سنوياً قدّر بـ(٢٠) مليون دولار، وتأمل تشيلي أن تتفوّق صادراتها من السالمون على صادراتها من النحاس، المنتوج الأول في البلاد.

والعملية تتلخص في نقل البيوض المخصّبة لأسماك السالمون إلى منطقتي (**كوهو**) و(**شينوك**) في شمال غربي





نبات

Botany

مزارع مكسيكي أمي خبرته تفوقت على العلم

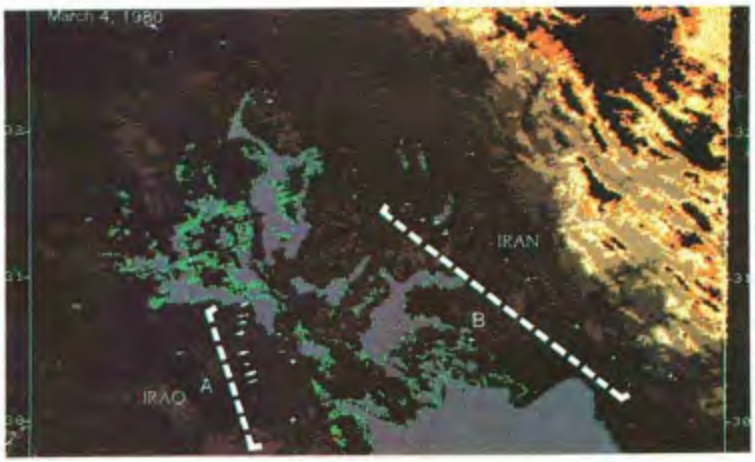
ثمرة كرنب (ملفوف) وزنت (٢٢) كيلوغراماً، وبلغ قطرها متراً واحداً، وبصلة يابسة واحدة وزنت (٢,٣) كلغم وبلغ قطرها (٣٠) سم ـ تشاهدهما في الصور ـ وثمرة بندورة (طماطم) واحدة بلغ محيطها أكثر من (٦٠) سم.

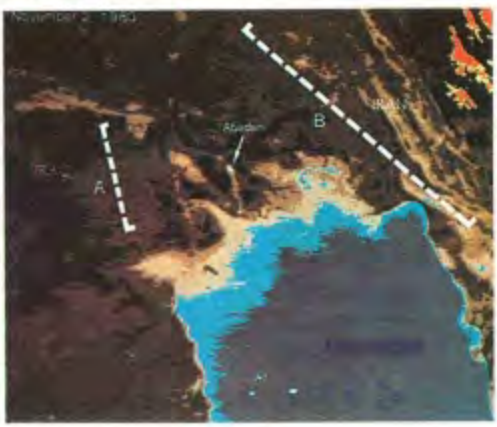
هذه الأشياء غير العادية من البقول نبتت في أرض **المزارع المكسيكي (جوزيه كارمن)** الأمّي الذي لا يقرأ ولا يكتب ولا معرفة علمية عنده في علم النبات ولا يملك في مزرعته معامل تجارب أو مراكز

المحيط الهادي من مياه مناطق تشيلي ، وعندما تفقس هذه البيوض وتخرج ملايين الأسماك الصغيرة ستعود إلى حيث ولدت في شمال تشيلي حيث تنمو وتكبر وبعد أن تقضي عدة سنوات في المحيطات .. ومعهد تشيلي لتطوير الأسماك يشجع الاقتصاديين على إقامة هذه المزارع المحيطية الكبيرة ، وقد أقيمت الآلاف من أقنية المياه العذبة وزرعت بالبلانكتون (العوالق النباتية والحيوانية) والبرطمانات التي تفضلها أسماك السالمون غذاءً لها .. وهكذا استغلت خاصية الهجرة العجيبة عند أسماك السالمون لجني الأرباح الطائلة .

أبحاث .. ولكن جوزيه يقول إن عنده خبرة طويلة في الزراعة .. والأهم من ذلك أنه يحب مزروعاته وأرضه حباً كبيراً ، وهذا عاد عليه بأفضل النتائج والمردود ، واعتبر ما أنتجه في مزرعته بمثابة الغرائب .

ويقول كارمن إن أرضي ذات تربة بركانية غنية بمعادن البوتاس والفوسفور وأملاح معدنية كثيرة ، وإني أرويها بالمياه بشكل جيد على مدار العام كله .. وإني فضلاً عن ذلك شغوف بحبها .. وهذا ما جعلني المزارع الأول في المكسيك .. بل ربما في العالم كله .



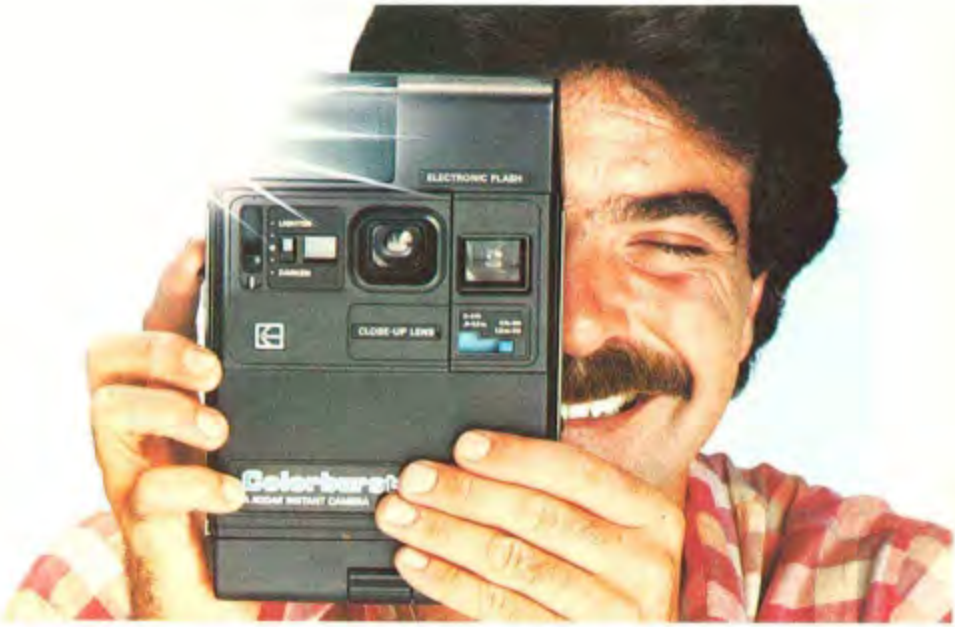


تصوير

Photography

آبار بترول انطفأت في الشرق الأوسط

الصورتان التقطهما القمر الصناعي الأميركي التابع للإدارة القومية للمحيطات والجو (NOAA) .. ونرى في الصورة التي التقطت في ٤ آذار (مارس) عام ١٩٨٠م ، قبل بداية الحرب العراقية الإيرانية . الخليج العربي وعلى يساره أراضي العراق وحوالي ٤٠ نقطة بيضاء تمثل مناطق اشتعال الغاز الطبيعي في مراكز استغلال آبار البترول العراقية ، وعلى يمين الخليج العربي أراضي إيران وآبار البترول الإيرانية .. والصورة الأخرى التقطت من نفس القمر الصناعي بعد تسعة أشهر في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٨٠م ، ونرى كيف انطفأت تلك الآبار ولم تعد تشتغل بسبب الحرب العراقية الإيرانية . والسهم الأبيض يشير إلى ميناء (عبادان) الذي كانت فيه أكبر مصفاة بترول في العالم .. وهذه الصور التقطت بالأشعة تحت الحمراء (الحرارية) ، والألوان المختلفة تمثل درجات الحرارة المختلفة للجبال والبحر والوديان .. وتعتبر الصورتان وثيقتان هامتان في وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) الذي يراقب كل ما يجري في العالم من أحداث أولا بأول عن طريق هذه الأقمار .



كاميرا فوريّة مِن كودك

الوحيدة المجهّزة بعدسة لتصويرُ اللقطات القريبَة جدًّا وفلاش الكترونِي





تمتّع اليوم بالتصوير الفوري مع **كودك** ...
كودك وحدها تقدّم لك كاميرا فوريّة مجهّزة بفلاش الكتروني مبيّتْ وعدسة لتصوير اللقطات القريبة جدًا. الآن إقترب مِن الموضوع، إلتقط الصّورَة، وَاحصل عليها فورًا واضحة بألوان طبيعيّة مِن **كودك**.

كاميرا **كودك** الجديدة للتصوير الفوري

كودك ترضيك ... في كلّ ما تعطيك.

الفتوق الاربية والقيلات المائية عند الأطفال

بقلم : د. محمد مروان النحاس

تشاهد الفتوق الاربية والقيلات المائية عند كلا الجنسين من الأطفال وفي مراحل مختلفة من العمر وتعتبر هذه البحث لبعض المشاكل المشاهدة في حياتنا اليومية .

لمحة جنينية وتشريحية

إن معظم الفتوق الاربية عند الأطفال من النوع الولادي (أو غير المباشر) وتمثل عند الذكور بقاء **الزائدة الغمدية** (PROCESSUS VAGINALIS) وهي عبارة عن زنج بريتواني أمام الحصية يخترق عضلات جدار البطن السفلي في الحياة الجنينية مشكّلاً إحدى طبقات غلاف الخيل المنوي ويبقى قسمه السفلي (TUNICA VAGINALIS) مغلقاً الحصية ويضم القسم العلوي من الزائدة الغمدية بعد الولادة وينسد ويؤدي بقاء فوهته مفتوحة بدرجات متفاوتة إلى تشكيل الفتوق الاربية أو **القيلات المائية** (HYDROCELE) .

أما عند الإناث فيتشكّل **الرتج البريتواني** بطريقة مشابهة وينزل مع الرباط المدور ليشكّل **قناة نوك** (NUCK) التي تنسد فيما بعد ، ولكن يؤدي بقاؤها مفتوحة إلى ما بعد الولادة لحدوث الفتق الاربي عند الإناث .

إحصائيات

تشاهد الفتوق عند كلا الجنسين ودون سن الـ ١٢ سنة بنسبة حوالي ١٠ حالات من بين كل ١٠٠٠ طفل وبنسبة ١٠ ذكور لكل أنثى واحدة .

بما أن الحصية اليمنى تنزل إلى الصفن في الحياة الجنينية بوقت متأخر عن الحصية اليسرى فيكون انسداد الزائدة الغمدية في الأيمن أيضاً متأخراً عنه في الأيسر وهذا يظهر الفتق في الأيمن بنسبة أكبر من الأيسر كما هو مبيّن في الجدول التالي :

فتق اربي أيمن يشاهد في ٦٠٪ من الحالات
فتق اربي أيسر يشاهد في ٢٠٪ من الحالات
فتق في الجانبين يشاهد في ٢٠٪ من الحالات

الأعراض والعلامات السريرية للفتق

يمكن اكتشاف الفتوق عند الأطفال أثناء وبعد الولادة بأسابيع أو أشهر ، والأكثرية منها تلاحظ خلال الشهر الثاني أو الثالث من العمر ، والبعض منها يكتشف حين يبدأ الطفل بالمشي حيث يتظاهر بالانتفاخ في الناحية الاربية يمكن أن يمتد للصفن ويظهر هذا الانتفاخ أحياناً ويختفي أحياناً أخرى ويكون بخبر أم وأكثر ما يلاحظ في نهاية اليوم وغالباً ما يختفي في الصباح .

ترتد محتويات الفتق بصورة عفوية حينما يتوقف الطفل عن البكاء أو السعال أو ما شابه ، وإذا لم ترتد تلقائياً يمكن ردها بسهولة حيث يشعر بقرقرة غازية تصدر عن العروة المعوية الحاوية على غازات .

قد يكون الفتق صغيراً ويظهر في الناحية الاربية فقط بشكل انتباج دائري « يسمى برأس الفتق » أو يمتد أسفل من ذلك خارج القناة الاربية وفي بعض الحالات يملأ الصفن من الجهة الموجود فيها .

يزداد حجم الفتق في الحالات المتقدمة والمتأخرة حيث يزداد تمطط

كيس الفتق فتدخل أحشاء أكثر ضمنه .. قد يطرأ تراجع نسبي على الفتوق الصغيرة خلال مرحلة الطفولة وبشكل عفوي ولكن قد تعود للظهور مع تقدم السن .

والفتق لا يسبب إزعاجاً كبيراً للطفل بقدر ما يظنه الأهل من أنه هو السبب في فقدان الشهية والإقياءات والبكاء ونقص الوزن وغيرها من الأعراض .

يمكن إجراء الفحص السريري من قبل الطبيب المختص بسهولة سواء بوضعية الوقوف أو الاضطجاع حسب مزاج الطفل إذا كان واعياً ، ويمكن للأخصائي كشفه في المراحل الأولى بمجرد وضع الإصبع على الجهة المصابة والشعور بأن محاكة الحبل المنوي في هذا الجانب أكثر مما هي عليه في الجانب الآخر . عندما يكتشف الفتق في الجانب الأيسر يجب تحذير الأهل باحتمال ظهور فتق آخر في الجهة اليمنى بعد فترة كما هو مبيّن في الإحصائيات السابقة .

الغصص الفتقي عند الأطفال

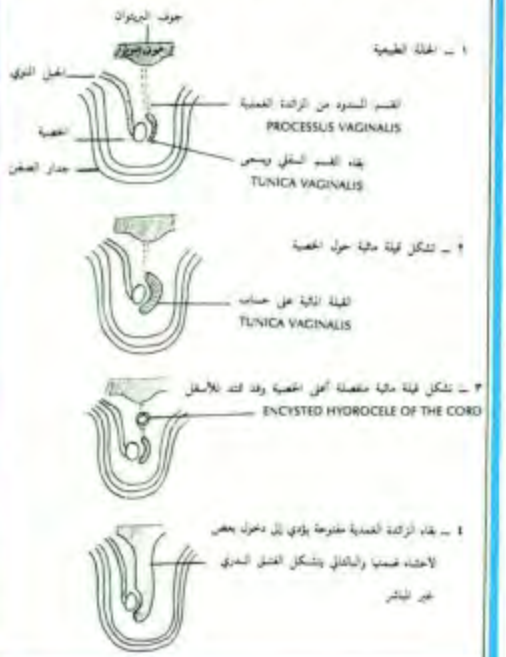
وهو انحباس محتويات الفتق ضمن كيس الفتق لفترة من الزمن وهو أخف درجة من الاختناق الفتقي الذي يندر حدوثه عند الأطفال ، بينما يحدث الغصص عندهم بنسبة ١٠٪ من الأطفال المصابين ، وفي ثلث هذه الحالات لا يكون الفتق مشاهداً في السابق حيث يظهر كيس الفتق الصغير من خلال الفوهة الأربية الظاهرة المتضيقة ، ويكون الانتباج الحاصل مؤلماً والطفل متهيجاً ، وقد لا تظهر علامات انسداد الأمعاء حتى ولو كانت هناك عروة معوية ضمن كيس الفتق كما وتحدث إقياءات انعكاسية . تكثر نسبة حدوث الغصص الفتقي في الـ ٦ أشهر الأولى من العمر وتقل نسبياً بعد هذه السن .. ويصعب أحياناً وضع تشخيص تفريقي لحالة الغصص عن التهاب عقدة مغبنية أو انفتال الخبل المنوي .

معالجة الفتق عند الأطفال

(١) **الشفاء العفوي** : يحدث انسداد الزائدة الغمدية عادة في المراحل الجنينية المتأخرة ، ولكن قد تمتد في أحوال نادرة إلى ما بعد الولادة بفترة قصيرة لا تتجاوز الثلاثة أشهر ، ولهذا كثيراً ما يسأل الأهل عن إمكانية شفاء الفتق عفوياً فيجب إقناعهم بخطأ ذلك ولو اختفى الفتق في المراحل الأولى فيعود للظهور ثانية في مراحل متأخرة من الحياة .

(٢) **معالجة محافظة** : من الخطأ تطبيق الأحزمة الطبية المختلفة الأشكال مكان الفتق لما لها من محاذير عديدة إذ قد ترض محتويات الفتق وتؤدي أيضاً إلى حدوث التصاقات ليفية موضعية قد تجعل العمل الجراحي صعباً نسبياً وراضاً ، وقد تؤدي الأحزمة إلى ضمور عضلي موضعي .

★ مصير الزائدة الغمدية في مراحل التطور الجنيني ★ :



(٣) **معالجة جراحية** : وهي الشافية وتجرى عادة بعد انقضاء الشهر الثالث من العمر إلا إذا حدثت اختلاطات مثل الغصص أو ما شابه ، فتجرى قبل هذا السن ، وهي سهلة ومأمونة ومرضية النتائج وخاصة إذا ما أجريت بأيد خبيرة حيث لا يتجاوز الشق ٢ ـ ٣ سم ، وتجرى له خياطة تجميلية تحت الجلد بخيطان ترتشف تلقائياً بعد فترة وجيزة ويندر أن يترك أثراً أو ندبة مشوهة ويعود الطفل إلى نشاطه المعتاد بعد أسبوع على الأكثر من العمل الجراحي .

(٤) **معالجة الغصص الفتقي** : ذكرنا سابقاً ندرة حدوث الاختناق الفتقي عند الأطفال أو أنه تشاهد حالات من عدم ارتداد الفتق وخاصة في الأشهر الستة الأولى من العمر ، **ويكون الفتق على نوعين** :

(أ) **فتق صغير** يبرز من خلال الفوهة الظاهرة للقناة الأربية عند الرضع غالباً .

(ب) **فتق كبير** (عرطل) يحوي ثرب أو عروة معوية وأحياناً الزائدة الدودية .

يجب اللجوء إلى الرد المحافظ قبل إجراء العمل الجراحي وذلك بإعطاء الطفل مهدئاً ووضعه في السرير ومقعده على وسادة أو جعل السرير مائلاً بحيث يكون الطرفان السفليان أعلى من مستوى الجسم على الأقل بـ ٢٠ درجة وفي هذه الوضعية وبعد مرور ساعة إلى ساعتين ، تعود محتويات الفتق إلى داخل البطن عفوياً أو بعد إجراء ضغط خفيف عليها بالإصبع ، أما إذا أجري ضغط شديد في محاولة لردها قسراً فيخشى من حدوث تمزق العروة المعوية المحبسة ، وفي ٩٠٪ من الحالات ترتد .

أما إذا لم ترتد فيجب الا تطول هذه الفترة أكثر من ٣ ــ ٤ ساعات خشية حدوث اختناق في هذه العروة وعندها يجب إجراء تحضير عام والقيام برفق برد محتويات الفتق كمحاولة أخيرة ، فإذا تم ذلك إنما أن تمضي بإجراء العمل الجراحي ، أو بوضع الطفل في المستشفى تحت المراقبة لفترة ٢ ــ ٣ أيام حتى تزول الوذمة الحاصلة ثم يجرى التدخل الجراحي ، ونجدر الإشارة بأن هذا التدخل على منطقة متوذمة ومختنقة كالناحية الاربية تجعل منه عملاً شاقاً وصعباً ، ولكن أحياناً لا مناص منه ولحسن الحظ يندر في هذه السن حدوث اختناق العروة المعوية المحبسة وبالتالي موتها كما هو الحال عند الكهول .

الفتق عند الإناث

أقل مشاهدة بكثير مما هو عليه عند الذكور من الأطفال وقد يظهر في أي سن من الطفولة أو بعدها ، ويكون الفتق بشكل كمثرى ونادراً ما يكون كبير الحجم ، وقد يكون مرافقاً لحالة تسمى **الخصية المؤنثة** (TESTICULAR FEMINIZATION) وخاصة حينما يشاهد فتق اربي مزدوج في الجانبين عند الإناث في سن مبكرة ، لهذا يجب إجراء فحص خلوي خاص بأخذ لطاخة من الغشاء المخاطي للفم قبل العمل الجراحي فإذا أثبت وجود مثل هذه الحالة مرافقة للفتق يجب استئصال الغدتين التناسليتين بنفس الوقت كي لا تتحولان إلى ورم خبيث في المستقبل ، وتعطى الطفلة بعدها معالجة هورمونية بديلة مؤنثة باستمرار ، وأحياناً أثناء العمل الجراحي وبدون إجراء الفحص الخلوي السابق قد يشاهد مبيض أو غدة تناسلية ضمن كيس الفتق فيجب أخذ خزعة منها وفحصها نسيجياً فإذا ثبت بأنها خصية مؤنثة وليست مبيضاً فيجب استئصالها في الجانبين بفتح البطن بزمن آخر .

القيلة المائية عند الأطفال

أنواعها : توضح الرسوم أشكال وكيفية حدوث القيلات المائية وأغلبها مشاهدة القيلة ما حول الخصية وهي على حساب TUNICA VAGINALIS ، أما إذا بقي القسم العلوي من الزائدة الغمدية مفتوحاً وأغلق من أعلاه وأسفله يؤدي تراكم السوائل في هذا القسم إلى حدوث قيلة الحبل المنوي عند الذكور أو قيلة قناة نوك عند الإناث .

المظاهر السريرية : تكثر مشاهدة القيلات المائية عند حديثي السن وهي بشكل كتلة دائرية أو بيضوية مرنة القوام قد تؤدي إلى حدوث بعض الأعراض .

يمكن للقيلة المائية حول الخصية ، وهو النوع الأكثر مشاهدة ، أن تحدث انتفاخاً في جانب واحد في الصفن بينما قيلة الحبل المنوي أو قناة نوك يندر أن تتعدى أبعادها الخصر الفتقي ، ولكنها تفرق عنه بكونها غير رنينية ومتحركة في كل الاتجاهات وغير مؤلمة وملاحظة من قبل الأهل منذ فترة ، بينما القيلة حول الخصية يندر ما يصعب تشخيصها بكونها مرنة وغير مؤلمة ، وتختلف الخصية من الأمام ويمكن كشف محتواها بتسليط ضوء عليها فتبدو شافة (إيجابية علامة الشفوف) بينما لو كانت على حساب الخصية تكون غير شافة بالضوء (سلبية علامة الشفوف) .

غالباً ما تترافق القيلات بفتق اربي غير مباشر يكشف أثناء العمل الجراحي ، وقد يكون هناك اتصال بينها بين جوف البطن حيث يمجرد الضغط عليها يصعد السائل الذي تحتويه إلى جوف البطن وبدون حدوث قرقرة غازية كما يحدث عادة في رد الفتق الاربي المحتوي على عروة معوية .

قد تشاهد قيلات مائية ثانوية المنشأ ، مكتسبة وليست ولادية ، ما حول الخصية يمكن أن ترافق بعض الآفات الطارئة على الخريخ أو الخصية من أورام أو التهابات وغيرها .

المعالجة : نادراً ما تتطلب القيلة حول الخصية تدخلاً جراحياً خلال السنة الأولى من العمر إذ يختفي أكثرها عفوياً ولكن قد تضطر إلى ذلك ، وفي هذه السن إذا كانت كبيرة ومتوترة حيث تؤدي إلى حدوث ضغط على الخصية وأوعيتها وإلى إزعاج الطفل ، وكذلك قيلة الحبل المنوي أو قناة نوك غالباً ما تختفي في الأشهر الأولى من العمر ، أما إذا استمر وجودها إلى ما بعد انقضاء السنة الأولى من العمر فنادراً ما تتراجع تلقائياً ويجب العمل الجراحي .

من الخطأ بزل القيلة لأنها ستعود وتتشكل ثانية فيما بعد وقد يحدث تمزق في الأوردة المنوية فتؤدي إلى تشكل ورم دموي مرافق أو قد تسبب إلتهاباً وكذلك فحقن المواد المصلبة خطر قد يؤدي إلى زيادة حجمها ، وتخريب الخصية والحبل المنوي ، لهذا فالمعالجة الوحيدة والشافية هي الجراحة وفي السن المناسب .

المجتمعات المتخلفة

بقلم : د. محمود الذوادي

تعدد تسمية التخلف

لقد تعددت ولا زالت تتعدد التسميات التي تطلق على المجتمعات الحديثة العهد بالاستقلال. فهي تسمى اليوم بالدول المتخلفة، وبمجتمعات العالم الثالث، وبدول الجنوب، وبالمجتمعات التابعة أو المستغلة ـ بفتح الغين ـ وبالمجتمعات النامية. وجاءت آخر تسمية لصنف من هذه المجتمعات تحت اسم الدول الأقل نمواً أو تقدماً[1]. ولعمري فسوف لن تكون هذه آخر التسميات، لأن المجتمعات ـ كل المجتمعات ـ كائنات اجتماعية حية دائبة الحركية والجدلية ولن تجد لذلك تبديلاً.

وكل هذه التسميات الوصفية مستوحاة من مقاييس العصر التي تمسك بزمامها المجتمعات المتقدمة. ومن أهم معايير تصنيف المجتمعات في زمننا هذا هو المعيار الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعلمي والصناعي.

فمن جهة، يعتبر المجتمع ذو الكسب الأكبر من هذه المؤشرات أكثر المجتمعات الحديثة تقدماً وبعد، من جهة أخرى، المجتمع ذو الكسب الأقل من تلك المؤشرات أكثر المجتمعات تخلفاً.

ولا يمكن، طبعاً، قصر عدد مؤشرات التخلف أو التقدم هذه عما تتضمنه التسميات الوصفية لمجتمعات العالم المعاصر[2]. وفيما يخص الأسماء العديدة السالفة الذكر أعلاه لمجتمعات العالم الثالث فإنه يمكن إضافة تسمية أخرى لصنف هذه المرة لا ظواهر التخلف الخارجية (كقلة التصنيع أو كضعف الدخول أو تردي الصالح الصحية والاجتماعية إلخ ...)، وإنما لصنف ملمحاً داخلياً (نفسانياً) لبناء الشخصية القاعدية « Basic Personality » ذاتها لفئات المجتمعات المتخلفة. **فعدم الثقة بالنفس** « Lack of faithin one's self » **وتحقير الذات** « Degrading one's self » هي من الظواهر الشائعة والمتفشية بين فئات كثيرة من مجتمعات ما يسمى اليوم بالعالم الثالث.

ومنطلق تحليلنا النفسي لظاهرة فقدان الثقة بالنفس يبدأ من اعتماد فئات مجتمعات العالم المتأخر في الاعتقاد الشائع الذي طالما يرجع تخلف الدول النامية وتقدم الدول الصناعية إلى أسباب شبه بيولوجية أو عرقية[3]. ويتردد هذا الاعتقاد في العالم العربي في المقولة المشهورة « إذا عُرِّبت خُرِّبت » وفي شعوب أمريكا الجنوبية لتنشر أسطورة « **الأصل اللاتيني** » كمعرقل لأي انتحاق كامل بالدول المتقدمة خاصة الانكلوساكسونية منها.

ويأتي لون البشرة « السوداء » كعامل آخر يقترن بظاهرة التخلف في العالم الثالث، ففئات وأفراد مجتمعات إفريقيا السوداء طالما يردون تخلفهم وتأخرهم إلى ظاهرة « اللون ». **والمعروف أن اقتران البشرة « السوداء » بالتخلف هي ممارسة استعمارية لا زال ينادي بها عدد غير قليل من الأمريكيين ذوي البشرة البيضاء.**

فهم كبقية المستعمرين المحدثين (فرنسيين، وانكليز ...) الذين بثوا الأيديولوجية البيولوجية العرقية منذ اكتشافهم الاستعماري لمجتمعات الجنوب، ومما يساعد على استمرارية مواقف « Attitudes » فئات الشعوب المتخلفة الاحتقارية لذاتها هو وجود واقع مجتمعي حي وعاش لا يناقض هذه الاعتقادات الهادمة في الشخصية الفردية والجماعية على السواء لهذه الشعوب.

فالمجتمعات الأوروبية والأمريكية، الانكلوساكسونية خاصة، هي الأكثر تقدماً اليوم في كل القطاعات العصرية لمفهوم التقدم والنمو، وعكس هذا فمجتمعات آسيا وأمريكا اللاتينية وإفريقيا تتأرجح بين نوع نسبي من النمو وبين فقر مدقع خاصة في القارة السوداء. ومما احتاج الأمم المتحدة الأخير في باريس (سبتمبر / أيلول) ١٩٨١م) حول الدول الأقل نمواً إلا تصديق لفشل مشاريع التنمية لشعوب إفريقيا « السوداء » وآسيا « الصفراء » وهكذا يقوى الاعتقاد في علاقة « **العرقية** » أو « البيولوجيا » بظاهرتي « التقدم » و « التخلف ». وباستثناء وجود المجتمع الياباني ذي التقدم الباهر اليوم، خاصة في التكنولوجيا العصرية، فليس هناك في الوقت الحاضر من الأدلة الملموسة من المجتمعات النامية ما يمكن أن يُصدِّع ويهدم أسس هذا الاعتقاد البيولوجي العرقي الذي يكبل عقلية معظم هذه الشعوب المتأخرة، وبالتالي يؤخر مجيء ساعة إرادة التغيير التي هي طاقة طبيعية لكل الشعوب.

التخلف بين الباطل والحقيقة

وبناء على هذا الواقع : التقدم المستمر من جهة في الغرب الأبيض خاصة، وتعثر أو فشل حركة النمو في القارة السوداء خاصة من جهة أخرى، يختلط الحق بالباطل إزاء الأسباب الحقة للتقدم أو للتأخر في مجتمعات العصر الحديث. وما الفرق بين الحق البين والباطل البين في هذه الأمور بالسهل. فكيف يمكن لإنسان العالم الثالث ذي النشأة « Socialisation » الثقافية الاستعمارية أن يتفطن بسهولة إلى أصل أسباب ظاهرة التخلف في العصر الحديث؟ وكيف يمكن لأمتي العالم الثالث (وعددهم كبير) أن يبدأوا حتى في محاولة التعرف عن معضلة التخلف؟

... واثقة بالنفس

وكيف يمكن لشباب العالم الثالث (وعددهم مهول أيضاً) المبهور بإنجازات وابتكارات المجتمعات المتقدمة أن يقف وقفة تأمل وتساؤل حول الأسباب التي قسمت العالم حديثاً إلى عالم متقدم صناعي وآخر متأخر فلاحي ؟ .

فالتقليد للعالم المتقدم من طرف العالم المتأخر حقيقة نبّه إليها « **ابن خلدون** » منذ القرن الرابع عشر عندما قال إن المغلوب دائماً يقلد الغالب .

وأدت مثل هذه العوامل لدى أغلبية ساحقة في الدول النامية إلى الخلط في الأسس الخفة المؤدية إلى التخلف أو التأخر وما انجر عنه من وقوع في هستيرية تقليد الغرب المتصنع دون وعي منا بأن مثل هذا السلوك الجماعي قد يعقد أكثر الخروج من براثن ظاهرة التخلف ، وهكذا أصبحت شعوب العالم المتخلفة تحقق عن طريق هذه « المواقف الاعتقادية الداخلية المحقرة للذات الوطنية أو الحضارية » ـ والأعمال السلوكية ـ ما يسميه علماء الاجتماع بظاهرة **تحويل الاعتقاد إلى واقع مادي** : « Self fulffilmg prophecy » وبعبارة أخرى فإن موقف الاحتقار للذات وعدم الثقة بها المنتشرين بين أفراد فئات الدول النامية يؤدي بهؤلاء الأفراد



وبالتالي يشعوبها إلى استمرارية التخلف الذي تتخبط فيه منذ مجيء الاستعمار غازياً ومستغلاً لكل أصناف ثروات العالم الثالث ، فهذا الموقف التخاذلي والتحقيري لنفس لا يمكن أن يؤدي إلا إلى واقع مطابق له : البقاء في دائرة التخلف . ومن ثمّ فلا خروج من هذه الحلقة المفرغة إلا بالتحرر من هذه المواقف الشخصية المكبلة لحركية ومقدرة الذات الإنسانية ـ أياً كان لونها وعرقها ـ للانطلاق والإنجاز والازدهار والتقدم .

بطلان أسس هذا الاعتقاد

في الوقت الحاضر ليس هناك ـ على المستوى العلمي النزيه والموضوعي ـ ما يثبت زعم الأيديولوجية البيولوجية ـ العرقية[1] بخصوص علاقة التخلف أو التقدم بعامل العرق والتكوين الطبيعي ، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه الفكرة قد أشاعتها القوى الاستعمارية في الأصل بين فئات الشعوب المستعمرة كما ذكرنا آنفاً .

وما تفشي هذه الأيديولوجية اليوم في مجتمعات العالم الثالث إلا استمرار للهيمنة الاستعمارية النفسية والعقلية ـ وهي أخطر الهيمنات ـ على تلك الشعوب التي تنسى أو تتناسى أن آثار الاستعمار متعددة ومعقدة وطويلة النفس ، خاصة تلك الآثار ذات الطابع النفسي والنفساني والحضاري .

والخطير في هذه الدعوة يمكن أن يدرك خطأها من الأساس إذا هو أرجع البصر والفكر في سجل التاريخ البشري . فهذا الأخير ينفي قطعاً أسس هذه المزاعم العالقة بأذهان واعتقادات الفئات الاستعمارية في العالم المتقدم ، وفئات العالم المتأخر على السواء . **فتأخر المجتمعات البشرية يرجع إلى عوامل أخرى ليس لها اتصال لا باللون ولا بالعرق** . فتقدم الشعوب ذات البشرة البيضاء هي ظاهرة حديثة في حد ذاتها . فحتى بداية الثورة الصناعية (في القرن الثامن عشر) ، كانت شعوب أوروبا وأمريكا الشمالية (البيضاء) إما متقاربة من مستوى تقدم الشعوب الأخرى في كل من آسيا وإفريقيا أو أقل تقدماً منها . وإذا كان هذا هو الذي ينطق به ملف تاريخ البشرية في ميادين التنمية والتخلف **فإن عوامل العرق واللون لا يمكن إلا أن تسقط من أي اعتبار جدي** يريد دراسة وتفهم ظاهرة التخلف في العالم الثالث من جهة وظاهرة التقدم في العالم الغربي من ناحية أخرى .

الاستعمار الحديث وظاهرتا التخلف والتقدم

وأي تفسير لظاهرتي التخلف والنمو في العصر الحديث لا يأخذ عامل الاستعمار بعين الاعتبار يظل تفسيراً مشوهاً وبالتالي قاصراً على إعطاء تفسير يتصف بالروح العلمية النزيهة التي يمكن لها أن ترسم بوضوح آفاق الخروج من دائرة التخلف لشعوب العالم الثالث اليائسة .

فالتاريخ يشهد أن تقدم العالم الغربي الأوروبي الهول صناعياً واقتصادياً كان مقارناً إلى حد كبير بظاهرة اكتساح الاستعمار الأوروبي الغربي خاصة لشعوب كل من آسيا وإفريقيا . فقبل هذه السيطرة الاستعمارية على معظم ما يسمى الآن بدول العالم الثالث لم تكن هناك الفوارق الفاحشة الفاصلة اليوم بين العالم الغربي المتقدم والعالم الثالث المتأخر ، والأكثر من ذلك **فإن كثيراً من المجتمعات المسماة بالمتخلفة اليوم كانت أكثر تقدماً في عدة ميادين من الدول الموصوفة اليوم بالنمو والتقدم ومرحلة ما بعد التصنيع** (Post Industrial) .

وهكذا يتضح أن الحدث الاستعماري الغربي وامتكاساته المستمرة هو العامل الحدد لوضعية الظلام هائلة الكبير إلى أصناف من شعوب متقدمة وأصناف أخرى متعددة لشعوب متأخرة . وما عامل الاستعمار إلا من أهم العوامل التي أدت عملية التصنيع بالدفعات اللازمة من المواد الخام المستوردة من المستعمرات لإنعاش الاقلاع الصناعي .

ولعل عدم سقوط اليابان تحت الاستعمار التقليدي الطويل ـ كما وقع لمعظم مجتمعات إفريقيا وآسيا ـ هو الذي منح للمجتمع اليابان بأن يتصنع وينجح في عملية تصنيعه بسرعة فائقة . وإذا كان المجتمع اليباني لم يعرف ظاهرة عدم الثقة بالنفس الشائعة بين شعوب العالم الثالث اليوم كما يتضح ذلك في اعتزازه بتقاليده السياسية (المحافظة بـ«إمبراطور كرسي حضاري) والعائلية (التضامن العائلي) والاجتماعية والدينية ، فلعل ذلك أقوى دليل على العلاقة الوثيقة بين حركة التقدم والاعتداد بالنفس من جهة وبين استمرارية ظاهرة التخلف في العالم الثالث وفقدان ثقته بنفسه من جهة أخرى . وبذلك فإن توعية المواطنين بأهمية بناء أسس ظاهرة الثقة بالنفس تصبح **مطلباً تنموياً** لا يقل أهمية عن عامل التصنيع والتعليم في دفع حركة النمو المستمر إلى الأمام .

توعية شعوب العالم الثالث تاريخياً

أمام ضخامة مركب النقص الذي يعيشه إنسان العالم الثالث إزاء إنسان العالم المتقدم وإنجازات مجتمع هذا الأخير ، فإنه يتحتم إيجاد استراتيجية (أو استراتيجيات) لزحزحة مركب عدم الثقة بالنفس الشائع ـ كما بينا ـ لدى إنسان العالم النامي .

فعلم النفس الاجتماعي لتغيير المواقف (Attitudes change) يدلنا أنه من أنجع الطرق لتبديل ظاهرة عدم الثقة بالنفس إلى ثقة كاملة بالنفس لدى إنسان المجتمعات النامية هو استئصال العنصر الاعتقادي (Belief-component) الذي هو الأساس في انتصاب مركب عدم الثقة بالنفس



لدى إنسان العالم الثالث اليوم . فأساس هذا الشعور بفقدان الثقة بالنفس راجع إلى حد كبير ـ كما رأينا ـ إلى قبول ثُمَّ اعتقاد إنسان العالم الثاني في عظمة وتعالي « Superierty » إنسان العالم المتقدم طبيعياً وعرقياً عليه .

وكما أكدنا من قبل فإن الواقع المادي للعالم الثالث والعالم المتطور اليوم لا يزيد ذلك الاعتقاد (الخاطئ أصلاً كما سبق بيانه) إلا صلابة وقوة . ومن هنا يأتي تعقيد حل معضلة فقدان الثقة بالنفس لدى جماهير سكان العالم الثالث في طريق التنمية . ولهذا فأي علاج « Therapy » ناجح لهذه العقدة النفسية يجب أن يستعمل في نفس الوقت منهج التحليل النفسي ، ومنهج تحليل عالم النفس الاجتماعي لتغيير العقليات والمواقف .

فبالتحليل النفساني يمكن ربط عقدة عدم الثقة بالنفس بعواملها التاريخية السابقة لظهورها ثم لتصليبه . فعندما يكتشف إنسان العالم الثالث الأسباب الاستعمارية التي عملت على زرع هذه العقدة في شخصية أبناء شعبه يكون قد دبت لديه في تفكيره بداية عملية التوعية بما هو وشعبه يعانيان منه ، معتقدين منذ عرفوا الحياة أنهم ستة اخماس البشرية بالنسبة لهم : أي أنهم خُلقوا ناقصين وخلق الآخرون عظماء وبقداء .

وعند الاطلاع على معرفة الملف التاريخي لعقدة فقدان الثقة بالنفس ، وارتباطها العضوي بابتلاء شعوب العالم الثالث بظاهرة الاستعمار الأوروبي الحديث ، يأتي دور استعمال علم النفس الاجتماعي لتغيير العقلية والمواقف المقْشِرة للذات ـ لدى إنسان العالم الثاني ـ في وقته ومكانه الطبيعيين .

فتفوق العالم المتقدم على شعوب العالم المتأخر ليست إلا ظاهرة حديثة ، وحديثة جداً ! وبذلك فهي ليست ظاهرة أزلية صاحبت دائماً مجتمعات العالم المتقدم اليوم . وبالتالي فظاهرة التقدم بعيدة على أن تكون مرتبطة بالطبيعة البيولوجية أو العرقية لشعوب أوروبا وأمريكا الشمالية . فلو كان الأمر كذلك لما وجدنا هذه المجتمعات فترات التاريخية المظلمة والبائسة التي يشهد بها سجل التاريخ الإنساني .

وبهذا الإيضاح التاريخي لا بد أن تولد نفسية جديدة وثّابة لدى إنسان العالم الثالث ، لأن مسألة التقدم والتأخر في فهمه الجديد الآن هي في الأصل مسألة ذات جذور اجتماعية وتاريخية (أي عوامل خارجية) وليست هي نتيجة عوامل داخلية مثل النوعية البيولوجية والعرقية أو السيكولوجية ، عند هذا الاستيضاح لا بد أن ينهار الاعتقاد الاستعماري الذي أدى إلى ظهور وتصلب عقدة فقدان الثقة بالنفس لدى فئات العالم الثاني ، وبسقوطه تنحطم كل معالم صرح مركب فقدان الثقة بالنفس المنبثقة من قاعدة المركب الاعتقادي الزائف « Belief component » ويولد عندئذ حقاً نفسياً إنسان جديد في ربوع العالم الثالث ، إنسان متحرر من أخطر العقد التي نجح في بثها وتسويغ رقعتها الاستعمار المعاصر . هذا الإنسان الجديد هو ذلك الذي يؤمن الآن بمقدرته على تغيير مصيره مثل أي إنسان آخر (بما في ذلك إنسان العالم المتقدم) على وجه الأرض أعطيت له الظروف الموائمة التي تمكنه من استغلال طاقاته ومعطياته ، وهو بذلك يستجيب لقول الشاعر :

مصير ابن آدم رهن يديه
وما الحظ إلا أباطيل مين

فحملات التوعية بمقدرة إنسان العالم الثالث على الإنجاز والمساهمة كغيره في تقدم البشرية جمعاء واجب لا بد من القيام به في أرجاء المجتمعات النامية ، فمساهمتها في دفع حركة الإنسانية عبر التاريخ هي خير شاهد على أن تخلفها وركودها المعاصرين ليسا إلا ظاهرتين حديثتين ومؤقتتين نتيجة لظروف خارجية قاهرة من أهمها ظاهرة الاستعمار الأوروبي القديم والحديد ، ومتى تغيرت هذه العوامل السلبية إلى ظروف إيجابية فلا بد للعالم الثالث أن يكون قادراً بالالتحاق بالركب المتقدم إن عاجلاً أو آجلاً .

دور التجذير الثقافي في إرجاع الثقة

إن المسخ والتشويه الثقافي الذي تشكو منه معظم دول العالم الثالث حتى كتابة هذه السطور حقيقة لا مراء فيها ـ رغم اختلاف خطر نسبها ـ لكل ملاحظ نزيه لواقع هذه المجتمعات وعلى سبيل المثال فالمسخ الثقافي في كل من تونس والمغرب والجزائر يتمثل أساساً في تلويث وتشويه العناصر الثقافية الوطنية (الأصيلة) لهذه المجتمعات مثل اللغة المتكلمة والمكتوبة ، والتراث الثقافي القديم الأدبية والحضارية والتقاليد الشعبية الأصيلة لهذه الشعوب ، فاللغة الوطنية (العربية) مثلاً ، قد أصبحت محدودة الاستعمال بعد مجيء الاستعمار الفرنسي هذه البربوع فأحلت الفرنسية مكان اللغة الأم (العربية خاصة) في كثير من الميادين والمجالات الحيوية التي انسحبت منها العربية قهراً .

فلغة الإدارة ولغة المدارس والعلم والاقتصاد في عهد الاستعمار وبعده بأكثر من خمسة قرون لا زالت عموماً هي الفرنسية ، وجاء تلويث اللغة الشعبية المتكلمة أو اللغة المكتوبة (العربية) نتيجة أولا لحصر استعمالها في ميادين محدودة وثانياً لبث ولجاح تفشي الدعاية الاستعمارية القائلة إن اللغة والحضارة الفرنسية هما سلاح العصر الحديث الناجع من جهة وأن العربية وتراثها الحضاري والثقافي هما رموز التحجر والتقليدية والرجعية من جهة أخرى .

فيبْدُ أن مثل هذه **التنشئة** « Socialization » اللغوية والثقافية لا يمكن لها أن تكوّن إلا جيلاً متعلماً (يأخذ القيادة فيما بعد) أقل ما يمكن أن يقال فيه هو نقصانه الثقة بالنفس ، وكيف يمكن حدوث

عكس ذلك عند شعوب شرق لسانها كما سجلت ذلك **عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ»** في كتابها «**لغتنا والحياة**» حين لخص أمة بسرقة لسانها، تضيع: تمسخ شخصيتها القومية وتبتر من ماضيها وتاريخها، ثم تظل محكوماً عليها بأن تبقى أبداً تحت الوصاية الفكرية والوجدانية للمستعمر، حتى بعد أن يجلو عن أرضها ويمضي الزمن، يغدو هذا الاستعباد القهري ولاءً فكرياً لمن كان لها بالأمس عدواً.

وهكذا فاسترجاع الثقة بالنفس كاملة لا يمكن بأي حال من الأحوال، أن يتحقق دون تجذر شعوب العالم الثالث في زادها الثقافي والحضاري: أي تعلم واستعمال اللغة القومية قبل أي لغة أجنبية، ثم التروي أولاً وقبل كل شيء من التراث الثقافي والحضاري القوميين قبل أي تفتح على الثقافات والحضارات الأجنبية.

عندما تشبع الأجيال الفتية خاصة من معرفة مساهمات لغاتها وثقافاتها ومؤسساتها وهياكلها في سير التقدم الإنساني عبر التاريخ، عندها يكون الوقت قد حان لتوسيع الآفاق المعرفية لتلكم الأجيال بفتح الأبواب والنوافذ على مساهمات الثقافات والحضارات الإنسانية في المسيرة البشرية، بذلك تأتي المعرفة الإضافية «الأجنبية» مكملة «لا محفرة» لما عرفه مواطن العالم الثالث عن إنجازات حضارته في القديم والحديث. وبالتأكيد فلا يعرف التاريخ البشري حضارة من الحضارات الإنسانية ـ في القديم والحديث ـ التي لم تساهم بأي شيء يذكر في حركة ومسيرة البشرية. فعرب اليوم ـ المرضى كغيرهم من شعوب العالم الثالث بفقدان رصيد الثقة بالنفس ـ يمكن لهم أن يعالجوا عقدتهم هذه إذا ما تعرفوا ملياً[2] ـ وعن وعي ـ على إنجازات حضارتهم وثقافتهم في الماضي القريب: أي قبل بزوغ معالم الحضارة الغربية الحديثة ببعض القرون فقط.

وكثير من المؤرخين والمفكرين الغربيين يرجعون أسس عصر النهضة الحديثة في الغرب وما تلاها إلى التأثيرات التي تسربت ـ خاصة عبر الأندلس ـ من الحضارة العربية الإسلامية إلى مجتمعات أوروبا، ومنجزات الحضارة العربية الإسلامية عديدة ومختلفة: في الفلسفة، في العلوم النشريعية، في القانون، في الطب، في الرياضيات، في الصيدلة، في اللغويات، في العلوم الإنسانية والاجتماعية. فهذا الفرع الأخير من العلوم ظل زمناً طويلاً وطويلاً جداً شيئاً يشبه الفلسفة الميتافيزيقية. ولم يأخذ في الغرب منعطفاً علمياً جديداً إلا ابتداء من القرن التاسع عشر.

أما ابن خلدون (١٤٠٦ ـ ١٣٣٢م) ـ أخبر عبقري للحضارة العربية الإسلامية قبل أفولها ـ فقد جعل من مقدمته أول بحث موسوعي علمي ـ عرفه التاريخ ـ عن الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية.

وإن منهج ومنطق وموضوعية هذا المؤرخ الاجتماعي العملاق لجعله يحق قريباً في روحه العلمية مما هو شائع في عصرنا هذا. وهكذا فقد سبقت روح ابن خلدون العملية عصره بعدة قرون. وكان ذلك في ميادين بحث (الاجتماع، الاقتصاد، السياسة، السلوك) هي أصعب تشعباً من ميادين العلوم الدقيقة (الفيزياء، الكيمياء، علم الحياة...) باعتراف علماء العصر الحديث. ولقد شهد شاهد من أهلهم وهو المؤرخ البريطاني الشهير بعظمة ابن خلدون عندما قال: «إنه أكبر عبقرية مؤرخة عرفها التاريخ في أي زمان وفي أي مكان».

فهل بعد هذا يقبل منا نحن العرب ـ أبناء العالم الثالث ـ أن نستمر في تحقير أنفسنا هامسين أو صارخين: «إذا عربت خربت»؟! هل يعقل أن نستمر في اعتقادنا بأن الغربيين «بطبيعتهم وعرقهم» هم وحدهم أهل التطور والتقدم ونحن «بطبيعتنا وعرقنا» محكوم علينا بالجمود والتأخر؟.

الهوامش

(١) عقدت منظمة الأمم المتحدة اجتماعاً خاصاً حول هذه المجتمعات (٣٣ آلاف طفل بسويسرا، ستمائة ألبوم) ١٩٨١م.

(٢) فالقضية تتأتى في الدول المتخلفة (كمؤشر نسبي) ليست أنه يؤتى بر عكس ذلك على المستوى الاجتماعي، فضعف وفقر المجتمعات (بنى) والعلاقات الاجتماعية (تشتهر السويدة العائلية) وانتشار ظاهرة الانتحار (خاصة بين الشباب) في هذه المجتمعات هي علامات ومؤشرات على ما يمكن أن يوصف بظاهرة (التخلف) في عصر هذه المجتمعات.

(٣) نتوقع أن المرء يلاحظ تحيزاً عاماً بعدم الثقة بالنفس لدى فئات هذه المجتمعات. ويأتي أحياناً تحديد أسبابه في تفاعلاته الكلاسية التي تتصح عن اختلاف بين بيولوجيته وعرقه ووضعه المتخلف أيضاً.

(٤) يسر هنالك أيضاً أدلة علمية أخرى نزيهة وموضوعية، مثلاً لم يحصر التكوين النفسي الطبيعي: Innate Psychological make up، بحسب مقتضاه أن ضعفاً الشخصية والتخلف تفهومهم العام ـ يمكن إرجاعهم إلى مثل هذا العامل.

(٥) إن التعرف على حضارات وثقافات الآخرين «الغرب في هذه الحالة» لا يمكن أن يكون على مثالٍ وغير مشوّه وغير مشوّه لإنسان العالم الثالث إلا إذا عرف هذا الأخير ـ وبتحسين ـ حضارته وثقافته أولاً وبالذات. وتعرفه عن ذاته حضارية وثقافية يمكن له أن يقارن إنجازات ومساهمات وضعية تراثه بتراث الآخرين. وبالنظرية المتعمقة بين هذا التراث وذاك يتضح تحمل الإثراء. فيرى المرء عظمات الثقافات والحضارات قد في ذلك عطاء حضارته وثقافته.

وهي سبيل المثال لمقارنة الإنسان الغربي لنمط العصر «الوجه الإسلامي لظاهرة العصر» «بالوجه الغربي لبروميثيوس»: «Promotheous» للعلم، وعند اكمال المقارنة المتعمقة لا بد أن يجد المرء أن أخلاق «Ethics» العلم الإسلامي جد عالية. وسوف يبدو واضحاً له أن أهم ما يحتاج إليه العلم الغربي المعاصر هي «أخلاق» تقي البشرية الدمار والانتحار، واكتشاف الإنسان المسلم العربي «التخلف» لما في وعاء حضارته من عطاء للإنسانية قاطبة لا بد أن يجدث في نفسه الكاحة المتعاشة تعزز فيه بذور الثقة بالنفس.



وجه الصورة الآخر

شعر: علي أحمد علي النعمي

هل أكونُ الغريبَ تحت سمائي ... وبأرض الأصدقاء بين أبنائي؟!
أم أكونُ الغريبَ في عُقْر داري ... بَيْنَ قومٍ حسبْتُهُمْ أصدقائي؟!
رفع الآخرونَ قدْري، وأبدَوْا ... أنَّ وفاءً يفوقُ كلَّ وفاءِ!!
غيَّر قومي، وأخوتي، وصحابي ... في رؤاهم ذات الخزام، الشتائي!!
دعْهُمُوني إلى الضياع، وذاسُوا ... وِزْدَ حبِّي.. وعكَّروا أجوائي!!

★ ★ ★

كنْتُ عنهم ناءٍ.. ولكنَّ قلبي ... في «منزاقير»[1] قريبي غيرَ نائي
عاش عني البعيد يسرع أشوا ... قي وحبي فما صباح مساءِ!!
ثم كان الدُّعا.. لقائي بقلبي ... فوق أرضي الكريمة العطاء
ولقائي بكل ذرَّة رمْل ... تتباهى بالخُلْقِ الحَسَناء
هل ترى خافقي المُعنَّى بأرضي ... مثل أرضي ازدهى بطيب لقائي؟!
أم تُراهُ التحى بعيداً ليُخفي ... من أماني ما عاش من أوْساء؟!

★ ★ ★

يا فؤادي لقد خبَرْتُ مَداري ... وتَنَبَّيْتُ خطْوتي، وتَصائي
دعْكَ من عامر وزيد وسعدٍ ... وحسين، وعبلة وصفاء
وانهض حرِّكْ نشيطَ الحياة وكُنْ لي ... ذلك الحامل الشُّجاع لِوائي

★ ★ ★

أنا حقاً ذاك الغريبُ لأني ... أتلقَّى شتى ضروبَ الجفاء
من بني قريتي الكرام، ومن أهـ ... ـلي، ومن رُفْقتي من الأصدقاء
نظراتي هم جميعاً، وللنا ... سِ ورأيي في معظم الأشياء
وهمومي من التعامُل بالرِّيْبة ... وبُعْدي عن السُّلوك المُراني
صيَّرتْني فرْداً غريباً وكانتْ ... شبَحاً لاهثاً يسيرُ ورائي

★ ★ ★

يا فؤادي دعْهُمْ ودَعْ كلَّ ما شا ... ؤُوا.. فلن يهزم الجحودُ إبائي!!
ما على الناس من هزار مضى يزنا ... دُ بالفكر شاسعات الفضاء!!
بتسامى بروحه عنْ أذاهُمْ ... ويُلاقي سهامَهُمْ باحتفاء
مسلِّماً أعْطافه وفاءً وحُبّاً ... وعلى وجهه سماتُ العَشاء

★ ★ ★

تركَ الأرض للصِّراع وللحقْد ... وللجاهلين والأغبياء
يرْقُبُ النجْمةَ البعيدة في الأفْـ ... ـق يُغنِّي للانهما للمساء
كلَّما شامَ روضةً سابقَ الرِّيْح ... إليها للظلِّ والأندَاء
إنَّ في الزَّهر روعةً ليس يدري ... عمْقَ أسرارها سوى الشُّعراء!!

★ ★ ★

ما عليهم من شاعرٍ راح يَلْهو ... برؤاه في وارفِ الأفياء
ما عليهم إنْ عاش يوماً سعيداً ... أو شقيّاً في عمق جبِّ الشقاء
هو أدرى بمن يكون.. وماذا ... راح يسعى له مع الأحياء
وهو أدرى بما أفاد، وماذا ... منَحَ الكوْنَ من لذيذ العطاء!!
ما ثوابُ عن حبِّه لبني الإنْسا ... نِ يوماً وما أكثر بعطاء
عاش للأرض عاشقاً ونحيّاً ... واحتواها بألف ألف رداء!!
فتنامى حبُّهُ، وزهَتْ رُؤاهُ ... وزكَتْ نفسُه بطيب الهواء

★ ★ ★

جهلَ الصَّقْرُ حاسدٌ فشَواهُ ... إنَّ لحْمَ الصُّقور فوق الشواء
سوف يا قريبي يحبُّك أشدو ... وأغنِّي.. إليك يحلو الثناء!
عرَف الخيرُ أهلَهُ فاتاهُمْ ... وهمى المُزْنُ في رياض الوفاء
هكذا هكذا الحياة وفيها ... يلتقي الأغبياءُ بالأذكياء
وعلى المرء أنْ يكدَّ ويشقى ... ويعاني تضارُبَ الأنواء!!

الهوامش

(1) منزاقير: حي من أحياء مدينة الحمادة، ويقصد به الشاعر.

الأنواء ومنازل القمر في الشعر العربي

بقلم: د. محمود حسن أبوناجي

الأنواء في الشعر العربي

ورد في شعر العرب ذكر الأنواء وقد ربط الشعراء هذه الأنواء بكثير من ظواهر الطبيعة من حيث نزول الأمطار والرياح وغيرها.

وقد ذكر بعض شعراء الجاهلية أن طلوع نجم **الثريا** دليل على البرد والصقيع يقول أحدهم في ذلك:

إذا طلع النجم عشاء
أبغى السراعي كساء[1]

والشاعر يقصد بالنجم هنا الثريا تحتل في السنة أربعين يوماً، وإذا طلعت الشمس فإن الثريا لا ترى. وفي حديث منسوب **للرسول صلى الله عليه وسلم** يقول فيه:

«إذا طلع النجم ارتفعت العاهات»[2].

والعرب تسمي **الثريا** النجم وهي سبعة ظاهرة وواحد خفي.. قال الشاعر:

خليلي إني للثريا لحاسد
وإني على ريب الزمان لواجد[3]
أيجمع فيها شملها وهي سبعة
ويؤخذ مني مؤنسي وهو واحد

ويقول الشاعر العباسي **أبو تمام**:

إن الهلال إذا رأيت نموه
أيقنت أن سيصير بدراً كاملا

فالقمر يتدرج في النمو صغيراً حتى يصبح كاملاً في شكله. ويقول **أبو العلاء المعري** في معنى آخر من حيث أن القمر بعد كماله ينقص:

نوق السدور النقص وهي أهلة
ويدركها النقصان وهي كواملُ

وقد عدّ أبو نمام على نجم يسمو في الأفق ويسمى **السكوكب الغربي**[4]:

والعيس في شهب الأرماح لابعة
بين الخميسين لا في السبعة الشهب

وجوفوا الليل من دهماء مظلمة
ما كان مقلياً أو غير مقلب
وصيروا الأرح العيس مترعة
ما كان مقلياً أو غير مقلب

ويقول **ابن المعتز** في صفة **الهلال** وهي من الأبيات البديعة في الوصف الدقيق:

فانظر إليه كزورق من فضة
قد أثقلته حمولة من عنبر

فمن المعجز يرى أن الهلال بما فيه من ضلال، وما هو عليه من بهاء وروعة كأنه سفينة فضية، ويقول **ابن الرومي** في وصف **قوس قزح** عندما يظهر في السماء، وفي اخضرار الأرض، ومدى ارتباط القوس بخضرة الأرض عند ظهور هذا القوس:

وقد نشرت أيدي السحاب مظرفاً
على الأرض ركناً وهي ركن على الأرض
يطرزه قوس الغمام بأصفر
على أحمر في أخضر وسط مبيض
كأنيال حوراء ألفت في غلائل
مصبغة أو بعض أقصر من بعض

وقد تنبه الشعراء من **الجوزاء** واعتقدوا أنها تدبر بؤس وشؤم، يقول **امرؤ القيس**:

ويوم من الجوزاء لما سكونه
فصح وأما ريحه فسموم

أما الشهب السبعة فهي الكواكب الطوالع وهي: **زحل، المشتري، المريخ، الشمس، الزهراء، عطارد، القمر**.

يقول **علقمة** في سمو الجوزاء:

وقد علوت عمود الرحل يسفعني
يوم لجبء به الجوزاء مسموم

وكان عند العرب اعتقاد بأن الكوكب نفسه هو الذي ينشئ السحاب ويأتي بالمطر:

جادت له الدلو والشعرى وسوقها
بكل أسحم داني الودق مرتجف

ليل الشعراء

وعندما مل الشعراء من طول الليل وتحدثوا عن الكآبة فيه ربطوا هذا الطول وأرجعوا ذلك للنجوم .. يقول **الأعشى** :

كأن نجومها رسطت بصخر
وأمراس تشدد وتستريد
إذا ما قلت حان هوى أفولا
تعرضت الثريا والسعود

وأجاد امرؤ القيس في هذا الغرض حيث يقول :

فيالك من ليل كأن نجومه
بكل مغار الفتل شدت بيذبل

وقد فرح العرب بعيب الليل لأن فيه بشارة لكرم وجود .. يقول **حاتم الطائي**

وعذلة هبت بليل تلومني
وقد علمت عوذي الثرى مقعدا
تلوم على إمطائي المال عذلة
إذا حن بسدال الجبين وصردا

منازل القمر

إذا أردنا أن نعرف السبب في حرص العرب على معرفة أنواء المنازل للقمر وجدنا أن ذلك الحرص يرجع إلى أن المنازل للقمر هي سقف بيوت العرب ، وأساس معاشهم وانتجاعهم وطلبهم للكلأ .

وقت ظهور النجوم

لا تظهر النجوم كلها في ليلة واحدة ، يقول أحد الشعراء في ذلك طول الليل وارتباطه بالنجوم كي ذكرت أنفاً :

فبات بطيء حتى خلته
من كل ناحية وسط
وتكررت فيه النظار
لي منه لا مسي الغلط

ومن المعروف عند العرب أن السنة أربعة أجزاء ، ولكل جزء منها سبعة أنواء ، ولكل نوء ثلاثة عشر يوماً ، ولكل برج منازلان وثلث منازل ، وكلما زالت الشمس منزلة من هذه المنازل سترته .

والنوء مشتق من مادة ناء ، إذا نهض متثاقلاً ، والعرب تجعل النوء للغائب لأنه ينهض للغروب متثاقلاً ، وقد أكثر الشعراء العرب في هذا . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة** ﴾[٣] أي لتميل جسمه إلى الأرض ، والمطلع له التأثير والقوة ، والغرب ساقط لا قوة له ولا تأثير قال **المجرد** : (النوء عن الحقيقة للمطلع من الكوكبين لا الغارب) .. وهذه المنازل كلها يطلع بها الثريا من المشرق ويغرب من المغرب .

الربع الأول من السنة

* يسمى هذا الربع من السنة : **الهواء** ، وهو النوء الأول ويبدأ هذا الربع من السنة من سبعة عشر يوماً من شهر آذار (مارس) ، وبعضهم يجعله في العشرين منه فينوي حينئذ الليل والنهار منه . ويطلع مع العذراء فرع الدلو الأسفل وهو المؤخر . ويسقط الهواء وأبيها بسبب النوء وهي قد ينقص ، وصقبها خمسة كواكب ، بل قال آخرون كأنها خمسة أكلب تعوي خلف الأسد ، قال **ابن دريد** هي دبر الأسد والعواء في كلامهم الدبر .

* **النوء الثاني السماك** : هذا النوء وهو السماك سماكان أحدهما **السماك الأعزل** لم يرفد بشيء بالأعزل من الرجال وهو الذي لا سلاح معه وهو منزل القمر . أما السماك الآخر فهو **كوكب الرمح** وهما سماك الأسد وسمي سماكاً ولا يقال لغيره ، إذا علا سماك .

* **النوء الثالث الغفر** : يسمى هذا النوء نوء الغفر وهو ثلاثة كواكب غير زهر وسمي بالغفر لأنه يفيد الستر والتغطية .

* **النوء الرابع الزبانان** : وهما كوكبان مقترنان وهما قرنا **العقرب** ويقرن بينهما ، وسمي زبانين لبعد كل منهما عن صاحبه ومنه قوله تعالى : ﴿ **الزبانية** ﴾[٤] أي الذين يدفع الكفار إلى النار .

* **النوء الخامس الإكليل** : يسمى هذا النوء بالإكليل لأنه يشبه رأس العقرب وهو ثلاثة كواكب .

* **النوء السادس القلب** : يسمى هذا النوء بالقلب لأنه كوكب أحمر وقد وقد جعلوه للعقرب قلباً .

* **النوء السابع الشولة** : الشولة كوكبان وأحدهما أخفى من الآخر ، وهما ذنبا العقرب ، **وذنب العقرب شائل وهذا هو سبب تسميته بالشولة** ، وبعضهم يجعل الشولة الإبرة التي في ذنب العقرب .

ثانياً : الربع الثاني

الصيف وأنواؤه هي :

* **نوء النعائم** : وهي ثمانية كواكب منيرة ، أربعة منها في المجرة وتسمى **الواردة** وأربعة خارجة تسمى **الصادرة** وشبهت بخشبات البئر ، **نوء البلدة** : وهي فرجة لطيفة لا شيء فيها ، وبجوارها كواكب تسمى الفلائد .

* **نوء سعد الذابح** : وهما كوكبان صغيران أحدهما مرتفع إلى الشمال .

* **نوء سعد بلع** : وهما كوكبان صغيران مستويان في المجرة شبه بفم مفتوح .

* **نوء سعد السعود** : وهما كوكبان أحدهما أكثر إنارة من الآخر ، سمي بذلك لأن وقت طلوع هذا النوء ابتداء كمال الزرع ونمو يعيش به الحيوان والنبات .

* **نوء سعد الأخبية** : وهما كوكبان عن شمال الجاه ، والأخبية أربعة كواكب واحد في وسطها ، ويسمى **الحباء** لأنها على صورة الخباء يقول **ابن قتيبة** إنه سمي بذلك لأنه وقت طلوع الخيمات ونهوض وخروج من كان مختفياً .

هو المقدم ويضمم بسببه العرقوة العليا وهما كوكبان مفترقان وقيل له «دلو» لأن الأخطار العظيمة تأتي منه .

ثالثاً : البرج الثالث «الحريضة»

وأنواء هذا البرج هي :

* **نوء فرع الدلو الأسفل** : وصورته كوكبان مضيئان بينهما بعد .
* **نوء الهوت** : وهو كوكب أزهر منير في وسطه حمكة .
* **نوء السرطان** : وهما كوكبان مفترقان مع الشمال منهما كوكب دونه في القدر وسمي شرطين لأن سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله .

نوء البطين : وهو ثلاثة كواكب خمس خفيات وهو بطن الحمل إلا أنه قد صغر .

* **نوء الدبران** : وهو كوكب وقاد على أثر نجوم تسمى **القلاص** ، وقيل **الدبران لأنه دبر الثريا أي جاء خلفها** ، ويقال له أيضاً **الراعي** أو التالي والتابع والحادي .
* **نوء الهقعة** : وحيث بدا تشبيهاً بالدائرة التي تكون عند عقب الفارس في جنب الفرس وصورتها ثلاثة أنجم صغار .

رابعاً : البرج الرابع : «الثناء»

وهو عدة أنواء هي :

* **نوء الهنعة** : حيث بذلك لأنها كوكبان مفترقان كل واحد منعطف على صاحبه وقارنانها في الهجرة بين الجوزاء والذراع المقبوضة .
* **نوء الذراعين** : وهي ذرع الأسد المقبوضة والمبسوطة ، وهما كوكبان منيران بينهما كواكب صغار تسمى الأظفار .
* **نوء النثرة** : وهي لطخة لطيفة بين كوكبين وهي عندهم ما بين فم الأسد وأنفه ، وقيل سميت نثرة لأنها كقطعة سحاب نثرت .
* **نوء الطرف** : وهي عينا الأسد ، وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة في مرأى العين .
* **نوء الجبهة** : وهي أربعة كواكب معوجة في اليماني منها بريق وهي جبهة الأسد .
* **نوء الزبرة** : وهي نجمان يرى أحدهما أكبر من الآخر ويقال هما اخرتان كأنهما نقدا إلى جوف الأسد .
* **نوء الصرفة** : وهو كوكب وقاد عنده كوكب طمس وسمي بذلك لانصراف البرد لسقوطه .

هذه هي أجزاء السنة المتعارف عليها وقد درسنا أنواءها والسبب الذي جعلنا نضيف هذه المنازل إلى القمر دون إضافتها إلى الشمس ، ذلك لأنها لا تظهر إلا مع القمر ويسمونها نجوم الأخذ كأن الأرض تأخذ عنها بركات المطر .

أبلغ ما قيل في أوصاف بعض الكواكب

برع شعراء العرب براعة فائقة في وصف بعض الكواكب ونالت منهم عناية عظيمة وذكروا هذه الأوصاف مرتبطة بمظاهر عديدة ظهر وغياباً حتى إن كبار الشعراء تبارزوا في وصف الثريا ونالت منهم نصيباً كبيراً من أوصافهم : من حيث بيان أدق تشبيهاتها وأشكالها المتباينة .

من ذلك ما يرويه **الهيثم بن عدي** قال لنا **صالح بن حسان**[٣] : أنشدوني أحسن شيء قيل في الثريا ـ قلنا : بيت امرئ القيس :

إذا ما الثريا في السماء تعرضت
تعرض أثناء الوشاح المفصل

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : بيت **عبيد الله بن الزبير**[٨] :

وقد حسرن الدور الثريا كأنها
يدا رابية بيضاء تخفق للمظلم[٩]

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : بيت **ذي الرمة** :

وردت اعتباطاً والثريا كأنها
على قمة الرأس ابن ماء محلق[١٠]
يسدف على آثارها دبرانها
فلا هو مسبوق ولا هو يلحق

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا بيت **يزيد بن الطثرية** :

إذا ما الثريا في السماء كأنها
جمان وهي من سلكه فتبددا[١١]

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : قول الآخر :

نظرت إليها والثريا كأنها
قلادة سلك سل منها نظامها[١٢]

قال : أريد أحسن من هذا ، قلنا : ما عندنا . قال : بيت **أبي قيس ابن الأسلت** :

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى
كعنقود ملاحية حين نورا[١٣]

وقال **ابن طباطبا** :

وليل أرى الجوزاء فيه معطلة
عليَّ تحاكي شخص نشوان مائل[١٥]
وقد أتلعت منها نجوم وشاحها
كأن سناها فضة من خلائل[١٥]

وقال عبدالله في سهيل :

وقد لاح للساري سهيل كأنه
على كل نجم في السماء رقيب[١٦]

مما استحسن في وصف القمر والهلال

قال عبدالله بن المعتز :

حتى قمر مشرق
كترس لحين بشق الدجى[١٩]

وقال محمد بن أحمد العلوي :

ما للهلال تناحلاً في المغرب
كالنون قد حطت بماء مذهب[18]

وقال[19] :

في قمر مشرق نصفه
كأنه مجمرة العطر[20]

وقال أيضاً :

في ليلة أكل المحاق هلالها
حتى تبدى مثل وقف العاج[21]

وقال : عبدالله يهجو القمر :

يا سارق الأنوار من شمس الضحى
يا مشكلي طيب الكرى ومنغصي[22]
أما ضياء الشمس فيك فناقص
وأرى حرارة نارها لم تنقص
لم يظفر التشبيه منك بطائل
متلاع يهماً كلون الأبرص

ما قيل في الليلة المقمرة والليالي المظلمة

قال عبدالله بن المعتز :

هل لك في ليلة بيضاء مقمرة
كأنها فضة ذابت على البلد[23]
وقهوة كشعاع الشمس صافية
كان أقداحها عمن بالزبد

وما يستحسن في وصف الشمس

أنشدني **أبو بكر محمد بن يحيى** قال : أنشدني **علي بن الصباح** قال : أنشدني **أبو ملحم** ، لشاعر قديم[24] ، يصف الشمس :

مجبأة أما إذا الليل جبها
فتخفى وأما بالنهار فتظهر[25]

وقال ابن عباطا :

وشمس تجلت في رداء معصفر
كأحماء إذ مدت عليها خمارها[26]

وقال ابن الرومي فأحسن في وصف غروبها :

كأن حسو الشمس ثم غروبها
وقد جعلت في مجنح الليل تمرض[27]
تخاوص عين من أجفانها السكرى
يسرنق فيها النوم ثم تغمض[28]

الهوامش

(١) تفسير الكشاف ، جـ٤ ص ٣٢١ .

(٢) تفسير الكشاف ، جـ٤ ص ٣٢١ .

(٣) تفسير الكشاف ، جـ٤ ص ٣٢١ .

(٤) ديوان أبي تمام والكوكب الغربي نجم يرى في أفق الغرب من الخطب الشمالي ، ويسمى بذنب الفرس أو الذئب .

(٥) سورة القصص ، الآية ٧٦ .

(٦) سورة العلق ، الآية ١٨ .

(٧) الحصون لأبي أحمد العسكري ، ص ٢٩ .

(٨) عبدالله بن الزبير الأسدي من شعراء الدولة الأموية ، مات في خلافة عبدالملك بن مروان . الأغاني ١٣/ ٣١ ، والخزانة ١/ ٣٤٤ .

(٩) في معاهد التنصيص ٢ : ٢٨ ، والأغاني ١٥ : ١٥٩ ، وعيون الأخبار ٢ : ١٨٦ : وقد لاح في الغور الثريا .

(١٠) ديوان ذي الرمة ٤٠١ ، واللسان (عسف) ، وديوان المعاني ١ : ٣٤٤ ، والأزمنة والأمكنة ١ : ١٨٨ .

(١١) ديوان المعاني ١ : ٣٣٤ ، ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٤٢ ، والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٣٤ ، والأغاني ١٥ : ١٥٩ ، ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٨ ، والسروية في الأحيين «فسرعا» .

(١٢) ديوان المعاني ١ : ٣٣٣ .

(١٣) معاهد التنصيص ٢ : ١٧ ، والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٣٤ ، وسمط الدرر في أسرار البلاغة ٧٥ ، إلى قيس ابن الخطيم ، وليس في ديوانه .

(١٤) في الأصل : «مطلة على» ، والمحاكى مشخص» ، تحريفان .

(١٥) في الأصل : «ولد لتعت» ، «لتعت : أظهرت .

(١٦) فيه في الديوان ٢/ ٣٢ :

ألا فاسقنيها قبل نحس الليل ديسكه
وأخرى بأقرن الليل فهو سليب

(١٧) من قصيدة على روي الألف في أول ديوان ابن المعتز .

(١٨) يقال حط يحط حطاً صفاه ونقاه .

(١٩) القائل هو عبدالله بن المعتز . ديوانه ٢/ ١٢٠ .

(٢٠) في الأصل : «مسارق» صوابه من الديوان ومن ديوان المعاني ١/ ٣٤٢ .

(٢١) ديوان ابن المعتز ٢/ ٧٤ وديوان المعاني ١/ ٣٤٠ .

(٢٢) ديوان ابن المعتز ٢/ ١٢٣ .

(٢٣) ديوان ابن المعتز ٢/ ٣٨ وديوان المعاني ١/ ٣٤٢ .

(٢٤) في الأصل : «الشاعر القديم» .

(٢٥) في الأصل : «مجبأة أما» .

(٢٦) انظر ما سبق بهذا الخصوص ، وديوان المعاني ١/ ٣٦٠ .

(٢٧) ديوان المعاني ١/ ٣٦٠ . وكذا في محاضرات الراغب ٢/ ٢٤٠ . أما في ديوان المعاني ٢/ ٣٦١ : «كأن جثوا» . وفي مجموعة المعاني ١٨٥ : «كأن جوه» .

(٢٨) من : أصمعت . وفي محاضرات الراغب ٢/ ٢٤١ «مل أجفانها» وفي مجموعة المعاني ١٨٥ : «من أجفانها» وفي ديوان المعاني «بن أجفانه» .

بعض المصادر والمراجع

- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق ...
- تفسير الكشاف ، جـ٤ ، تحقيق ...
- ديوان ابن المعتز ، تحقيق ...
- ديوان ذي الرمة ، تحقيق ...
- ديوان المعاني ، تحقيق ...
- سمط الدرر في أسرار البلاغة ، ...
- الأزمنة والأمكنة ، ...
- عيون الأخبار ، ...
- الخزانة ، ...
- معاهد التنصيص ، ...
- محاضرات الراغب ، ...
- الحصون ، ...
- ديوان أبي تمام ، ...
- ديوان ابن الرومي ، ...
- اللسان ، ...

(التتمة العدد (٦٢) ص ١٢٧

رحلات تاريخية

رحلة الشتاء والصيف

تمتاز **جزيرة العرب** بموقع جغرافي ، متوسط بين الشرق والغرب ، فهي حلقة الوصل بين **البحر الأبيض المتوسط ، والمحيط الهندي** ، وبين شرق إفريقيا وجنوب آسيا ، والشرق الأقصى من ناحية ، أما الناحية الأخرى حوض البحر المتوسط وأوروبا ، فقد ساعد موقعها الجغرافي هذا على رواج التجارة بين هذا العالم في العصور القديمة والوسيطة ، فقد كان ينقل الحرير ، والعطور ، والتوابل ، والعسل ، والبخور ، [illegible] إلى موانئ حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي ، كما يعود التجار من أوروبا بما تنتجه من مصنوعات ، في رحلة مباركة في الروحات والغدوات هي رحلة الشتاء والصيف التي يذكرها القرآن الكريم في سورة قريش ـ آيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

﴿ لإيلاف قريش ، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ «صدق الله العظيم» .

تلك الرحلة ألفت بين عرب الجنوب والشمال ، وجلبت معها [illegible] تجارية رئيسية تقع على الطريق بين اليمن وموانئ البحر المتوسط ، لتبادل المنافع ، فمن هذه الأسواق الرئيسية شرقت القوافل عبر الجزيرة ، من **عدن** ، **وصنعاء** في اتجاه **حضرموت** ، **ومهرة** ، **وظفار** ، **وعُمان** ؛ ومن **نجران** ، **وبيشة** ، **ومكة** ، **والطائف** ، **وعكاظ** في اتجاه «**حجر اليمامة**» ، **وهجر** ، **والمشقر** ، وسواحل الخليج العربي ، ومن **مدائن صالح** ، **والعلا** ، **وتيماء** في اتجاه **حائل** وحجر ، ومن **تبوك** في اتجاه **دومة الجندل** ، والأبلة ، وجنوب العراق وإيران ؛ كما نشأت أسواق فرعية مشرقة في الخفوف ـ الرياض ـ الجوف .

كما أنشئت أسواق فرعية مشتركة بين العرب وغيرهم في : الدمام ـ الظهران ـ الخبر ـ دبي ـ صحار ـ مسقط ـ النجف .

ويذكر «الألوسي» من أسواق العرب في الجاهلية ، في «بلوغ الأرب» :

- **دومة الجندل** : وتعقد سوقها في «١ : ١٥ ربيع الأول» .
- **هجر** : وتعقد سوقها في «ربيع الآخر» .
- **عمان** : وتعقد سوقها في «جمادى الأولى» .
- **المشقر** : وتعقد سوقها في «جمادى الآخرة» .
- **حباشة** : وتعقد سوقها في «رجب» .
- **صحار** : وتعقد سوقها في «١٠ : ١٥ رجب» .
- **الشحر** : وتعقد سوقها في «شعبان» .
- **عدن** : وتعقد سوقها في «١ : ١٥ رمضان» .
- **صنعاء** : وتعقد سوقها في «١٥ : ٣٠ رمضان» .
- **عكاظ** : وتعقد سوقها في «١ : ٢٠ ذو القعدة» .
- **مجنة** : وتعقد سوقها في



رحلات تاريخية

«٢٠ : ٣٠ ذو القعدة».

● **ذو الجاز**: وتعقد سوقها في «١ : ٨ ذو الحجة».

● **حضرموت**: وتعقد سوقها في «١ : ٨ ذو الحجة».

وقد حظيت الجزيرة العربية بالكثير من عناية الرحالة والمتقين، والمؤلفين في جاهليتها وإسلامها بالكتابة بمختلف اللغات، ومع ذلك لا تزال مجالا خصباً للبحث والدراسة.

والجزيرة منذ القدم جمعت بين البداوة والحضارة، بين الارتحال والاستقرار.. استقر إنسانها حيث توفر الماء، ونمت الزروع في الوديان التي جرت بمياه الأمطار وفي الواحات، وفي حواضر البادية، حيث تلتقي القوافل في مكان ذي ماء ونست وضرع، كما تأثر بالأذواق التي تعرضها السلع الوافدة، وارتحل حيث شحت الطبيعة وانعدمت الخيرات، وقام بدور الوسيط في عملية التجارة بين الشرق والغرب في عصور كان فيها الجمل «**سفينة الصحراء**»، فهي أقدم عهداً من التجارة البحرية التي مارسها الرومان، والبطالمة، والبيزنطيون عبر «**بحر القلزم**»: البحر الأحمر» إلى المحيط الهندي، وسواحل إفريقيا الشرقية، وسواحل آسيا الجنوبية.

فإنسان الجزيرة قطع القيافي في حر الصيف، وبرد الشتاء، رسم خطوط السير على طول الجزيرة وعرضها، كان ربان السفين الماهر، العارف بمعالم الرحلة الدائمة بين الشمال والجنوب، وما تتفرع عنها من رحلات لا تتوقف في صيف أو شتاء.

وأغلى وأثمن ما ظفر به العرب من رحلة الشتاء والصيف «**الكتابة العربية**» التي جلبها إلى الجزيرة عرب الشمال في رحلتهم التجارية الدائمة صوب الجنوب، وجاء الإسلام، وعرب الشمال يكتبون، وكان من شرف الكتابة أن دوّن بها التنزيل، وكسبت الكتابة جلالا أضفاه عليها جلال القرآن، وتبارت الأقوام في تنويع الأقلام وتجويدها، ونشأت المدارس الخطية في مكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، ودمشق، وبغداد وغيرها من عواصم العالم الإسلامي.

وأخذت قوافل العرب تعبر بحر القلزم «البحر الأحمر»، وكان فتحهم للهند في عصر مبكر سبباً في أن يقتحم تجارهم المحيط الذي يدور حولها.. بل لقد أخذوا يقتحمون بحر الصين «المحيط الهادي»؛ ووصلوا إلى الهند الشرقية، وكانوا يسمونها بلاد «**واق الواق**»، ويُظن أنهم أطلقوا هذا الاسم على «**الجزائر اليابانية**»؛ وقد عرفوا «**مدغشقر**»، ونزلوا بإفريقيا الشرقية في الصومال وجنوبه؛ وهم في كل هذه الرحلات ليسوا تجاراً يبيعون ويشترون فقط، بل كانوا دعاة للدين الإسلامي الحنيف يسعون إلى نشره وتعريف الناس به، وهم بلا جدال الذين مهدوا الطريق للفاتحين في نشر دين الله فيما بعد.. بل منهم من جال وطاف بلاد آسيا كلها زاهداً في دنياه سعياً لنشر دين الله.



جزيرة العرب: حلقة الوصل بين الشرق والغرب منذ أقدم العصور

مختلف فروع المعرفة

١٧٠ كتاباً في هذه الثروة الفكرية.. رصيدنا الثقافي مكتبتك الخاصة



جميع سلاسل متنوعة تصدرها إدارة النشر بمؤسسة تهامة

الكتاب العربي السعودي

بأقلام نخبة من الكتاب السعوديين في مختلف مجالات الأدب والفكر.. والسلسلة تخطو الآن نحو الرقم ٧٠.. فتفقّد مجموعتك إذا كانت كاملة.

الكتاب الجامعي

خلاصة فكر أساتذة الجامعات السعودية والعربية في مختلف العلوم والقنون والآداب والسلسلة أكملت الآن الرقم ١٥.. تفقّد مجموعتك إذا كانت كاملة.

أسائل جامعية

خلاصة تجارب شبابنا السعودي في دراساتهم العليا في الداخل والخارج (رسائل الماجستير والدكتوراه).. الكتاب العاشر هو آخر رقم في السلسلة حتى الآن، فتفقّد مجموعتك لاستكمالها.

مطبوعات تهامة

تضم القصة.. والشعر.. والدراسات المختلفة.. وهي سلسلة مفتوحة للجميع صدر منها حتى الآن ٢١ كتاباً. تفقّد مجموعتك.. هل هي كاملة؟

كتاب للناشئين

ثقافة ميسرة وسهلة للناشئين.. بأقلام نخبة من الأساتذة المتخصصين في التربية.. تفقّد مكتبة أبنائك لاستكمالها.

كتاب للأطفال

ثقافة الصغار.. حكايات بالصور والألوان تتضمن نماذج من التعاملات والسلوك تهدف إلى تعويد الطفل على أساليب من السلوك السوي تناسب ومداركه.. راجع مجموعة مكتبة طفلك لاستكمالها.

إصدارات تهامة

سلسلة تعريفية.. إعلامية تتضمن الأدلة الاقتصادية والسياحية والإعلامية.. وخطة التنمية السعودية، ودليل التخصيات السعودية.. إنها هامة في مكتبتك.

أكثر من ٥٠٠ كتاب جديد تحت الطبع من مختلف السلاسل في مختلف فروع العلم والمعرفة.. أكمل مجموعتك الثقافية من مكتبات تهامة في مختلف مدن المملكة والمراكز التابعة لها أو في الدول العربية التالية:

• القاهرة: مؤسسة الأهرام، شارع الجلاء ت ٧٨٥٥٠٠ • الكويت: مكتبة الفيحاء، شارع عبدالسلام ص.ب ٢٤٩٨٠ ت ٤٤٧٧٢٤
• بيروت: شركة المنشورات الدولية، شارع بشارة الخوري ص.ب ٧٤٤٥ ت ٣٦٥٠٥٠ • الدار البيضاء: الشركة المغربية لتوزيع الصحف، حي درب غلف ص.ب ٥٦٥ تلكس ٢٢٧٤٧ م
• الرياض: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ص.ب ٤٥٤٥ ت ٤٠٤٤٤٤ • جدة: مكتبة تهامة، شارع الملك فيصل ص.ب ٣٤٨٥ ت ٦٤٢٨٥٥
• أبوظبي: مؤسسة الخليج، ص.ب ٧٨٣ ت ٨٢٩٢٨٥ • دبي: شركة دار الصحافة، ص.ب ٢٠٠٧ ت ٢٢٨٥٥٥
• الدوحة: شركة المطبوعات، إدارة توزيع الصحف، ص.ب ٤٣٩ ت ٤٤٩٢٢١ • الشارقة: مكتبة الخان، ص.ب ٥٠٠ ت ٢٢٥٢٢٢
• المنامة: الشركة العربية للإعلان، ص.ب ٥٦٠ ت ٢٥٥٥٥٥ • مسقط: وكالة الأنباء العمانية، ص.ب ٤٢٠٠ ت ٧٠٠٠٠٠
• الرباط: شركة المطبوعات، إدارة توزيع الصحف، ص.ب ٤٣٩ ت ٤٤٩٢٢١ • القاهرة: مؤسسة الأهرام، شارع الجلاء ت ٧٨٥٥٠٠

طبق البرغل

بقلم:
د. وليد قصاب

كانت يده مندسة في جيب سرواله الأسود ، وقد قبضت أصابعها بشدة على ورقة مالية بخمس ليرات . كان يمضي بأقصى سرعة ، سأل أكثر من واحد عن الوقت ، فعرف أن الساعة قد جاوزت العاشرة مساءً منذ وقت قصير . كان يود أن ينهب الأرض نهباً ، فالأولاد ما زالوا بلا عشاء حتى هذا الوقت المتأخر ، ولا شك أن زوجته تضرب الآن كفاً على كف ، ليس عندها شيء تعده للأولاد . ذكرت له أمس أنه قد نفدت من المنزل آخر حبة من **البرغل** ، ووعدها أن يحضر اليوم قليلاً منه . . .

أخرج يده من جيب سرواله وفتحها ونظر إلى الورقة المالية كأنه يود أن يتأكد من وجودها ، ثم عاد يدسها في جيبه بحرص شديد . كانت هذه الورقة هي حصيلة اليوم كله ، وكان يوماً ناصباً شاقاً ، خرج قبل أن يصبح الديك ، وها هو قبل منتصف الليل بقليل . راح يغذ السير . ما زالوا بلا عشاء حتى هذا الوقت المتأخر ، وربما بلا غداء أيضاً ؛ فربما عجزت المرأة عن أن تعد شيئاً يحرس جوع أطفال أربعة ، فعهده أن البيت ليس فيه شيء يُؤكل ، ولا حتى البرغل ، أكلتهم الرخيصة التي يعتصمون بها دنيا صافت بهم ذات اليد ، وما أكثر ما تضيق !

وتلامح أمامه طبق البرغل ، طبق رخيص ودسم كما قال له بعض أصحابه ممن هو على شاكلته ، تكفي ثلاث ليرات أو أربع لإعداد طبق كبير تأكل منه أسرة كأسرته ، ولكنه لا ينسى كم أصبح الجميع يكرهون [illegible] ، وتداول الأسر مع زوجته أكثر من مرة ، فكرا طويلاً في أكلة أرخص منها ولكنهما لم يجدا ، فكانا يعودان إلى البرغل باستمرار كأنه قدر محتوم لا مفر منه . والأولاد ــ على كثرة ما تشكّوا من هذه الأكلة اليتيمة التي لا يكاد يدخل بيتهم غيرها ــ ما إن يشمّوا رائحتها ، والجوع ينهش أمعاءهم ، حتى يلمع في عيونهم بريق عجيب من الفرحة والنشوة ، فيتدافعوا إلى المائدة متسابقين صائحين :

ــ **البرغل .. البرغل .. ماما أحضرت طبق البرغل . .**

وسرعان ما تنغمس الملاعق في الطبق ، وتخفت المرح والمزح اللذان كانا يسودان المنزل منذ قليل ، ويخيم على المائدة صمت مطبق لا تسمع خلاله إلا طرقات الملاعق فوق الطبق ، وهمهمات الأطفال كأنهم قطط صغيرة تجمّعت حول قطعة من اللحم أو مجموعة من العظام . ويخطر له في هذا الموقف أن يداعب الصغيرة عائشة التي كانت تقول أحياناً في براءة طفولية عجيبة عندما ترد ذكر البرغل وهي غير جائعة :

ــ **ألم يخلق الله شيئاً يؤكل إلا البرغل يا ماما . .**

يلتفت إليها قائلاً وهي منهمكة في الأكل بلذة لا حدّ لها :

ــ **هل خلق الله شيئاً أطيب من البرغل يا عائشة ؟ . .**

فتهمهم وهي تدفع ملعقة مملوءة إلى فمها :

ــ **أبداً . . أبداً . . يا بابا . .**

وإنْ هي إلا دقائق حتى تخفّ همهمات الصغيرة ، ويلوح الطبق مؤذناً بالانتهاء ، فتبدو جوانب من قعره ، فينقبض صدر الوالد ، وتحس المرأة على الفور بما يعتمل في صدر زوجها ، فتضع ملعقتها ، وتكف عن الطعام . كم يخشى الرجل ألا يكفي الطبق وأن يبقى الأولاد جائعين . ينظر في وجه زوجته وقد أدرك أنها قد قرأت ما يرتسم على ملامحه ، فيضع هو الآخر ملعقته جانباً ، وهو لا يقل عنها رغبة في الطعام ، ويهمس :

ــ **الحمد لله . .**

ويندفع الأولاد يأتون على ما تبقى في الطبق ، وهم يتدافعون ويتصايحون ، كلٌّ يحاول أن يحظى بلقمة زائدة ، ثم يمسحونه مسحاً بكسر الخبز ، ثم يقذفونه جانباً ، ويهبّون واقفين وقد امتلؤوا نشاطاً وعزماً ، ويسرعون خارجين من الغرفة إلى هومهم وعبثهم الصباحي وقد أشرقت وجوههم ، وأضاءت عيونهم ، وامتلأت بطونهم ، ولم يعد شيء يهمهم على وجه البسيطة . يتعالى من الخارج ضجيج الأولاد ، فتصكُّ أذنيه أصواتهم الصاخبة المرحة ، فيحسُّ بالسعادة ، ويهمس لنفسه :

ــ **يا لسعادة هؤلاء الأطفال . . لا همَّ لهم إلا أن يملؤوا بطونهم ، وينصرفوا إلى هومهم . .**

ليته ما يزال طفلاً . إن الطفولة عالم لا هموم فيه ولا أحزان ولا أعباء ولا مشكلات . إن الأطفال ـكما يقول شاعر علّموهم قصيدة له عندما كان في المدرسة ذات يوم :

خلقوا من شبعات الحياة ... على الأمّ يُلقونها والأب

وتقوده الذكريات إلى الطفولة والمدرسة . . كانت طفولة قصيرة لم يستطع أن يتذوق حلاوتها ؛ فقد فُرض عليه أن يحمل أعباء الرجال



طبق البرغل

وهمومهم قبل أن يبلغ مبلغ الرجال . وجد نفسه ينسلخ فجأة عن عالم الطفولة الصغير إلى دنيا لا عهد له بها من الجهد والتعب والمشاق . عرف بين يوم وليلة أنه لم يعد طفلاً ؛ فقد قال له أبوه ذات يوم بصوت واهن ضعيف ، وعينين حاول جاهداً أن يحبس دموعاً تجمّعت في مآقيهما :

ـ لم أعد قادراً على تعليمك يا عمر .. ولا بد أن تخرج من المدرسة لتقف إلى جانبي تساعدني على أعباء الحياة ، والعمل من أجل لقمة العيش ، فأنت لم تعد طفلاً

كلام والده لا يزال في مسامعه حتى هذه الساعة . فرح يومذاك أنه لم يعد طفلاً ، ولم يدر أنه يفقد حتماً ، ويضيع كنزاً ، ولعله انتفخ أن يقال له إنه بلغ مبلغ الرجال ، فما كان عقله يدرك ساذا تعني المدرسة ، أو العمل ، أو أعباء الحياة ، أو لقمة العيش ؟ . كان الطعام لا ينفد من منزلهم ، وكان بحسب أن والده يجمعه من الطريق ، أو أنه يهبط إليهم من السماء ، وكانت الصغائر لا تكف عن التدفق إثلاثه ، وهو يظهر أنها تأتي بمالها من مكان مجهول ممتلئ باستمرار . وعندما خرج مع أبيه في اليوم التالي إلى العمل كان يشعر بسعادة صبيانية لا حدّ لها ، فقد تخلّص على الأقل من رتابة المدرسة ، وصرامة الأساتذة ، وتعب الوظائف والدروس والاستذكار ، وها هو حر كأبيه ، لا سلطان لأحد عليه ، وهو يستطيع أن ينظر إلى الأولاد الذين هم في سنه نظرة تعالٍ وازدراء . . . ومضى عليه حين من الدهر قبل أن يعرف الأمور على وجهها . وكان هذا يوم صحا ذات يوم على ولولة وصراخ تسودان المنزل ، ثم أتى ناس فحملوا أباه في نعش إلى مكان مجهول . خيّم على البيت بعدها صمت شامل كئيب لمدة يومين أو ثلاثة ، ثم قالت له والدته في اليوم التالي ، وهي في لباسها الأسود ، ودموعها التي تملأ عينيها المحمرتين :

ـ لقد أصبحت سيد البيت يا ولدي ... لم يعد لنا في الدنيا سواك .. رحم الله أباك .. لقد كان أباً مثالياً ..

ومضى في اليوم التالي يصارع الحياة ، فعرف لأول مرة ساذا تعني الأعباء والعمل ولقمة العيش ؟ وعرف كذلك ماذا تعني الطفولة ؟ ومرت الأيام ، ومائت أمه ، وكبر إخوته فحملوا أعباءهم بأنفسهم ، وخيل إليه أنه سيخلد إلى شيء من الراحة ، ولكنه ما لبث أن تزوج ، وأصبح رب بيت جديد . صارت له امرأة وأولاد ، فاستبدل هماً بهمّ ، وأعباء بأعباء ، وبقيت الطاحونة تدور ، وأيقن أنها لن تتوقف بعد ذلك أبداً .

★ ★ ★

راح يغذ السير وهذه الأفكار كلها تجول في رأسه ، وعندما سأل أحد المارة عن الساعة وعلم أنها جاوزت العاشرة والنصف ؛ عضته ثعابة مرة . أتراهم ناموا بلا طعام ؟ لا . . لا . . لا شك أنهم ينتظرون أوبته ، وهم يعرفون أنه لن يعود بيدين فارغتين . سيهرعون إليه ـ كالعادة ـ فرحين ، يحسّون أنه يحمل معه النهاية لجوعهم وحرمانهم ، وسيتعلقون بثيابه وساقيه صائحين بلهفة لا تحدّ :

ـ لقد جعنا يا بابا .. جعنا كثيراً .. هل أحضرت لنا الطعام ؟ .

فيبتزهم ، وهو يقبلهم واحداً واحداً ، والدموع في عينيه :

ـ أجل يا أولادي الأعزاء .. أجل .. أحضرت الطعام .. بعد دقائق يكون طبق البرغل جاهزاً .

كان يمضي بأقصى سرعة وكأنه يود أن يسابق الريح ، وكانت أصابعه [illegible] الله يخشى أن تفلت منه ، وكانت الصور تتزاحم في خواطره صاخبة عنيفة غزيرة : الأولاد الجائعون المنتظرون ، والمرأة والملتاعة الحائرة التي لا تدري ماذا تصنع ؟ والجوع الذي يكاد يمزق أحشاءه ولكنه لا يوشك أن يشعر به في مثل هذا الموقف الذي يفكر فيه في الآخرين . .

اندفع يعبر الشارع على غير هدى . وفي هذه اللحظة بالذات صمع الناس صيحة عنيفة ، ثم تدافعوا يفسحون الطريق أمام دراجة نارية تنهب الأرض نهباً . طرحت الدراجة الرجل مسافة بعيدة حتى كاد يصدم بالحائط المقابل ، وخيل إلى الناس أنه مقضي عليه لا محالة ، فمضى بعضهم يتبع الجاني الذي فرّ هارباً ، وأقبل نحوه آخرون . ولكن الرجل استجمع قوة سحرية عجيبة لا يُعرف مصدرها فنهض ، ودم غزير ينزف من جبهته وأنفه ووجهه ، وعجب الناس إذ رأوه يمشي في جبروت كالمحموم ، أخرج جيوب سرواله أكثر من مرة ، وفتح كفيه مرات ينظر فيهما كالمجنون . لم يدر أحد ماذا يشغله ؟ خيل إلى الواقفين أن في الرجل مساً ، أو أن الصدمة قد أحدثت فيه خللاً ، وهمّ أحدهم أن يقترب منه ، ولكنه فوجئ به يندفع مسرعاً نحو تلك البقعة التي صدمته الدراجة عندها ، ويجثو على الأرض يفتش بنظراته عن شيء مجهول . لم يدر أحد عمّ كان يبحث ؟ أو يعرف سبب تلك التعاسة المرة التي ارتسمت فجأة على وجهه ، أو مبعث ذلك الأسى الذي راحت تنضح به قسماته .

نهض الرجل من كبوته . كانت الدماء ما تزال تترف من وجهه وأنفه وجبهته ، ناوله أحدهم منديلاً كبيراً أخذه وراح يمسح به دماءه وهو يتمتم بصوت واهن حزين :

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .. اللهم لا اعتراض على حكمك .. ولا معقّب لمشيئتك . .

ثم مضى مكفكف الرأس ، متعثر الخطوات .

الاتهام المجهول

بقلم:
حسني سيد لبيب

عاد لزوجته ويبر يديه لفائف لفافاتها ، وفي عينيه انكسار . يبرتسم الإجهاد على قسمات وجهه . فتحت له أمه ، حيّاها ، وتجاوزها قاصداً الغرفة التي يقيم بها مع زوجته وولديه . أمسكت **سعاد** باللفائف وفضّت أغلفتها ، بينما عيون الولدين تلاحقها في لهفة .

شاركت ولديها فرحتهما باللّعب الجديدة ، وقضى الأمسية مشاركاً الجميع ضحكهم ، كافّاً التصريح بهذا الشيء الطارئ الذي لم يتوقعه .

قابله زميل مصادفة ليهنيء إليه ، وفي عينيه شماتة ــ هكذا أحسّ كمال ــ أن رجال الشرطة جاءوا للقبض عليه ، فلم يجدوه .

ــ **لماذا؟** .

بدا على قسمات وجه زميله الاهتمام ، وقال :

ــ لا أعرف . .

ــ **ربما تعرف ولا تريد التصريح** . .

ــ أبداً والله . لا أعرف السبب .

أطرق هنيهة ، ثم أضاف :

ــ **ربما قضية بسيطة معلّقة** .

ــ ربما .

لولا هذا الرسول ، وكلماته الفاجئة ، لاكتملت له البهجة . ما هي إلا إجازة قصيرة ، ويعود إلى « الكفْر » النائي في أقاصي **الصعيد** . جاهد كي لا يبوح بشيء لزوجته وولديه وأمه . ما هي إلا إجازة قصيرة ، أسبوع فقط ، ثم يعود لتلاميذه طلبة الإعدادي ، وأسئلتهم ، وشقاوتهم .

ــ زوجته أحسّت . . أمه أحسّت . . ولداه أحسّا . .

شيء حزين يلوّن قسمات وجهه بلون قاتم .

صوت أمه يلح :

ــ **على غير عادتك** .

ــ لا شيء .

صوت زوجته يهمس :

ــ **لا بد أن تصارحنا** .

ــ لا شيء .

نظرات ولديه تكاد تنطق بما لم تقله الشفاه البريئة .

صوته الصادر من بئر عميقة . . مبحوحاً ، وواهناً :

ــ أنا مجهد بعض الشيء ، دعوني أنام بمفردي . . ربما أستريح .

استجاب الجميع . أغلق باب الغرفة ، واستلقى على الفراش . حاول إغماض عينيه ، ونسيان كل شيء . . لكنه بعد لحظات حدّق في السقف ، فأحسّ به يكاد يطبق عليه . . لا مفر . . إنه محاصر . رجال الشرطة ينتظرونه هناك ، في الكفْر النائي . سيطبقون عليه في شبه دائرة ، ويقتادونه إلى المركز ، حيث ضابط الشرطة **مدحت** . إنه شاب وسيم ، مغاربي مثله . الاثنان وافدان من القاهرة . أحياناً يلتقيان في القطار ، وقت الذهاب أو العودة .

حاول التخفيف من حدّة الألم . قد يكون استدعاءً شكلياً لأخذ أقوال في قضية صغيرة . المدرسة مكتظة بنوعيات مختلفة من المدرسين والموظفين والسعاة ، وأيضاً التلاميذ . لا بد أن واحداً من هؤلاء قد تمّ القبض عليه ، ويحاول **مدحت** الضابط الشاب استكمال التحقيق مع المحيطين بالمتهم . وربما استدعاه بحكم معرفتهما السابقة . إنه يذكر لمدحت حديثه الدائم المتكرر عن استكمال جوانب التحقيق . كلما زاد عدد المستجوبين ، زادت فرص الوصول إلى أكبر درجة من الصحة حول القضية موضوع البحث .

لكن الزميل الشامت قال بالحرف الواحد :

ــ **رجال الشرطة أتوا المدرسة للقبض عليك** .

ــ القبض عليّ ؟ .

ــ **لا أعرف السبب** .

ــ . . .

ــ **قلنا لهم إنك ستعود بعد أيام قليلة** .

ــ شيء غريب .

ــ **هذا ما قاله الناظر** .

زميله لم يجامل . ألقى بالكلمات دون تنميق . الكلمات قاسية . الكلمات صريحة وواضحة . رجال الشرطة أتوا المدرسة للقبض عليه شخصياً . . طلبوه بالاسم . . **كمال فتحي معوض** . . لا بد أن الناظر قد تأكد من صحة الاسم ، كعادته في تحرّي الدقة . ما حدث كان أمام الناظر .

بدلاً من التشكيك يا كمال ، صارح نفسك . . فم القبض عليك ؟ . لا داعي للتفاؤل . . الموقف حرج . . الاستدعاء للإدلاء بشهادة ، أو أخذ أقوال ، شيء يختلف عن القبض عليك . الأمر جدٌّ خطير ، ولا يحتمل



أية مقولات أخرى .

أية جريمة أنت متهم فيها ؟ .

تذكّر يا كمال . . تذكّر جيداً . .

ربما بسبب الجميلة التي صادفتها ذات مرة . فتاة يجري في وجهها ماء الجمال . اسمها **فاتن** . صعيدية بنت صعيدي . عيناها تشعّان الأمل . شفتاها مكتنزتان مضمومتان . . صمتها رائع ، وهمسها داقّ . كان عائداً إلى مسكنه ، حاملاً كراريس التلاميذ . . نادت عليه :

ـ **يا أستاذ** . .

التفت وراءه ، فألفى صاحبة الصوت تنحني لتلتقط كراسة وقعت منه .

ـ شكراً . .

ـ **خذ بالك يا أستاذ** . .

ابتسم . رنا إلى وجهها الصبيح . تسمّر في مكانه . وكأنها أدركت إعجابه ، فأسكرتها نشوة ، وارتاحت لنظراته . سأل :

ـ **ما اسمك ؟** .

ـ فاتن .

ـ **اسم جميل** . .

ـ

لفّهما صمت . قالت :

ـ **أأنت مدرّس في المدرسة الإعدادية ؟** .

ـ نعم . .

ولم تعقب . وسارت في طريقها .

ربما أحد أقاربها ، راقب ذلك من بعيد ، وشاء أن يتّهمه . . إذا صحّ توقّعه ، فستكون فضيحة . ليست هناك جريمة في أن تحادث فتاة أو تعجب بها ، لكن العقلية المترنّحة لها تفكيرها العجيب . آه لو عرفت زوجته ! . بماذا يدافع عن نفسه ؟ . لن تصدّق أن ما حدث مجرد كلمات عابرة . ستصدق كل الاتهامات الموجهة إليه ، وقد تضيف عليها اتهامات أخرى من جانبها .

ثم شاء أن يستبعد حدوث كل هذا ، ذلك أن أهل الصعيد فيما يعرف من طباعهم ، لا يجيدون الالتجاء للشرطة أو الحكومة . . الرضاعة أفضل وأرخص ، وخاصة فيما يمسّ العرض .

انزعج لما وصل إليه . .

وما دامت القضية بين يدي الشرطة ، فلن تكون بسبب تافه .

أية جريمة أنت متّهم فيها ؟ .

تذكّر يا كمال . . تذكّر جيداً . .

إذن فالقضية تتعلّق **برجالي** ، التلميذ البليد المهمل . دائماً لا يستجيب . . نصحه كثيراً . . آخر مرة أسمعه كلمات تأنيب . لا بد أن الولد قال لأبيه . وربما لُفّقت له تهمة لينقل من الكفر بسبب رجالي . أبوه ذو سطوة ومكانة ، بحكم عضويته بالمجلس المحلي .

أشعل سيجارة ، وأخذ منها أنفاساً متلاحقة تنمّ عن التوتر والضيق . تناول الجريدة . اهتمّ بصفحة الحوادث . طالع العناوين :

« موظف بفندق يبيع المخدرات للنزلاء . . » .

« اكتشاف طبيب مزيف بأحد المستشفيات . . » .

« القبض على نشال السلاسل الذهبية . . » .

عالم الجريمة والقضايا ، هو الجانب المظلم من حياتنا . آه لو أن العدل يسود . لو أن الحق ينتصر . لو أن الأمن يستتب . لو أن السلام . الحب . لو أن . . لو . . لو . .

منذ أدرك الحياة صبياً ، فشاباً ، فرجلاً . . لم يعرف الحرام أو الظلم ، ولم يعرف الطريق إلى المحكمة أو المحامي أو السجن أو الشرطة . هل يصير خبراً في صفحة الحوادث ؟ . ماذا فعل ؟ . ما جريمته ؟ . آه يا كمال . تحدث للسؤال المحير . .

أية جريمة أنت متّهم فيها ؟ .

تذكّر يا كمال . . تذكّر جيداً . .

ربما القضية تتعلّق **بميرفت** ، الفتاة التي كانت خطيبتك . دامت الخطوبة عاماً كاملاً . لكنك أنهيت كل شيء دون سبب واضح . أسأت فهم الأمور ، وأسأت التقدير ، وهدمت كل شيء . ولما شئت الرجوع ، أوصدت دونك الأبواب ، وأحكم رتاجها . فكان الندم . وكانت الحسرة .

التفتَ بها صدفة ، وشئت إحياء الذكريات ، فأطلقتْ باب الحديث ، وطلبتْ رسائلها والصور ، ثم مضتْ رافعة الرأس ، شامخة

الأنف . ما كان قد كان . فلماذا لم تُعد الرسائل والصور؟ . ما سرّ احتفاظك بها؟ . ربما التجأ أهلها للقضاء . أليست الرسائل من حقّك؟ . والصور أيضاً؟ . لا . لا . يا كمال . ما زالت الفرصة سانحة . لا بد أن ترد ما طلبت . أنتَ تحتفظ بذكرياتك في صندوق حديدي محكم الغلق ، وموضوع في دولاب أمك . . لم تقربه يد . .

تحسّس الطريق المؤدي للغرفة التي تنام فيها أمه وزوجته وولديْه . حرص على ألا يشعر به أحد . وفتح الدولاب ، ثم الصندوق الحديدي ، وأخرج اللفافة التي تحوي بداخلها رسائل مبرقة وصورها معه . وحين هَمَّ بالرجوع ، أتاه صوت أمه الخفيض :

ـ **عمَّ تبحث؟** .

ـ لا شيء . .

ـ **حاجياتك بداخل الصندوق لم تمسّها يد** .

ـ صه . . حتى لا يقلق الولدان ، فتقلق جميعاً .

وصمتت أمه .

وحمد الله على أن زوجته ما زالت تغط في سباتٍ عميق .

عاد إلى غرفته . فضّ اللفافة ورنا إلى الصور ، بما تبثّه في صدره من ذكريات مضت ولن تعود . استغرقته الرسائل . قرأها كلمة كلمة . تحكي السطور آمالاً وأحلاماً تقوّضت . . . وكأنها كلمات منقوشة على الماء . هو الذي هدم كل شيء . هو المذنب . آوّاه يا نفس ! . ماذا يفعل؟ . لا بد أن يزيح عن كاهله هذا العبء النفسي . لا بد أن يسرّ اللفافة لصاحبتها . لا بد أن يصارح زوجته بكل شيء ، وليكن ما يكون .

أيّة جريمة أنتَ متّهم فيها؟ .

تذكّر يا كمال . . تذكّر جيداً . .

آه لو يعرف على وجه اليقين سرّ القبض عليه ! . سيستريح من زوابع القلق التي هبّت عليه بكل عنفوانها ، وأصابت مكامن الألم في نفسه .

وفي الصباح . . . أنته الجريدة . قرأ العناوين المكتوبة بحروف سوداء . أذهلته براكين الدم التي انتشرت في بقاع العالم . الدول القوية بمنأى عن منطقة البراكين . الدول القوية قد تحتج . قد تؤيد . قد تندّد . قد تساعد . قد . . . لكنها تحيا بمعزل عن البراكين .

البراكين يتفاوت زمن انفجارها .

العالم يشهد حمامات دم . يسفك الإنسان دم أخيه الإنسان . الدول المقهورة هي وقود الحرب الخفيّة التي يقودها الأقوياء الأشدّاء . الحرب لعبة قذرة يحترفها الكبار ، ويُقتل فيها الصغار . منطق الأقوى يسود ، منطق الأقوى يسود .

وما جرائمه؟! . . ليست سوى صغائر أضرّت به . لم يسفك دماً . العالم القوي يرفع راية الظلم في وجه العالم الضعيف .

وفي الظل . . تنعقد المحاكم لمحاسبة جائع اختلس رغيف عيش . قذف بالجريدة بعيداً . ونهض غاضباً ، ثائراً ، محتدّاً . .

تناول إفطاره مع زوجته . ثم صارحها باقترافه ذنباً ، ذات ليلة من ليالي الماضي البعيد . وعجبت مما قال . فاجأته بابتسامة واسعة :

ـ أتظن أنني لا أعرف؟ . أعرف أن شيئاً كهذا لا بد أن تمرّ به . مجرّبًا أكثر ، وحكى لها سرّ اللفافة التي يحتفظ بها . .

ـ **أعرف أنك خطبتَ قبلي ولم توفق** . .

ـ من قال لكِ هذا؟ .

ـ **أنتَ الذي قلت** .

ـ متى؟ .

ـ **لا أذكر** .

أضافت :

ـ **مرة واحدة قلتَ لي ذلك . ثم لم تعُد القول** .

ارتاح . انزاح عبءٌ ثقيل من على صدره . قال بعد طول صمت :

ـ **أريد أن أرد اللفافة لصاحبتها . ما رأيك؟** .

ـ هذا شأنك . زُدْها أو احتفظ بها ، هذا شأنك .

رنّ جرس الهاتف . وكان المتحدث زميله :

ـ عذراً لما قلت بالأمس . فقد قرأتُ في جريدة اليوم أنه تم القبض على المجرم .

ـ أي مجرم؟ .

ـ تبيّن أن هناك مجرماً خطيراً اسمه كمال فتحي معوض . . نفس الاسم . . ويبدو أن إشارة بُلّغت لكل أقسام ومراكز الشرطة ، للبحث عن المجرم الخطير ، الذي يتنكر في شخصيات مختلفة .

ـ **أين قرأتَ هذا؟** .

ـ في الجريدة اليوم .

ـ **لم أصادف الخبر** .

ـ إنه في صفحة الحوادث .

ـ **أوه . . شغلتني قضايا الشعوب وحمامات الدم ، عن أخبار الحوادث . وجدت أن القضية الأهم والأخطر ، هي منع حمامات الدم** .

ـ أعتذر عما قلته لك . قد اتصلت هاتفياً بضابط الشرطة للتأكد من زوال السبب .

ـ **شكراً يا زميلي العزيز** .

وابتسم . . ابتسم طويلاً . . ولم يصدّق ما سمع ، كأن ما حدث كان حلماً مفزعاً وتلاشى مع ضوء النهار . أمسك بالجريدة في رفق وبحث عن صفحة الحوادث .

قرأ تفاصيل عن المجرم الخطير الذي حيّر أجهزة الأمن . . والذي يُدعى «كمال فتحي معوض» .

أقترب منه زوجته لتقرأ معه تفاصيل الخبر الصغير .



بقلم:
حسن حسن سليمان

في زهو ودلال مضت ترتب ملابسها وملابس زوجها وأولادها في الحقيبة ، قلبها يكاد يطير من شدة الفرح ، تجول ببصرها في دولابها من أعلى إلى أسفل ، ومن اليمين إلى اليسار ، في انفعال ظاهر ، ماذا ينبغي أن تأخذ معها وماذا ينبغي أن تدع ؟! كانت يداها تعملان وتتحركان في آلية كأنها لم تكن تعي ما تفعل ، عيناها مفتحتان ولكنها تنظر بهما إلى بعيد ، إلى ما لا نهاية ، إلى أبعد من حدود الزمان والمكان . من شرفة حاضرها كانت تُطل على آفاق مستقبلها الرحب : أنغام والحان تتدفق مشاعرها ، وأجواء من العبير والشذى تملأ نفسها نشوة لذيذة تسري في جسدها . إنها تتنفس اليوم ــ ولأول مرة ــ بملء رئتيها وتعبُّ أنسام السعادة عبًّا وتملأ بها صدرها . ما أجمل أن يشعر الإنسان بالسعادة ! وما أروع أن يمتلئ قلبه بالبهجة ، وأن تغرق نفسه في خضم النشوة ! .

عشر سنوات عجاف مرت وهي تحلم بهذا اليوم وتنتظر هذه الساعة . كثيرات مثلها يحلمن ويحلّقن بأحلامهن بعيداً في الفضاء على أجنحة الخيال . أليس الشباب سنّ الأحلام الوردية والآمال الخضراء ؟! فيه يتفتح القلب على جمال الدنيا وبهجتها ، وفيه تستشرف النفس آفاق الحياة وتتفجر فيها ينابيع الحبة المعطاء فتهيم بحثاً عن المستقبل الآمن والغد المأمول . كل هذا وغيره صحيح ، إلا « **سعاد** » فلم يُتح لها أن تشهد ميلاد حلمها الوردي وأن تلتقي بأملها الأخضر ، ولم يكن قلبها قد تفتّح على جمال الدنيا وسحرها .

كانت وردة مغمضة قُطفت في أكمامها ، قبل أن تلفحها حرارة الشمس وتغذيها حبات الندى ويرطبها نسيم الصباح . كانت لمرة أنضجوها قبل أوانها . لم تكن قد جاوزت في مدرسة الحياة إلا فترة الطفولة . وما أن أشرقت في دنياها شمس الربيع ، ووطئت قدماها الصغيرتان بساطه الموشى بآمال الصبا وأحلام الشباب ، وقبل أن تدفئها شمسه الحانية ويملأ صدرها نسيمه العليل ، انتزعوها فجأة ، وما زال في أسماعها مطلع أغنية لم تتم ، وبداية لحن لم يكتمل ، وفي خيالها طيف حلم لم يكد يتجسّد ، فقد صَحتْ منه على دنيا صاخبة تختلط فيها الأصوات وتمتزج **الزغاريد ودقات الطبول** ، وقبل أن تفيق من ذهولها أفهموها أنها قد **أصبحت « عروساً »** واستحقها الطرب حتى كادت تطير فرحاً ، فكل هذا الحشد من الناس ، وهذه الألوان من الزينات من أجلها إذن ! ما أكبر سعادتها اليوم وما أعظم بهجتها ! من اليوم يمكنها أن تلبس أجمل الثياب وأن تتزين كما تشاء ، وسيكون لها الحق الحلي وشتى أصناف العطور ، وسيغمرها زوجها بأنفس الهدايا ، وسيطوف بها في أرجاء الدنيا ، سيكون لها بيت تسرح فيه وتمرح ، وتأمر فيه وتنهي ، تفعل ما تريد وتترك ما لا تريد .

ومرة أخرى لم يُتح لها أن تحلم ، فقد أنزلها زوجها من عليائها إلى الأرض ، وما زال في أسماعها مطلع أغنية لم تتم ، وبداية لحن لم يكتمل ، وطيف حلم في خيالها لم يكد يتجسّد . فقد الليلة الأولى حتى لها مهام وظيفتها الجديدة ، ورسم لها أبعاد الدور الذي أسند إليها .

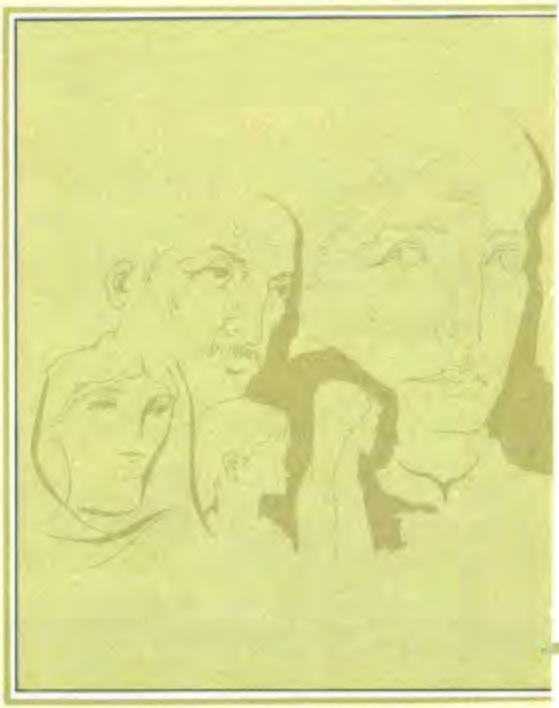
لم يكن زوجها يكبرها كثيراً ، ولكنه كان أكثر منها نُضجاً وأعمق منها تجربة . وكان مثلها ! انتقل من دور الطفولة إلى طور الرجولة ، قبل أن يولد في خياله حلم ، أو تنبت في نفسه أمنية ، أو تستبدّ بقلبه رغبة . فتح عينيه على شبح الفقر يكاد يفتك به وبأسرته ، كانت وطأته عليهم ثقيلة لا تقوى أجسامهم الهزيلة على حملها ، وقد تركت بصماته واضحة جلية على وجوههم الشاحبة وفي عيونهم الغائرة . لم يكن في ليلهم بارقة أمل تبشر بقرب بزوغ الفجر وانحسار الظلام ، فليس لهم مورد رزق يعتمدون عليه : الأب لا يقوى على العمل ، والأولاد لا يكادون يجنون شيئاً .

كان لا بُدّ من تضحية ، ولم يكن أمامه مفرّ من أن يضطلع بأعباء هذه التضحية ، هو وحده دون سواه من بين إخوته ، فهو أكبرهم سناً ، وأشدهم شعوراً بمرارة الحنة التي يعيشونها وفداحة الخطر الذي يتهددهم ، وأكثرهم إدراكاً لما ينتظرهم من سوء المصير إذا لم يهيىء الله لهم فَرَجاً ولم يجعل لهم من ضيقهم مخرجاً .

كان عقله أكبر كثيراً من سنّه ، وكان قلبه أكثر سعةً من عقله ، لم يكن في خياله إلا شبح الجوع يجثم عليهم ويسحقهم بسطه ، ولم يكن في قلبه إلا فيض من الألم يمزق أحشاءه كلما شاهد أبويه وإخوته بوجوههم الشاحبة وأجسامهم الهزيلة وأيديهم المعروقة وأفواههم الفارغة القاحلة كأنها تصرخ به وتستثير همته وتؤجج عزيمته ليعمل شيئاً من أجلهم ، فهام على وجهه يضرب في الأرض يلتمس الرزق له ولهم تتقاذفه البلدان ، حتى استقر به المطاف أخيراً في عمل يدرّ عليه دخلاً يسد به جوعهم ويستر به عريهم .

وبدأت البطون تعرف معنى الشبع ، وعرفت الأجساد معنى الدفء ، وغمرت القلوب النفوس شعورٌ بالراحة والطمأنينة والاستقرار ، ووجدت الابتسامة المشرقة طريقها إلى الشفاه التي هجرتها طويلاً ، وأخذت الوجوه

الوافدة



الشاحبة تطفح بالبشر وتترقرق فيها دماء الصحة والعافية ، وسرى في العروق الذاوية ماء الحياة ، فالتمعت العيون ببريق الأمل والسعادة .

وشعر بأنه قد عبر بأسرته إلى بَرّ الأمان ، واجتاز بها مرحلة الخطر . وأصبح من حقه بعد ذلك أن يستريح ليلتفت إلى نفسه ويفكر في أمره ، بعد سنوات لم يدّخر فيها جهداً ولم تفتر له فيها عزيمة .

وكانت سعادته في يوم زواجه غامرة . وضاعف من إحساسه بالسعادة شعوره بأنه قد وُفق في اختيار شريكة حياته ، فسعاد فتاة جميلة رائعة ، وهي ابنة حلاله ، وهي مع ذلك جديرة بأن تشاطرهُ أعباء الحياة ، وتقاسمه حلوها ومُرّها ، وقادرة على أن تملأ حياته بالبهجة والمسرات . وكانت نظراته إليها تغمر قلبه بالرضا ، وتُنعم نفسه بالأمل .

ومنذ الليلة الأولى فتح لها قلبه ، وبسط بين يديها كل مكنونات نفسه ، تكلم كثيراً ، وأصغت إليه طويلاً كأنها تلميذة صغيرة أمام أستاذها الكبير . وغنت الدرس جيداً ، وعرفت أبعاد الدور الذي أسند إليها . ورضيت أن تكون في بيتها الجديد مجرد فرد وافد ينضم إلى الأسرة دون أن يكون لها فيها أية امتيازات معيّنة أو تتمتع بوضع خاص يميزها عن باقي أفرادها . ولم تجد غضاضة في أن تعتبر والدته والدتها ، أليست خالتها وفي منزلة أمها ؟! ووطنت نفسها على أن يكون منذ اليوم إخوانه إخوانها وأخواته أخواتها . وتنازلت له عن طيب خاطر عن جميع حقوقها الاجتماعية المترتبة على كونها زوجة وربة بيت . لقد وهبته حياتها كلها ، وصممت على أن تكون وإياه جسدين يعيشان بروح واحدة ، وينبضان بقلب واحد .

كان في قرارة نفسه يعترف بأن ما فعله هو الخطأ بعينه . فليس من حقه أن يجرّدها من شخصيتها ، أن يسحق أحلامها ويقتل مشاعرها ، فليس من فتاة تتزوج إلا وتتطلع إلى زوج ليس له من شاغل إلا إسعادها وليس لها من شاغل إلا إسعاده ، وتحلم ببيت يكون مملكتها الصغيرة ، وتكون صاحبة الكلمة الأولى في تدبير شؤونه فتضفي من روحها على كل مظاهر الحياة فيه . أما أن تُغلّ يداها عن ممارسة أبسط حقوقها فيه إلا أن تؤمر فتطيع ، وأن تكبت مشاعرها في صدرها فيحظر عليها أن تبوح بشيء منها علناً كأنها شيء محرّم يجافي الذوق ويناقي الأدب ، وأن تُواد أمنياتها في قلبها فلا يُتاح لأيٍ منها أن ترى النور ، كل هذا خطأ محض ، وهو ضد طبيعة المرأة ويطعن أنوثتها في الصميم .

إنه يدرك هذا جيداً ، ولكنه الخطأ الذي لا بد منه ، فليس أشق على الإنسان من أن يجد نفسه مرغماً على فعل شيء يخالف طبيعته ، وهو مثل كل الشباب يحلم ببيت يجد فيه راحته ويمارس فيه حياته بحرية ، ويتطلع إلى زوجة تملأ عليه كل لحظة من حياته ، وتشاركه كل خلجة في نفسه ، وكل نبضة في قلبه . وإن أشد ما يحزنه أن تكون أحلامه أكبر كثيراً من قدراته ، ويُثقل كاهله أن أشياء كثيرة يريدها ولكنه عاجز عن تحقيق شيء منها ، فهو مادياً لا يستطيع أن يتسلّل بحياته الخاصة في بيت يجد فيه نفسه ويحقق في جوّه ذاته ، فما زالت نفقات أسرته الكثيرة ومتطلباتها المتعددة تفوق راتبه الضئيل ولا تترك له فرصة لكي يتنفس بحرية ، بل وتُحمّله عبء ديون ليست قليلة يترك أمر سدادها للأيام والظروف .

ومضت الحياة في البيت رتيبة في صمت ، دون أن تُحدث فيه مجيء الوافدة الجديدة أي تغيير يُذكر ، فقد اندمجت في حياة الأسرة ، وذابت شخصيتها في تيارها . ولولا ما علق في ذاكرة الناس من أنه كان في البيت ذات يوم حفلة عرس لما شعر أحد أن هناك شاباً فيه قد تزوج . فقد أثقلت « سعاد » دورها تماماً ، لأن زوجها الخرج البارع قد عرف كيف يدربها عليه جيداً ، حتى أصبحت تقوم به بوحي من طبيعتها ، بعد أن

ألفتْه ، ولم تجد صعوبة في أدائه ، ولم يجد زوجها مشقة في تدريبها عليه ، فقد كانت نفسها الغريرة البكر كالصفحة البيضاء تتقبّل كل ما ينطبع عليها بسهولة .

وإذا كانت « سعاد » ـ جهلها بأمور الحياة وقلة خبراتها فيها بسبب حداثة سنّها ـ راضية عن أسلوب حياتها الجديدة ، والذي لم يكن إلا استمراراً لأسلوب حياتها في بيت أبيها ، لأنها لم يُتح لها أن تتعرف على أسلوب من الحياة أفضل ، فإن « **حسني** » لم يكن راضياً عن ذلك ، كانت تتصرف تحت مفعول الخدر الذي أحدثته كلياته المستمرة وتوجيهاته المتلاحقة في نفسها وقلبها ومشاعرها . أما نفسه وقلبه ومشاعره فقد كانت في تمام تحفزها وفي عنفوان يقظتها وفي أوج نأججها ، ولكنها حبيسة ظروفه المالية التي تخنقها وتكبلها ، ولا تترك لها منفذاً تنطلق منه في مسارها الصحيح .

ومع الأيام وجد نفسه لا يملك من أمر حياته الخاصة شيئاً ، ولا يُتاح له أن يشارك في شأن من شؤونها برأي ، إلا برأي خاضع لمناقشة الأسرة التي تملك وحدها الحق في قبوله أو رفضه . وكثيراً ما كان رأيه يقابل بالرفض والاستنكار أحياناً إذا اشتمّت الأسرة فيه أدنى رائحة ترى فيها محاولة للخروج عن خط سيرها العام . كانت ترى أن « حسني » ملكها ، ومن ثم فقد دخلت دقائق حياته الخاصة في ملكيتها أيضاً ، فليس له أن يستأثر دونها بشيء أو أن يخص زوجته بشيء . ووجد أن القيود التي فرضها على نفسه طائعاً مختاراً والتي أملتْها عليه الظروف قد أصبحت قاعدة عتيدة ثابتة لا يستطيع مخالفتها ، وأصبح لها من القوة والسلطان عليه ما لو حاول الخروج عليها أو التحرر منها لاعتبرت الأسرة ذلك منه عقوقاً وخروجاً على إرادتها .

ولم يكن شيء أبغض إلى نفسه من أن يجد يوماً أن مشاعره وعواطفه نحو أسرته موضع اتهام أو مثار شك . ولذلك لم يبذل أي محاولة من شأنها أن تضع عواطفه ومشاعره تلك في إطار الشك والاتهام البغيض ، فرضي بما يرضونه له ، وقنع بما يجودون عليه به أحياناً من فتات حق تنازل هم عنه طواعية ذات يوم . وكان طبيعياً عنده أن تتدخل الأسرة في أخص شؤونه وأتفهها على السواء . وما الغربة في ذلك ما دام يعيش حياة لا يملكها ، وما دامت الأسرة ترى أن ممارسته لأبسط حقوقه ومسؤولياته كرب أسرة إنما هي أنانية لا تقبلها منه .

وتعاقبت سنوات لم تكن « سعاد » تستأثر فيها بشيء من حبه وعطفه وبرّه إلا ما يناله من ذلك في إطار علاقته بالأسرة كلها . أمّا أن يخصها بشيء من ذلك علانية فهو الذنب الذي ما بعده ذنب . حتى زيارتها لأهلها لم يكن لها أن تقوم بها إلا إذا حظيت بموافقة الأسرة على ذلك بعد جهد . وكثيراً ما كان قرار الأسرة ضد مشروعية هذه الزيارة ، حتى في أكثر المناسبات إلحاحاً ، فقد كانت تحتفظ لنفسها بحق النقض الطلق الذي يحسم الموقف ، وكانت تتخذ قراراتها من منطق غريب ينطلق من أن للفتاة على ذويها كل حق وليس لهم عليها أي شيء من ذلك . ولم تجد أمامها إلا أن تذعن لهذا المنطق الغريب لأنها لم تكن تريد أن تثير مشاكل قد تجر عليها وعلى زوجها متاعب هما في غنى عنها .

وها هي اليوم ، ولأول مرة ، وبعد عشر سنوات تُعدّ حقيبتها ، وتتهيأ لزيارة ذويها دون أن يُعرض موضوع الزيارة على بساط البحث ، ودون أن تستخدم الأسرة ضده حق النقض . فقد تغير الحال كثيراً وتبدّل عن ذي قبل . وقد أتيح « **لحسني** » أن يسترد حقوقه التي ظالما تنازل عنها ، واستطاع أن يسترجع حريته في ممارسة شؤون حياته الخاصة دون تدخّل من أحد ، بعد أن تراخت قبضة الأسرة عليه ، وتلاشت رقابتها الصارمة على تصرفاته وشؤونه الذاتية ، ولم يعدْ في إمكانها أن تمسك بخيطين معاً بيد واحدة ، كان ذلك بعد أن تزوج أخوه « **سامي** » في ظروف مالية أفضل بكثير جداً من الظروف التي تزوج فيها هو .

ولم يسلك أخوه « سامي » مسلكه ؛ فقد استقل بحياته وأموره الخاصة ، ولم يترك لأحد فرصة للتدخل في شيء من ذلك ، منذ اليوم الأول بعد الزواج . وكانت الظروف مواتية له كي يفعل ذلك ، فهو ليس عائل الأسرة الوحيد ، ولم يكن استقرارها ورخاؤها مرتبطين بمدى ارتباطه بها وبمقدار سيره في عجلتها . فإذا وجد « سامي » فرصته اليوم سانحة ليعيش حياته كما يحب ويختار فإن هذه الفرصة لم تكن سانحة لأخيه من قبل . لقد كان آنذاك أمل الأسرة وعمادها ورجاءها ، ولم يشأ أن يقتل في النفوس أملاً تتعلق به ، أو يخيّب لها رجاء تطلّعت به إليه . وكل ما لاقاه من متاعب ومشاكل وآلام في سبيل ذلك يهون ما دام الله تعالى قد وفقه لكي يعبر بأسرته إلى برّ الأمان ، ولا يبالي بعد ذلك أن يكون الشمعة التي احترقت لتُنير لها الطريق .

وانطلقت السيارة « سعاد » وزوجها وأولادها في طريقهم لزيارة ذويها . وعلى فمها ابتسامة تحمل أكثر من معنى ، وفي عينيها نظرة تُشير إلى أكثر من دلالة .

من كتب التراث



إحصاء العلوم

لأبي نصر الفارابي

كتب أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي أول موسوعة للعلوم في اللغة العربية ، أسماها «إحصاء العلوم» في النصف الأول من القرن الرابع الهجري .. فذاع الكتاب لدى العلماء والمؤلفين في العالم الإسلامي ، وأصبح نواة قيمة لغيره من الموسوعات العلمية العربية .

بقلم :
عادل محمد النشار

يقول الفارابي في مقدمة كتابه هذا موضحاً قصده : «قصدنا في هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علماً علماً ، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها ، وأجزاء كل ما له منها من أجزاء ، وجمل ما في كل واحد من أجزائه .. وينتفع بما في هذا الكتاب الإنسان إذا أراد أن يتعلم علماً من هذه العلوم وينظر فيه ، علم على ماذا يقدم ، وفي ماذا ينظر ، وأي شيء سيفيد نظره ، وما غناء ذلك ، وأي فضيلة تنال به ليكون إقدامه على ما يقدم عليه من العلوم على معرفة وبصيرة لا على عمى وغرر . وبهذا الكتاب يقدر الإنسان على أن يقايس بين العلوم ، فيعلم أيها أفضل ، وأيها أنفع ، وأيها أتقن ... وينتفع به أيضاً في تكشيف من ادعى البصر بعلم من هذه العلوم ، ولم يكن كذلك : فإنه إذا طولب بالإخبار عن جملة ما فيه ، وبإحصاء أجزائه ، ومجمل ما في كل جزء منه ، فلم يضطلع به ، تبين كذب دعواه وتكشف تمويهه . وبه يتبين أيضاً فيمن يحسن علماً منها ، هل يحسن جميعه أو بعض أجزائه ، وكم مقدار ما يحسنه . وينتفع به المتأدب المتفنن الذي قصده أن يشتمل على جمل ما في كل علم ، ومن أحب أن يتشبه بأهل العلم ، ليُظن به أنه منهم» .

أي إن الغرض من تأليف هذا الكتاب الفهم ، إنما هو إجمال موجز لإعطاء القارئ فكرة واضحة عامة عن موضوع كل علم ، ومنفعته النظرية والعملية .. وبهذا **جاء الكتاب مختصراً لعلوم زمانه في وقت بلغت فيه العلوم الإسلامية أوج قوتها ومجدها ، فكان الكتاب أشبه بموسوعة أو «دائرة معارف» للعلوم الإسلامية .**

فصول الكتاب

يقسم الفارابي «إحصاء العلوم» إلى خمسة فصول :

● **الفصل الأول في علم اللسان وفروعه** : من اللغة ، والنحو ، والصرف ، والشعر ، والكتابة ، والقراءة . وقد بحث الفارابي في مقدمة هذا الفصل بحثاً عاماً في معنى «القانون» و«القاعدة» الكلية . ثم بحث في الأجزاء السبعة الكبرى التي يتألف منها «علم اللسان» عند جميع الشعوب ... وهي :

علم الألفاظ المفردة ، علم الألفاظ المركبة ، علم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة ، علم قوانين الألفاظ عندما تكون مركبة ، قوانين تصحيح الكتابة ، قوانين تصحيح القراءة ، قوانين تصحيح الأشعار .

وقد تكلم الفارابي في هذا البحث عن قواعد اللغة ـ أي لغة ـ على العموم ، لا قواعد لغة بعينها ، وإن كانت الأمثلة التي أوردها كانت من اللغة العربية .

● **الفصل الثاني في علم المنطق** : وهو أمتع فصول الكتاب .. وقد نقله **ابن طملوس** ـ تلميذ **ابن رشد** ـ في مقدمة



★ ابن رشد ★



★ أرسطو ★

كتابه «**المدخل لصناعة المنطق**» قائلاً: «ولما رأيت كلاماً غير هذا الذي أسوقه كاملاً، بالغاً في وصف هذه الصناعة، جئت به على وجهه من غير زيادة ولا نقصان».

وكذلك نقل **ابن أبي أصيبعة** قسماً من هذا الفصل، قدم له في كتابه «**عيون الأنباء**» بعبارة: «قال أبو نصر الفارابي...».

وقد بين الفارابي في هذا الفصل وجه الحاجة إلى المنطق ومنفعته وضرورته لمن أقدم على الدراسات العلمية.. وأوضح موضوع المنطق وهو: «الصناعة التي تستفيد منها قوة نقف بها على ما هو حق بيقين، وما هو باطل بيقين». ثم ذكر وجه الشبه والخلاف بين المنطق والنحو، والقضايا المختلفة التي يستعملها المنطق: البرهانية، والجدلية، والسفسطائية، والخطابية، والشعرية. وأشار إلى مختلف أبواب المنطق، في علاقاتها بهذه القضايا، وفقاً لقانون **أرسطو**، وهي: «المقولات» (**قاطيغورياس**)، و«العبارة» (**باري أرمينياس**)، و«القياس» (**أنولوطيقا الأولى**)، و«البرهان» (**أنولوطيقا الثانية**)، و«المواضع الجدلية» (**طوبيقا**)، و«الحكمة المموهة» (**سفسطيقا**)، و«الخطابة» (**ريطوريقا**)، و«الشعر» (**بويطيقا**)، وتلك هي المواد التي يحتوي عليها هذا العلم الذي هو ألزم العلوم التمهيدية التي تسبق التعليم وأهمها.

الفصل الثالث في «علم التعاليم» أي الرياضيات، وينقسم إلى سبعة أجزاء عظمى: «علم العدد»، و«علم الهندسة»، و«علم المناظر» (أي علم البصريات)، و«علم النجوم التعليمي» (أي علم الفلك) الذي يبحث في الأجسام السماوية عن أشكالها ومقادير أجرامها ونسب بعضها إلى بعض، وعن حركاتها بالقياس إلى الأرض وما إلى ذلك، و«علم الموسيقى بأجزائه الكبرى»، و«علم الأثقال» الذي ينظر في الأثقال من حيث يقدر بها وفي الآلات التي تستخدم في رفع الأشياء الثقيلة ونقلها من مكان إلى مكان، و«علم الحيَل» أي الميكانيكا التطبيقية، ويعطي وجوه معرفة التدابير والطرق في التلطف لإيجاد العلوم الرياضية بالصنعة، وإظهارها بالفعل في الأجسام الطبيعية المحسوسة.

● **الفصل الرابع في العلم الإلهي (الميتافيزيقا) والعلم الطبيعي (الفيزيقا)**: أما العلم الإلهي (ما وراء الطبيعة) فيشير الفارابي إلى أنه يتابع أرسطو في كتابه المسمى «الميتافيزيقا» أي ما بعد الطبيعة.

وينقسم العلم الإلهي إلى ثلاثة أجزاء:

★ جزء يفحص عن الموجودات والأشياء التي تعرض لها بما هي موجودات.

★ وجزء يفحص عن مبادئ البراهين في العلوم النظرية الجزئية.

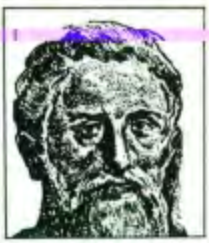
★ وجزء يفحص عن الموجودات التي ليست بأجسام ولا في أجسام، فيبرهن على أنها موجودة، وأنها كثيرة، وأنها متفاضلة في الكمال، ثم يبرهن على أنها «على كثرتها تترقى من عند أنقصها إلى الأكمل فالأكمل، إلى أن تنتهي في آخر ذلك إلى كامل ما، لا يمكن أن يكون شيء هو أكمل منه، ولا يمكن أن يكون شيء هو أصلاً في مثل مرتبة وجوده، ولا نظير له ولا ضد. وإلى أول لا يمكن أن يكون قبله أول، وإلى متقدم لا يمكن أن يكون شيء أقدم منه، وإلى موجود لا يمكن أن يكون استفاد وجوده عن شيء أصلاً... وأنه هو الواحد الأول الذي أفاد كل شيء سواه الوحدة، وأنه الحق الذي أفاد كل ذي حقيقة سواه الحقيقة.

ثم يبين أن هذا الذي هو بهذه الصفة هو الذي ينبغي أن يعتقد فيه أنه هو «**الله**» **عز وجل** وتقدست أسماؤه...».

أما العلم الطبيعي فيبحث في الأجسام الطبيعية أو الصناعية مميزاً بين عللها الغائية والفاعلة وبين موادها وصورها، وفي أعراض الأجسام ومراتب الأجسام الطبيعية (بسيطة أو مركبة). وينقسم العلم الطبيعي إلى ثمانية أجزاء عظمى[1] هي:

- ما تشترك فيه الأجسام الطبيعية كلها.
- الأجسام البسيطة.
- كون الأجسام الطبيعية وفسادها.
- مبادئ الأعراض والانفعالات التي تخص «الأسطمسات» (العناصر).
- الأجسام المركبة من العناصر.
- الأجسام المعدنية.
- النبات.
- الحيوان.

● **الفصل الخامس والأخير في العلم المدني** (علم الأخلاق وعلم السياسة)، وعلم الفقه، و«علم الكلام». ويعترف الفارابي أنه قد تابع هنا آراء «**أفلاطون**» في كتاب


★ أفلاطون ★


★ الخوارزمي ★


★ ابن سينا ★

«**الجمهورية**»، وآراء «**أرسطو**» في كتاب «**السياسة**». والعلم المدني جزءان هما:

★ جزء يشتمل على تعريف السعادة، وعلى إحصاء الأفعال والسير والأخلاق، وتمييز الفاضل منها وغير الفاضل.

★ جزء يشتمل على وجوه ترتيب الشيم والسير الفاضلة في «المدن» والأمم. ويبين الفارابي ضرورة الرياسة المدنية في المجتمع موضحاً الشروط التي ينبغي أن تتوافر في المدن ـ أي في الأمم والدول ـ لكي تدوم فاضلة.

وعلم الفقه هو العلم الذي يقتدر الإنسان به على أن يستنبط تقدير شيء مما لم يصرح واضع الشريعة بتحديده على الأشياء التي صرح فيها بالتحديد والتقدير. ولما كانت كل ملة تحتوي على معتقدات وأعمال، فعلم الفقه جزءان:

١ ـ جزء في الآراء.

٢ ـ وجزء في الأفعال.

ويختم الفارابي كتابه **بعلم الكلام** الذي يعرفه بأنه «ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل».

ومن هذا التعرف نجد أن علم الكلام عند الفارابي هو من جملة العلوم العملية بمعنى أن المقصود منه ليس هو حصول رأي أو اعتقاد يقيني فحسب بل حصول صحة رأي من أجل عمل. ويفرق الفارابي بين الفقيه والمتكلم تفرقة دقيقة: فالفقيه يأخذ الآراء والأفعال التي صرح بها واضع الملة مُسلمة ويجعلها أصولا، فيستنبط منها الأشياء اللازمة عنها. والمتكلم ينصر الأشياء التي يستعملها الفقيه أصولا من غير أن يستنبط عنها أشياء أخرى. وينتهي فيلسوف الإسلام «الفارابي» إلى تحليل بارع يبسط فيه «المتكلمين» ويصور وجهة نظرهم في الدفاع عن الدين.

فقد اشتهر ذكر كتاب «إحصاء العلوم» للفارابي في كل بلاد الإسلام، وأصاب حسن تقدير كبير عند أهل العلم في المشرق والمغرب وامتدحه العارفون وعدوه ضرورياً لجميع المثقفين والراغبين في البحث والاطلاع.

في القرن الحادي عشر الميلادي، تحدث **القاضي صاعد بن أحمد الأندلسي** المتوفي سنة ١٠٧٠م/ ٤٦٣هـ، عن الفارابي ومؤلفاته فأبدى إعجابه بكتاب «إحصاء العلوم» إذ قال: «ثم له (أي للفارابي) بعد هذا كتاب شريف في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها، لم يسبق إليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه، ولا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به وتقديم النظر فيه».

إلى جانب هذا فقد نال الكتاب شهرة واسعة في الغرب، كما نالها في الشرق، وحسبنا لبيان مكانة «إحصاء العلوم» عند علماء الغرب في القرون الوسطى أن نذكر أن هذا الكتاب العربي **ترجم إلى اللغة اللاتينية**، غير مرة، إبان القرن الثاني عشر الميلادي. وأهم هذه الترجمات: **ترجمة «دومينكوس غندسالينوس»** التي نشرها «**كاميراريوس**»، **وترجمة «جيرار دي كريمونا»** وهي ترجمة دقيقة مطابقة أكثر من غيرها للنص العربي للكتاب.

كما أن الكتاب قد **ترجم إلى العبرية** بقلم **كالونيموس** المتوفي سنة ١٣٢٨م، ومن أشهر من استفادوا من هذه الترجمة «**موسى بن عزرا**» المتوفي سنة ١٣٤٠م.

وقد ترك هذا الكتاب القيم بصمات واضحة في الفكر الإسلامي وأصبح نبراساً لغيره من الموسوعات العلمية العربية مثل **كتاب «مفاتيح العلوم» للخوارزمي، وكتاب «الشفاء» لابن سينا** وغيرهما حتى قال بعض المستشرقين: «**وليس شيء مما يوجد في فلسفة وعلم ابن سينا وابن رشد إلا وبذوره موجودة عند الفارابي**» فيلسوف الإسلام.

نحن هنا

مكتبة تهامة

أهم الكتب العلمية والثقافية بالمكتبة :-



يحتوي مكتبة تهامة الجديدة على مختلف الكتب العلمية والثقافية ومنها :-

١ - اصدارات مؤسسة تهامة وتشمل الكتاب العربي السعودي والكتاب الخاص ومطبوعات تهامة الى جانب توزيعات تهامة .
٢ - سلسلة كتاب تهامة للاطفال .. وسلسلة كتاب تهامة للناشئ .
٣ - الكتب الدينية .
٤ - كتب الادب والشعر والقصة .
٥ - كتب التراجم والسير .
٦ - كتب السيرات .
٧ - كتب القانون والسياسة .
٨ - كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات .
٩ - كتب الفنون والرسم الرياضة .
١٠ - كتب الادارة والاقتصاد .
١١ - كتب المحاسبة والهندسة والزراعة والطب .
١٢ - كتب الشؤن المنزلية .
١٣ - مجموعة القواميس وتعليم اللغات .
١٤ - كتب التربية وعلم النفس .
١٥ - الى جانب الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية ومجلات (الاربا) و (المطبخ) .

كما تشمل المكتبة على كتب باللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية بالاضافة الى شكلة جديدة كاملة من الادوات المكتبية والهدايا وجميع مستلزمات الاشياء الفنية ..



قم بزيارتنا

أعلام من المغرب

ا

أكنسوس

أبو عبد الله محمد بن أحمد أكنسوس ، ولد **بسوس** سنة ١٢٩١هـ ، وتلقى علومه **بفاس** ثم وزر **للسلطان العلوي مولاي سليمان** ، كان نابغة في عدة من **العلوم العقلية والنقلية** ، له آثار شعرية ونثرية أهمها تاريخه : (الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي) . توفي بمراكش سنة ١٢٩٤هـ . ومن شعره في الديار المقدسة :

إذا غـــردت في الأيـــك وهنـــاً حـــمامة
تـــذكر نجـــداً والنقـــا والغـــانيا
وبيـــداً عنيقـــاً في أبـــاطح مـــكة
رفيعاً مـــن الـــديباج مـــا زال حـــانيا
إذا ما دنـــا منهـــا الـــركابُ تجـــردوا
وطـــافوا بهـــا شُعْثاً ظِماءً ســـواكيا
وأيقـــن كلٌّ أنـــه يـــلوفـــه
لـــذاك الخمـــى نـــال المُنَى والأمـــانيا
هنيئـــاً لقـــوم نـــاظرين جمالهـــا
عُـــكوفاً عليهـــا يحمـــدون المـــاعيا

ب

ابن البناء المراكشي

أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي ، ولد بمراكش سنة ٦٥٤هـ ، وتوفي سنة ٧٢١هـ ، عالم رياضي وفلكي كبير ، كان له تأثير ملحوظ في النهضة العلمية بأوروبا لما أخذ الأوروبيون يقتبسون من الحضارة العربية ويترجمون كتب العرب إلى لغاتهم .

درس بمراكش وفاس علوم **اللغة والقراءات والحديث والفلسفة والطبيعة والطب والكيمياء والرياضيات** . قال عنه **ابن رُشَيْد السبتي** : « لم أر عالماً بالمغرب إلا رجلين : ابن البنـاء العـددي بمراكش وابن الشاطر بسبتة » . ومن مؤلفاته : « تفسير سورتي العصر وإنا أعطيناك الكوثر » ، « حاشية على تفسير الكشاف » ، « منتهى السؤل في علم الأصول » ، « الفصول في الفرائض » ، « الروض المريع في صناعة البديع » ، « المقالات في الحساب » ، « المناخ في تعديل الكواكب » ، « الخلل المفوض في علم العروض » ، « مقدمة على أقليدس » .

ت

ابن تافلّويت

ابن تافلّويت أبو بكر ابن إبراهيم . **من أمراء المرابطين على سرقُسْطة بالأندلس** . يُروى عنه أنه اجتمع في مجلسه عدد من الشعراء والوشّاحين من بينهم **أبو بكر ابن باجة** الذي ألّف على بعض الألحان موشحة :

جرّر الذيل (أيّها) حرّ
وصـــل الشكـــر منك بالشكر

فطرب الممدوح لذلك ، فلما ختمها بقوله :

عقـــد الله رايـــة النصـــر
لأميـــر العـــلا أبي بكـــر

فلما طرق ذلك الملحون سمع ابن تافلويت صياح ! واضرباه ... وشق ثيابه . وقال « ما أحسن ما بدأت وما ختمت » وحلف بالأيمان المغلظة لا يمشي ابن باجة إلى داره إلا على الذهب . ولما انجلت عنه سورة الطرب خاف سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله فمشى عليه .

ج

الجزولي

أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي . ولد **بقبيلة جزولة بسوس** سنة ٥٦٠هـ . قال عنه **ابن خلكان** : « كان إماماً في علم النحو كثير الاطلاع على دقائقه وغريبه وشاذه وصنّف فيه المقدمة التي سمّاها بالقانون . ولقد أتى فيها بالعجائب ، وهي غاية في الإيجاز ، مع الاشتمال على كثير من

النحو، ولم يسبق إليها، واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها، ومنهم من وضع لها أمثلة، وأكثر النحاة ممّن لم يكن أخذها عن موقف يعترفون عن قصور أنهاهم عن إدراك مراده منها، فإنها كلها رموز وإشارات ! ! ه، سافر الجزولي إلى المشرق فحج ولازم **ابن برّي بمصر** ثم عاد فتصدّر للإقراء ببجاية والمَرِيّة وللخطابة بمراكش حيث توفي سنة ٦٠٧هـ.

الحضرمي

أبو محمد عبد المهيمن بن محمد **الحضرمي السبتي**، نسبة إلى **العلاء ابن الحضرمي** صاحب **رسول الله صلى الله عليه وسلم**. ولد سنة ٦٧٦هـ ـ ١٢٦٨م، في أسرة لعبت دوراً هاماً في تاريخ المغرب. أظهر منذ صغره تعلقاً بالدرس والتحصيل وذكاء نادراً. وتصدّر للتدريس في سن مبكر. وعلى يديه تخرّج جماعة من الطلبة أصبح هم ـ من بعد ـ شأن مثل: **ابن مرزوق، والمقري، وابن الخطيب، وابن خلدون**.

توفي في **غرناطة** القضاء **لابن الأحمر**. وفي فاس تولى خاتم **السلطان أبي سعيد عثمان المريني** وابنه أبي الحسن. **توفي بتونس** سنة ٧٤٩هـ ـ ١٣٤٨م. ومن شعره:

لستُ منسي أن يراني امرؤٌ
على السدهر يسوماً لسه ذا خضسوع
ومسا ذاك إلا لأنسي تنقّبتُ
بعزّ القناعة ذُلّ الخضسوع

خدادة بنت بكار

كانت فقيهة عالمة، بارعة أديبة، خيّرة ديّنة. لها كتابة على «**الإصابة في معرفة الصحابة**» **لابن حجر**. كانت مشيرة مدبرة مع **زوجها السلطان مولاي إسماعيل العلوي**. حجت فلقيت من أهل **الحرمين الشريفين** الحفاوة البالغة. وهناك فرقت على المحتاجين وذوي البيوتات ما يزيد على مائة ألف دينار، فأكرمها العلماء ومدحها الشعراء ومنهم الشيخ **محمد بن علي فضل الحسيني الطبري**:

غنّى على عسود السعود هسزازي
وشسدا على الأوتسار بسالأوطار

إلى أن يقول:

فاحت بهسا أرجساء مسكة رغبسة
وعبسة مسن مسآثر الأخيسار
وهسي الحقيقسة بسالجلالة في السورى
فجسلالة الأضسياف ليس بعسار

توفيت بفاس سنة ١١٥٩هـ.

دراس بن إسماعيل

أبو ميمونة دَرّاسُ بن إسماعيل الفاسي. سمع من شيوخ فاس، ورحل إلى **المشرق** فحج ولقاء. أقرأ الحديث **بالقيروان**، والفقه **بالمغرب**، وكتاب **ابن السَّوّاز بالأندلس**.

كان ممن يعود إليهم الفضل في **نشر مذهب الإمام مالك بالمغرب**، وكان من قبلُ على مذهب الكوفيين. توفي بفاس سنة ٣٥٧هـ.

الذهبي

أحمد المنصور الذهبي. **أبرز ملوك دولة الأشراف السعديين**. تولى أمر المغرب غداة الانتصار على البرتغال في معركة **وادي المخازن** (= معركة الملوك الثلاثة). أهم أعماله:

- تأسيس «الديوان» وهو مجلس شورى كان ينعقد كل يوم أربعاء.
- إعادة تنظيم الجيش.
- بسط نفوذ المغرب في الجنوب على كل بلاد السودان الغربي.
- أسس مصانع السكر. فكان المغرب يصدره إلى أوروبا.
- وله أعماله جليلة في العمران والتأليف والشعر فقد كان عالما وأديباً.

توفي سنة ١٠١٢هـ.

ابن إشكيلة

أبو عبد الله محمد بن رشيد السبتي. **ولد بسبتة** سنة ٦٥٧هـ، **وتوفي بفاس** سنة ٧٢١هـ. جاب أقطار المغرب والأندلس، وحاز علماً غزيراً، وبرز في الحديث، قال فيه **ابن الخطيب**: «كان ـ رحمه الله ـ فريد دهره عدالة وجلالة وحفظاً وأدباً وحفظاً وهدياً. واسع الأسمعة عالي الإسناد، صحيح النقل، أصيل الضبط، تام العناية بصناعة الحديث، قيّماً عليها، بصيراً بها، محفظاً فيها، ذاكراً للرجال، جيّاعة للكتب، محافظاً على الطريقة، مضطلعاً بغيرها من العربية واللغة والعروض، فقيهاً أصيل النظر، ذاكراً للتفسير، ريّان من الأدب، حافظاً للأخبار والتواريخ، مشاركاً في الأصلين، عارفاً بالقراءات، عظيم الوقار والسكينة، بارع الخط، حسن الخلق، كثير التواضع... إلخ».

من كتبه: «السُّنَنُ الأبين في السند المعنعن»، «المحاكمة بين البخاري ومسلم».

الزياني

أبو القاسم (أبو بلقاسم) ابن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياني

(١١٤٧ ـ ١٢٤٩هـ). درس بفاس على كبار العلماء. وكانت له **رحلات إلى المشرق والمغارب** سجلها في كتابه: (**الترجمانة الكبرى**). يعتبر **من أكبر مؤرخي الدولة العلوية**. تنيف مؤلفاته على خمسة عشر مؤلفاً منها: «الترجمان المعرب عن دول المشرق»، «الروضة السليمانية في ملوك الدولة الإسماعيلية ومن تقدمها من الدول الإسلامية»، «الرجوزة في وفيات ملوك المسلمين»، «رسالة السلوك فيما يجب على الملوك»، «رحلة الحذّاق في مشاهدة البلدان والآفاق».

ابن سابق البربري

أبو سعيد ابن عبد الله سابق البربري. أقام **بدمشق** وروى عن **مكحول الدمشقي** وعنه أخذ **الإمام الأوزاعي**، ولذلك يعتبر من تابعي التابعين. كان **الخليفة عمر بن عبد العزيز** يقربه ويستنشده شعره الذي يميل فيه إلى الحكمة والزهد. ومنه:

واستخبر الناس عمّا أنت جاهلهُ
إذا عميتَ فقد يجلو العمى الخبرُ
قد يرعوي المرءُ يوماً بعْدَ هفوته
وتحكمُ الجاهلَ الأيامُ والخبرُ
إذا التُقى حبرٌ زاد أنتَ حامدهُ
والبرُّ أفضلُ شيء نالهُ البشرُ
من يطلب الجوْرَ لا يظفرْ بحاجته
وطالبُ الحق قد يُهدى لهُ الظفرُ

ابن شيّرين

أبو بكر محمد بن شيّرين السبتي (٦٧٤ ـ ٧٤٧هـ). أجازه كثير من علماء المغرب والأندلس والمشرق. تولى الكتابة السلطانية **بغرناطة**، والقضاء بها وبجهات أخرى. كان عالماً وفقيهاً ومؤرخاً وأديباً. وعن أدبه قال **لسان الدين بن الخطيب**: «وله الأدب الذي تحلّت بفلائده اللبّاتُ والنحورُ وقصُرتْ عن جواهره البحورُ». ومن شعره:

طَعْنَ الصِّبا ومِنَ الشَّحار قُفولهُ
إذ كشّت بأكيفهِ فتلك طُلولهُ
قفْ عندها خيلَ الدموع وزجّلها
واسدُلْ شبابكَ شطّ عنك رحيلهُ
نزحتْ (بثينته) و(ليلاه) معاً
فبكى المعاهد (قيسه) و(جميلهُ)
رَفقاً بحيراني وللظلّ الذي
قد كان يجمعنا هناك ظليلهُ

صفية الشرقية

من بيت العزفيين ولاة سبتة. مدحتها الأديبة المشرقية: **سائدة بنت أحمد المغربي** ـ لمّا جاءت إلى المغرب ـ بقصيدة منها:

ولكن بمن أضحت وحيدة عصرها
نسيتُ من الأشواق ما جلّ أو دقّا
ومن مثل ذات العلم والخلم والنُّهى
لقد سار سيْرُ الشمس معجزها الأرقى
لقد سار سيْرُ الشمس فخرٌ صفية
ونَوّرَ إكباراً لها الغربَ والشرقا

الطيّب الشرّاكشي

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المراكشي. **ولد أعمى** (٧٣٩ ـ ٨٠٧هـ) = (١٣٣٨ ـ ١٤٠٥م)، كان فقيهاً، لغوياً، منطقياً، شاعراً. صرف جهوده للتعليم، فكان مقدراً محترماً من العامة والخاصة، وكان يتلقى الدعوات من **أمير الحفصيين بتونس: أبي زكريا يحيى** لزيارته. من مؤلفاته: «الرجوزة في المنطق»، «ترجيز المصباح في اختصار المصباح» (في النحو)، «إسماع الصم في إثبات الشرف من قِبَل الأم».

ابن الطيّب العلمي

أبو عبد الله محمد بن الطيّب العلمي. **لا يعرف متى ولد**. ويعتقد أنه **مات دون الخمسين** سنة ١١٣٤هـ. **توفي بالقاهرة** وهو في طريقه لأداء **فريضة الحج وزيارة قبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم**. له كتاب: «**في فضائل الخيل**» وديوان شعر موسوم بـ«**الأنيس المطرب**» أغلبه في وصف الطبيعة مع قليل من المدح والرثاء. ومن غزله:

تفتّح وردٌ بانع فوق خدّه
ألا فانظروا وردٌ تفتّح باحمرّ
وفي ثغره وردٌ منعّت وُرودُه
وما ضرّهُ لو جاد بالوردِ والوردِ

عائشة بنت الجيّار

هي الطبيبة البارعة عائشة بنت الشيخ الكاتب أبي عبد الله بن الجيّار المحتسب بسبتة. قرأت **الطب** على صهرها **الشيخ أبي عبد الله**

الشريشي ونبغت فيه ، كانت امرأة عاقلة عالية الهمة ، نزيهة النفس ... ها تقدم بالطبع وجزالة الكلام ، **عارفة بالطب والعقاقير** .. كان الأمراء يجيزونها بهداياهم ويحفهم لما يختبرونه من حرفتها . **كانت تعيش على عهد دولة المرينيين** .

غ

ابن غازي المكناسي

أبو عبد الله محمد بن غازي العثماني المكناسي (٨٤١ ـ ٩١٩هـ) ، ولي الخطابة **بجامع القرويين** ، وكان شيخ الجماعة بفاس . قال عنه تلميذه **عبد الواحد الونشريسي** :

« كان إماماً مقرئاً مجوّداً صدراً في القراءات متقناً فيها عارفاً بوجوهها وعللها والراجح منها ، عَلَمَ النحو ، قائماً بعلم التفسير والفقه والعربية ، متقدماً فيها ، عارفاً بوجوهها ، ومتقدماً في الحديث حافظاً له واقفاً على أحوال رجاله وطبقاتهم ضابطاً لذلك كله معتنياً به ، ذاكراً للسير والمغازي والتواريخ والآداب . فاق في ذلك كله أهل زمانه » اهـ .

من كتبه : « الفهرسة » ، « شفاء الغليل في حل مقفل خليل » ، « الكليات الفقهية » ، « إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب » (حاشية على صحيح الإمام البخاري) ، « نظم على الطرق العشر في القراءات » ، « منية الحُسّاب في علم الحساب » ، « الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون » (تاريخ) .

ف

ابن فرتون

أبو العباس أحمد بن يوسف السلمي الفاسي المعروف بابن فرتُون . أحد أعلام **الرواية والتاريخ** . نعت **بفاس وسبتة والجزيرة الخضراء ومالقة** ، فاجتمع له سماع جمة ، وكتب خطه كثيراً ، واعتنى غاية الاعتناء حتى كان آخر المكثرين . وكان ذاكراً للرجال والتواريخ ، ولكثير من متون الحديث وطبقات الناس . توفي سنة ٦٦٩هـ . ومن كتبه : « الاستدراك » على (التعريف والأعلام) للسهيلي ، « الذيل » على صلة ابن بشكوال .

ق

القصار

أبو عبد الله محمد بن قاسم **القصار** (٩٣٨ ـ ١٠١٢هـ) . **تلقى علومه بفاس** فصار مبرزاً في الحديث إماماً فيه ، تشد الرحال إليه للأخذ عنه والتسرع منه . وكان نسّابة واعية . ولي القضاء على عهد **المنصور السعدي** ، كما ولي الخطابة والإمامة بمسجد القرويين . وولي نظارة الضعفاء والمساكين . ورغم علمه لم نحفظ لنا الأيام شيئاً من مؤلفاته . قال عنه **ابن المؤقت** : « كان دائم الخشية والخشوع ، سريع الدمعة ، ذاكراً للموت ، كلامه كله جد ، مشوباً بالوعظ والتذكير » .

ك

محمد كنّون

أبو عبد الله محمد بن المدني بن علي بن عبد الله **كنّون** . **ولد ونشأ بفاس** ، وتلقى عن كبار شيوخ عصره حتى صار فرداً يشار إليه في تحقيق مقاصد العلوم . **وحصل على رتبة الاجتهاد** ، وتفوق على كثير من أشياخه . « كان فقيهاً عدلاً محوياً لغوياً معقولياً مشاركاً محققاً نزيهاً قوالاً للحق مطوعاً على ذلك ... دؤوباً على نشر العلم والإرشاد ، والنهي عن المناكر والبدع ... يحضر مجلس الولاة والأمراء أبناء الملوك وغيرهم ، وهو يصرح بإنكار أحواهم وما همْ عليه ... ووصلتْه بذلك إذايةٌ وسُجن . لكن يجرد سنّجته ثار الطلبة وقامت قيامة العامة فأطلق سبيله » . يعتبر مجدد القرن الثالث عشر . توفي سنة ١٣٠٢هـ .

من كتبه : « تعليق على الموطأ » ، « نصيحة النذير » ، « الدرر المكنونة » ، « التوازل » .

ل

اللّجّائي

أبو زيد عبد الرحمن **اللّجّائيُّ الفاسي** . عالم رياضي كبير . كان متحققاً بأجزاء من علم **الهندسة والهيئة والحساب** . قال عنه **ابن قُنْفُذ** « كان اللّجّائيُّ آية في فنونه ، ومن بعض أعماله أنه **اخترع أسطرلاباً منصوباً في جدار** ، وبناه بدير شبكته على الصفيحة ، فيأتي الناظر فينظر إلى ارتفاع الشمس كم هو ، وكم مضى من النهار ، وكذلك ينظر ارتفاع الكوكب بالليل . وهو من الأعمال الغريبة » . توفي سنة ٧٧٣هـ .

م

ميمون الخطّابي

أبو سعيد ميمون بن علي الخطّابيّ . قال عنه **المقري** : « كان بارع الخط وكان من أعاجيب الدهر في سرعة البديهة ، ناظماً وناثراً مع الإجادة التي لا تجارى ، والتفنن في أساليب الكلام معربه وهزله ، على اختلاف اللغات ، تطور كثيراً وتصوف ونسك ووعظ » اهـ .

تولى حسبة الطعام بمراكش ، **وتوفي** سنة ٦٣٧هـ . ومن شعره في المديح النبوي :

حقيقٌ علينا أن نُجيب المعـــانيا
لنَغْنَى في مدح الحبيب المعـــانيا
ونقْتَدَ للأشعار كلَّ كتيبـــة
لنصر الهدَى والـــدين نرْدي الأعـــاديا
فـــالسنَ أربـــاب البيـــان صـــوارم
مضـــاربها تنبي السُّيوف المواضـــيا
لنـــطلع مـــن أمـــداح أحمـــد أنهراً
تروح فتجلـــو مـــن ســـناه الـــدياجيا

ن

ابن ناصر

أبو عبد الله محمد بن ناصر **الجعفري الزيني** . إمام في السنة والعلم . كانت له مشاركة في علوم الشريعة وعلوم التربية ، وله مكانة في التصوّف . كان متمسكاً بالسنة في سائر أحواله حتى في لباسه وطعامه . قام بمهمة الإرشاد والتعليم فأفاد منه خلق كثير . له رسائل جامعة لوصايا ونصائح غالية . **توفي** سنة ١٠٨٩هـ .

هـ

الهَوْزالي

أبو عبد الله محمد بن علي الهَوْزاليّ ، **الشاعر الرسمي لأحمد المنصور السعدي** . كان قوي الراس على المعاني الشعرية ، فخم الألفاظ ، نابه المعاني ، جيد النظم ، رائع الأسلوب ، متضلعاً من اللغة والأدب ، بصيراً بمواقع الكلم ، متصرفاً في ضروب المدح أحسن التصرف . تولى القضاء **بمدينة (تارودانت)** . له **شرح على ديوان المتنبي** . **توفي** سنة ١٠١٢هـ . ومن شعره في **تهنئة المنصور الذهبي بفتح السودان** :

صَوافِنٌ بنصرها وجيهٌ ولاحِقٌ
مطهَّمَةٌ فَعْمٌ مُفَرَّزَةٌ شَقْرُ
بمرهفةٍ مأثورةٍ مشرَّفةٍ
تؤمُّ غرازيها زَنِيمَةُ خُضْرُ
غَدَتْ تحملُ الوِتْرَ الوِزامَ بحوطِها
ويكفُلها يُمْنٌ يُسَيِّعُهُ نَصْرُ
فجلَّتْ بأرْضِ السُّود لم يكن عزمَها
مهالكُ صَدَّ عن مسالكها الذُّعْرُ

ي

ابن الوَنّان

أبو العباس أحمد بن الوَنّان **التَّوالي الفاسي** . ينتمي إلى **حمير** عن طريق **أجداده بني معقل** . كان أبوه شاعراً رقيقاً مقرباً إلى **السلطان العلوي محمد بن عبد الله** فدعاه ـ لخفة روحه ـ « **أبا الشمقمق** » ، ثم ورث عنه ابنه هذا اللقب .

أهم ما خلفه ابن الوَنّان ـ قبل **وفاته سنة** ١١٨٧هـ ـ أرجوزة طويلة (٥٢٧ بيتاً) بعنوان : (**الشمقمقية**) . عدها المستشرق **كارل بروكلمان** « من جملة الآثار الفلسفية » . ويمكن تقسيمها إلى الأجزاء التالية :

١ ـ وصف السفر (٤٠ بيتاً) .
٢ ـ وصف الخيبة (٢٥ بيتاً) .
٣ ـ الفخر والحماسة (٣٥ بيتاً) .
٤ ـ ذم الحسود والرقيب (٨ أبيات) .
٥ ـ الحكم والأمثال والنصائح (٨٦ بيتاً) .
٦ ـ مدح الشِّعْر (٢٨ بيتاً) .
٧ ـ مدح السلطان (٢٧ بيتاً) .
٨ ـ تحدي الشعراء (١٧ بيتاً) .

ي

يوسف بن تاشفين

هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن إبراهيم **الحميري الصنهاجي اللَّمْتُونيّ** . **أعظم ملوك المرابطين** . كان عادلا شجاعاً ورعاً زاهداً متقشفاً (**لباسه الصوف وأكله الشعير ولحوم الإبل وألبانها طول حياته**) . كان ينفذ جهات مملكته كل سنة . **أسس مدينة مراكش** سنة ٤٥٤هـ ، بعد أن اشترى موضعها من ساكنيه ، وسكنه بخيام الشَّعْر وبنى فيه مسجداً وقصبة صغيرة . . . وكان . . . « لما شُرِع في بناء المسجد يحتزم ويعمل في الطين بيده مع الخَدَمَة تواضعاً منه وتورُّعاً » .

استنجد به **ملوك الطوائف بالأندلس** لما أصبحوا عاجزين أمام **الفرنجة** ـ نتيجة انغماسهم في الفساد واللذات ـ فأنجدهم وكانت **موقعة الزلاقة** سنة ٤٧٨هـ . لكن ملوك الطوائف لم ينْعطفوا فعادوا إلى سابق غيهم ـ والعدوُّ متربصٌ بهم ـ فلما استنجدوا بيوسف مرة أخرى ضرب على أيديهم وضم الأندلس إلى المغرب . وبذلك يكون قد مدَّ في عمر الإسلام بالأندلس أربعة قرون أخرى .

المراجع

١ ـ [illegible]
٢ ـ [illegible]
٣ ـ [illegible]

(الإكليل)

١ ـ [illegible]
٤ ـ [illegible]

٢ ـ [illegible]
٣ ـ [illegible]
٨ ـ [illegible]
٩ ـ [illegible]
١٠ ـ [illegible]

إصرار على الخطأ... أم ماذا؟؟

قرأت ما نشرت مجلة «**الفيصل**» في خمس صفحات كاملة (١٣٩ ـ ١٤٣) من عددها التاسع والخمسين الصادر في جمادى الأولى سنة ١٤٠٢هـ، تحت عنوان (من كتب التراث: نقد النثر: لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ـ حققه وعلّق حواشيه: **الدكتور طه حسين وعبد الحميد العبادي**) عرض وتقديم: خيري شلبي.

ويعنيني قبل كل شيء أن أنوّه بمسعى مجلة «الفيصل» في حرصها على التعريف بتراثنا الفكري والأدبي.

وأرجو أن يشجع صدور كتاب الثقلاء وصدور المشرفين على هذه المجلة، وأن تتسع صفحاتها الأنيقة لخدمة الحقيقة التي ننشدها جميعاً.

* * *

وأبدأ بالإشارة إلى أن عهدنا بتعريف الكتب وعرضها وتقديمها للقراء، إنما يكون بعد صدور هذه الكتب بأيام أو شهور، ليكون في هذا العرض أو التعريف ما ينبّه جمهرة القارئين إلى الإفادة من هذا الأثر المنشور.

أما أن يكون التعريف بأثر من هذه الآثار بعد خمس سنة بالكمام والكمال من تاريخ طبع هذا الكتاب ونشره والتعليق عليه وتداوله بين القارئين والدارسين على أوسع نطاق، فذلك شيء غير معهود ولا معروف، وهو أيضاً أمر غير مفهوم.

لقد ظهرت الطبعة الأولى منذ نصف قرن كامل، ونشرت في الناس بعد طبعها في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٢م. وطبعت الطبعة الثانية من هذا الكتاب (نقد النثر) في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٧م. وفي مكتبتي بالقاهرة نسخة من كلتا الطبعتين، اقتنيتهما منذ ظهورهما. ولا أدري عدد الطبعات التي ظهرت من هذا الكتاب بعد هاتين الطبعتين.

ومن أقوى الأدلة على ذيوع هذا الكتاب وتداوله والإفادة من مادته العلمية أن **وزارة المعارف المصرية** رغبت في إفادة طلاب الدراسات الأدبية من هذا الكتاب منذ ظهوره، واتخذت هذه الرغبة مظهراً رسمياً حين قررت تدريس هذا الكتاب لطلاب السنة التوجيهية بالمرحلة الثانوية، ليكون أساساً للدرس الأدبي لهؤلاء الطلاب قبل أن يلجوا أبواب الدراسة الجامعية، فأقبل على درس هذا الكتاب وتفهمه أساتذة تلك المدارس وطلابها، بالإضافة إلى عشرات من الدارسين والباحثين المتخصصين في البلاغة والنقد وسائر مجالات الدراسات الأدبية، واتخذوه مرجعاً من المراجع التي أفادوا منها في بحوثهم ودراساتهم.

ويبدو أن هذه الحقائق المادية الموضوعية قد خفيت على الكاتب الفاضل، أو لعل عينه لم تقع على هذا الكتاب إلا في هذه الأيام، فكتب عنه عارضاً ومعرّفاً بعد نصف قرن من معرفته وذيوعه والإفادة منه.

* * *

وقد قام بتقديم هذا الكتاب (نقد النثر) وتحقيقه وتعليق حواشيه عالمان نابهان من علماء الأدب ودرسه ونقده، والتاريخ وفهمه وتحقيقه، وهما **الدكتور طه حسين، والأستاذ عبد الحميد العبادي**.

ويكفي أن يوضع اسم هذين العلمين أو اسم أحدهما على أثر من الآثار، ليحتل منزلته بين الآثار العلمية والأدبية والنقدية، ويتلقفه الناس، ويسرعوا إلى الإفادة منه... ثم إن اهتمامها بخدمة ذلك الكتاب دليل على أنه جدير بالعناية والاهتمام.

ولكن الذي يطّلع على هذا الكتاب يرى عجباً حين يوازن ما كتب على ظاهره بما دُوِّن في مقدمته.

فالدكتور طه حسين، وهو أحد الشريكين في تحمل أمانة الكتاب، وتحمّل تبعة تقديمه إلى الجمهور حاملاً اسم «قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي» والذي نصّ على ظاهر الكتاب اسمه على أنه أحد المحققين له، شريك في تعليق حواشيه، يقول في مقدمته: «إنّ هذه الرسالة ـ نقد النثر ـ نسبت إلى قدامة بن جعفر... ولكن المطلع عليها يرى أنها لا يمكن أن تكون له، بل هي في الغالب لكاتب شيعي ظاهر التشيّع، فقد صنف كتباً عدة في الفقه وعلوم الدين، يشير إليها، ويحيل عليها في شيء من الطمأنينة والارتياح، ويرى **بروكلمان** أن واضع هذه الرسالة تلميذ لقدامة اسمه **عبد الله بن محمد بن أيوب**، على أن هذه مسألة سيحققها زميلي العبّادي في غير هذا الموضع، أما نحن فنقتصر في هذا المقام على تحليل الرسالة تحليلاً موجزاً؟!».

ذلك ما كتبه الدكتور طه، وهو أحد الشريكين، في مقدمة الكتاب، ليعفي نفسه من تبعة نسبة الكتاب إلى قدامة بن جعفر، ليحمّل زميله ـ الأستاذ عبد الحميد العبادي ـ هذه التبعة كاملة!.

واقتصر جهد الدكتور طه في هذا العمل على التحليل الموجز لهذه الرسالة، أو هذا الكتاب في تلك المقدمة التي عنوانها «**البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر**»... وحقيقتها أنها بحث كتبه الدكتور طه بالفرنسية، وقدّمه إلى مؤتمر المستشرقين، ثم تولّى الأستاذ العبّادي ترجمة هذا البحث إلى اللغة العربية، ونشره مقدمة أو تمهيداً لهذا الكتاب.

وقد بقي بالعبء الأكبر في إخراج هذا الكتاب المرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادي، وخلاصة الجهد الذي بذله:

(١) محاولة إثبات أن اسم الكتاب هو «نقد النثر» أو «كتاب البيان».

(٢) محاولة إثبات نسبة تأليف الكتاب إلى أبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي.

(٣) التعريف بقدامة في باب سماه «تحقيق في حياة قدامة».

مناقشات و تعليقات

(٤) التعليق على الكتاب بالشروح والحواشي.

وقد اعتمد الأستاذ العبادي في تحقيق الكتاب على نسخة محفوظة **بمكتبة الإسكوريال** رقمها **٢٤٣** من **فهرس درنبورج**، وبنى عليها ما أراد أن يستخلصه في العملين الأولين، مستدلا بعدة أمور ذكرها الكاتب فلا حاجة إلى تكرارها.. ولم يسع للأستاذ العبّادي ما أراد فقد اعترضته في استنباط ما حاول أمور، حاول أن يتخلص منها بضروب من السطو، ليس هنا في الحقيقة ما يؤيدها.

وخلاصة القول أن المرحوم الأستاذ العبادي استخلص بأدلته أن الكتاب هو كتاب (نقد النثر) وأن مؤلفه قدامة بن جعفر.

والناظر في تلك الأدلة التي أيّد بها المحقق دعواه يرى أنه من اليسير جداً نقضها، لأنها كما أسلفنا أدلة احتمالية أو ظنية، يمكن أن توصف بأنها أدلة خطابية، وليس من الممكن وصفها بأنها أدلة منطقية، تؤدي إلى اليقين، فليس ها سند من الحقائق القاطعة، ولا تعتمد على نص يمكن الاعتماد عليه.

ولا يمكن الاعتماد في تحقيق علمي كهذا على مثل تلك الاحتمالات والفروض التي افترضها الأستاذ العبّادي، لأنها في أحسن حالاتها احتمالات وفروض تحتمل الإثبات كما تحتمل النفي، وبتجاذبها الطرفان على قدم المساواة.

* * *

وقد أراد المرحوم الأستاذ العبادي أن يؤيد وجهة نظره في صحة الكتاب، وصحة عنوانه، وصحة نسبة تأليفه إلى قدامة بن جعفر، فأورد بعض الأدلة الفنية التي تدعم رأيه، وقد ناقشنا هذه الأدلة الفنية التي ساقها دليلاً دليلاً. ولا مجال لسرد هذه الأدلة ومناقشتها في هذا السياق، فقد فصلنا ذلك تفصيلاً وافياً في ثلاث طبعات من **كتابنا (قدامة بن جعفر والنقد الأدبي)** ظهرت الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤م، والثانية سنة ١٩٥٨م، والثالثة سنة ١٩٦٩م.

ونجتزئ بالقول في هذا السياق: لو أن مؤلفاً ألف كتاباً خاصاً في «نقد الشعر» كما فعل قدامة، ثم ألف كتاباً آخر خاصاً في «نقد النثر» لما كان له أن يخلط بين موضوعي الكتابين، وإلا لم يكن هنالك ما يوجب هذا التخصيص.

وقد التزم قدامة بالكلام في فن الشعر وحده في كتابه «نقد الشعر» ولم نعثر له في ثناياه على كلام في نقد النثر.

ولكن مؤلف «نقد النثر» لم يلتزم فيه بالكلام على النثر، بل إنك تراه يتكلم في البيان مطلقاً، فيعالج الشعر، كما يعالج النثر، وتراه يعرض للشعر في كل مناسبة، ويكثر من الاستشهاد به في كل موضوع من الموضوعات التي تناولها.

وأكثر من هذا أن صاحب «نقد النثر» قد أفرد فصلاً مستقلاً للمنظوم في باب **(تأليف العبارة)**.. وهو فصل طويل، لم يجز إليه الاستطراد كما قد يُظن، بل إنه يستغرق إحدى وثلاثين صفحة كاملة.

ولا نرى في هذه الصفحات الكثيرة أية إشارة أو إحالة إلى كتاب «نقد الشعر» الذي هو مختص بالموضوع ودراسته، بل إن مؤلف «نقد النثر» يورد «أن الخليل وغيره ذكروا من أوزان الشعر وقوافيه ما يغني عن تسطر فيه، ويغنينا عن تكلف شرح ذلك له، إذ كنا نرى أن تكلف ما قد فرغ منه عبث لا فائدة فيه».

وقد كان أحرى بالمؤلف ــ لو أنه كان قدامة ــ أن يشير إلى كتابه الذي فصل القول في فن الشعر، وتكلم عن الأوزان والقوافي، ووجوه التئامها مع اللفظ والمعنى، وما ينشأ عن ذلك الائتلاف من نعوت وعيوب.

* * *

وندع هذه الأدلة التي فصلناها في كتابنا المشار إليه، لنسرع إلى ما قصدنا إليه بهذا التعقيب الذي لم نرد به إلا إعادة الكشف عن الحقيقة التي كنا نعتقد أنها وضحت واستقرت في أذهان الدارسين منذ نحو ثلاثين عاماً. وإذا هي لا تزال في حاجة إلى من يذكّر بها أولئك الذين لا يتحرونها فيما يكتبون، وفيما ينشرون، لأنهم لا يُعْنَوْن بمتابعة الحركة العلمية، ولذلك تروج عندهم كل سلعة، ويصرفهم ومبصر القشور عن طلب اللباب، والتفحص عن مكنونه.

وتتمثل تلك الحقيقة في أن إظهار الكتاب المسمّى «نقد النثر» على الصورة التي ظهر بها ليس وجه الخطأ فيه واحداً، ولكنها سلسلة من الأخطاء، يأخذ بعضها بحجز بعض، وأهمها:

(١) **خطأ في اسم الكتاب**: فليس اسمه «نقد النثر» وليس اسمه «كتاب البيان» وإنما اسمه الصحيح **«كتاب البرهان في وجوه البيان»**! كما جاء في عنوان المخطوطة الصحيحة وفي آخرها.

(٢) **خطأ في نسبة الكتاب إلى قدامة بن جعفر**: فبيان مؤلفه الحقيقي هو «**أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب**» وقد ورد اسمه واضحاً كاملاً صريحاً في صلب الكتاب في أول حديثه في البيان الرابع، وهو «بيان الكتاب» إذ ورد فيه ما نصّه:

«البيان الرابع وهو الكتاب: قال أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب: قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا نعمة الله عز وجل على عباده فيما أفهمهم إياه من الكتابة»... إلخ.

حاشية: استغرق هذا الوجه من وجوه البيان ١٢٦ مائة وستاً وعشرين صفحة وكله مفقود من نسخة الإسكوريال التي اعتمد عليها المرحوم الأستاذ العبادي، وسقط قبل هذا من تلك النسخة أيضاً ٥١ إحدى وخمسون صفحة، فيكون مجموع ما سقط من نسخة الإسكوريال ١٧٧ مائة وسبعاً وسبعين صفحة، وهي أكثر من نصف الكتاب بكثير.

(٣) ليس المطبوع من الكتاب إلا جزءاً صغيراً منه يقدر ثلثه، أما ثلثا

الكتاب أو بقيته فلم تطبع معه لما ذكرنا من قبل . وليس في المطبوع أية إشارة إلى هذا النقص ، أو لعل محققه الفاضل لم يعترف بهذا النقص .

ولا ندعي لأنفسنا فضل السبق إلى هذا الحق ، فقد سبقنا إليه **الدكتور علي حسن عبد القادر** الذي عثر على مخطوطة كاملة لهذا الكتاب بمكتبة «**تشستر بتي بدبلن**» (The Chester Beatty) رقمها G767 تحت العنوان السالف الذكر «كتاب البرهان في وجوه البيان» وعند المقابلة بينهما ويبن الكتاب المطبوع باسم «نقد النثر» وجدهما يتفقان في القدر المطبوع ، وتزيد نسخة «تشستر بتي» على المطبوعة بمقدار ثلثي الكتاب تقريباً . وليس هناك شك في أن هذا القدر الزائد هو جزء أصلي من الكتاب قد سقط منه في مخطوطة الإسكوريالية .

ولعل فيما أوردناه ما يكفي لتبيّن وجه الحق الذي حظي على كاتب الفضل ، وهو عندي معذور ، لأنه لم يقرأ كتابي الذي أشرت إليه ، ولم يقرأ مقال الدكتور علي حسن عبد القادر المنشور بمجلة **المجمع العلمي العربي بدمشق** (ص ٧٣ وما بعدها من الجزء الأول من المجلد الرابع والعشرين) .

ولم يقرأ الكتاب كاملاً محققاً باسمه الصحيح ومؤلفه الحقيق ، مطبوعاً مرتين :

- **الأولى** : بمساعدة جامعة بغداد ، وقد قام بتحقيقها **الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي** (مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٧م) .
- **والأخرى** : حققها المرحوم **الدكتور حفني محمد شرف** ، ونشرتها مكتبة الشباب (مطبعة الرسالة ـ القاهرة ١٩٦٩م) .

دكتور يدوي طبانة

كتاب .. وكاتبان

لأخ الكريم الأستاذ **خيري شلبي**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

اطلعت على عرضك وتقديمك لكتاب قيم من كتب التراث ، تحت عنوان «**نقد النثر لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي**» ، حققه وعلّق حواشيه **د . طه حسين وعبد الحميد العبادي** ، وذلك في العدد (٥٩) ، ص ١٣٩ من «**الفيصل**» الغراء ، ووقفت طويلاً أمام حماقتك التي حشّيت بها مقالك قائلاً : «ويدهش المرء كيف أن مثل هذا الكتاب لم يُعدّ كتاباً رئيسياً في كتب الدراسة بمدارسنا وجامعاتنا كما كان يحدث من قبل ؟!» .

ويتكرر الاندهاش في عدة مواضع ، منها الدهاشك وأنت تقف «أمام قدرة قدامة على التنظير اللغوي ووضع مفاهيم جديدة في الفكر والفن والأدب والحياة على السواء ...» ، وخرجت من الاندهاش إلى الحكم القاطع بأن «مؤرخي الأدب قد شهدوا لقدامة بأنه واسع المعرفة والثقافة ، وشهدوا له بأن جهده في كتاب (نقد النثر) لا يزال يحمل قدراً كبيراً جداً من البكارة ...» ، سبحان الله .

أخي الفاضل : كتاب (نقد النثر) ليس لقدامة بل هو لإسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب ، واسمه «البرهان في وجوه البيان» لا (نقد النثر) ، والدكتور طه حسين نفسه قد شكّ في نسبة الكتاب لقدامة ، وقال في المقدمة التي أشدت بها طويلاً ـ دون أن تدري أنها محل نقد شديد من النقاد ـ إنه (أي كتاب نقد النثر) في الغالب لكاتب شيعي قد صنف كتباً عدة في الفقه وعلوم الدين (انظر المقدمة ، ص ١٩) ، وإذا عدت أخي الباحث ، إلى كتاب **الدكتور شوقي ضيف** «**البلاغة تطور وتاريخ**» وهو مطبوع من سنة ١٩٦٥م ، ـ أي من سبع عشرة سنة ـ وفتحت صفحة ٩٣ ، لقرأت الفقرة كاملة ، مثيرة ورائعة ، ثم ، من غير عشرة سنة حقق **الدكتور أحمد مطلوب** هذا الكتاب الذي هو «البرهان في وجوه البيان» لإسحاق بن إبراهيم بن وهب الشيعي ، لا «نقد النثر» لقدامة بن جعفر .

د . منير سلطان
أستاذ النقد والبلاغة المساعد
بالكلية المتوسطة بالرس بالقصيم

معركة وادي المخازن

ما كدت أنهي العدد (٣٧) من «**الفيصل**» ، حتى أقبلت على مواده أستفيد منها ، وأضيف إلى معرفتي شيئاً وحماً ومفيداً .

وكم سرني أن أطالع شيئاً عن المغرب بلدي الحبيب في «**الفيصل**» ، ومن مواضيع المجلة موضوعاً صغيراً للأستاذ **أحمد البرصان** ، بعنوان «**معركة وادي المخازن** الذكرى المئوية الرابعة» ولي بعض الملاحظات أرجو أن يتقبلها البرصان بصدر رحب :

(١) أورد البرصان في ص (٧٤) بقوله : ولما كان المولى **محمد بن عبد الرحمن** : والصواب المولى محمد بن أحمد الدائم بأمر الله .

(٢) أورد الأستاذ البرصان : مكان المعركة التي انتصر فيها **عبد الملك السعدي** على ابن أخيه باسم الروكان . والصواب الرُّكن .

(٣) أورد أكثر من مرة اسم مؤلف **كتاب «نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي»** ، بالمؤرخ الوفراني والصواب الفراني بالباء .. ونحية للأستاذ البرصان .

أحمد اليوزيدي
صفرو ـ المغرب

من الأصدقاء

المذاهب الأربعة

إن بعض المسلمين في هذه الأيام يفتقرون إلى من يعلّمهم أصول دينهم ويفقههم فيه. ويتعذر عليّ في هذه العجالة أن أستطرد في شرح الأسباب البيئية التي أدت إلى هذا التدهور، إنما أقول وباختصار إن النظام التربوي لا يُعنى بهذه الناحية.

إن مجلتكم الموفقة التي تزاحر بألوان شتى من كنوز المعرفة – ولذلك هي تروق لكل قارئ مهما كان مذهبه أو اتجاهه – هي المؤهلة، دون غيرها، للخوض في غمار أحكام الفقه الإسلامي من أجل توضيح طريق الهدى وسور الحق لكل من يتلمّسه.

إننا إذ نكنّ كل الاحترام والتقدير لهذه المجلة والقائمين عليها وكل المشاركين في نتاجها ونِصابها بهذا الشكل الناصع البديع إنما نحن الفقراء، نسرجو وبإلحاح تخصيص موضوع لشرح أحكام الفقه الإسلامي، وتسليط الأضواء على المذاهب الأربعة وأقطابها، وتوضيح فلسفة كل منهم وحججه المستندة إلى القرآن والسنّة فيما يتعلق بالتحريم والتحليل. ذلك لتبيان أن كل منهم من رسول الله صلى الله عليه وسلّم ملتمس، وأن الاختلاف بين هذه المذاهب الأربعة لا يعدو كونه اختلافاً بسيطاً في الشكل، أما في المضمون فالجوهر واحد. وكلٌ موجّه وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً. وكلٌ يبغي الكمال ولكن الكمال لله وحده.

ولا بأس أن يكون هذا الموضوع متسلسلاً في كل عدد يُبحث جانب منه إن كان الموضوع في رأيكم طويل متشعب ويصعب حشره في عدد واحد. إن استجابتكم لهذه الرسالة واعتنائكم لنا يساعد على صد التيارات الفكرية الإلحادية التي تهاجم الإسلام ودحضها، وبالتالي نشر نور الفكر الإسلامي.

وأخيراً، كلّي أمل ورجاء في أن تأخذوا هذه الرسالة بعين الاعتبار ولا تهملوها.

أحمد بن سعيد عبد الهادي
دمشق – سورية

● **المجلة:**
لقد قدمنا دراسات وافية عن الأئمة الأربعة، ومذاهبهم، وذلك في الأعداد ٣٩ و ٣٠ و ٢٣ و ١١، كما أننا من حين لآخر ننشر دراسات عن الفقه الإسلامي حين تكون الدراسة عميقة وجيدة.. والله الموفق.

المساجد وفن العمارة

أتوجه بشكري العميق وحسن امتناني للمجلة التي أتاحت الفرصة لقرائها لإبداء الرأي وتصحيح ما بدا من خلط فيما يكتب على صفحاتها لأن الكمال لله وحده.

إن ما حملني على الكتابة إليكم هو ما لاحظته في باب «**موضوع خاص**» بقلم الأستاذ شريف **يوسف** في العدد (٣٠) من مجلة «**الفيصل**» الصادر في ذي الحجة ١٣٩٩هـ، نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩م، ص ٩١ – ١٠٦ تحت عنوان «**المساجد وفن العمارة الإسلامية**»، لفت انتباهي خطأ فادح يستوجب التصحيح حيث جاء هكذا: شيد الموحدون في **مراكش** «**جامع تلمسان**» وفي **فاس** «**الكتبية**»... إلخ.

والصواب في ذلك هو أن جامع تلمسان شيد في مدينة تلمسان غرب الجزائر أو ما يسمى في ذلك العهد «**المغرب الأوسط**» وليس بمراكش، في حين نجد «جامع الكتبية» مشيداً بمدينة **مراكش الحمراء** بجنوب المغرب الأقصى لا بمدينة فاس كما ورد في الموضوع ومئذنته الشهيرة لعد خير دليل على ما نقول.

مرعش محمد
مكناس – المغرب

الفيصل

قالوا: لماذا «فيصل»؟ قلت: هتفوا
وجهوا السؤوس عيناً للفيصل
قالوا: العدالة؟ قلت: من أقوالها
من للعدالة غير حكم الفيصل
قالوا: الشريعة؟ قلت: بين سطورها
الحرف منها قاطع كالفيصل
قالوا: الأصالة؟ قلت في أعمالها
نبراس للأصالة مثل أمر الفيصل
قالوا: الولاء؟ فقلت لحت ضلاله
سكن الفؤاد ورمز له من فيصل

الخالجة فاطمة حداد
اللاذقية

● **المجلة:** لشكراً هذه القاعم الشاعرة النبيلة.

ابن مقرب العيوني

كنت أتصفح العدد الثالث والثلاثين من مجلتكم الغراء لشهر ربيع الأول من عام أربعمائة وألف للهجرة، وقد وقع نظري على موضوع بعنوان «**ابن مقرب العيوني.. شاعر من الأحساء**» للأستاذة عدنان قيطار، ولكوني أعمل في بحث جامعي عن هذا الشاعر أرجو أن تتفضلوا عليّ ببعض المعلومات عن مصدر من مصادر المعلومات عن هذا الشاعر:

● اسم الكتاب: ديوان ابن المقرب.
● اسم المؤلف: عبد الفتاح محمد الحلو.
● اسم الناشر: مكتبة التعاون الثقافي، الأحساء، المملكة العربية السعودية.
● الطبعة: الأولى.
● سنة الطبع: ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

وفي هذا الكتاب اعتمد المؤلف على عدة مخطوطات قديمة وبعض المصادر الموثوقة في ترجمة الشاعر وإثبات شعره. لعلّ كتابة هذه الرسالة ولكم جزيل الشكر.

أحمد شاكر
المملكة العربية السعودية
الظهران – جامعة البترول والمعادن

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) .

وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

ج ١ **متحف توب كابي** في إسطمبول بتركيا ، **متحف قصر العظم** في دمشق بسورية ، **متحف الانطباعيين** في باريس بفرنسا ، **متحف الفنون الإسلامية** في القاهرة بمصر ، **متحف متروبوليتان** للفن في نيويورك بأمريكا .

ج ٢ **قصص كليلة ودمنة** تسمى « البنشاتنترا » ، ومعناها باللغة السنسكريتية « الخيوط الخمسة » وهي عبارة عن مجموعة في قصص الحيوان عرفت في الأدب السنسكريتي وقد جمعت كما ورد في بعض المصادر قبل (٥٠٠ م) ، كما ورد أن مؤلفها « بيدبا » .. ترجمت قديماً إلى العربية والبهلوية والسريانية ، ثم جاء ابن المقفع بعد ذلك فترجمها عن البهلوية إلى العربية مع إدخال كثير من التغييرات .

ج ٣ **تمنح شهادة « براءة »** عن كل اختراع أو ابتكار يمكن استغلاله صناعياً ، بموجبها يمنح صاحبها الحق في استغلال اختراعه بأية طريقة من الطرق لمدة معلومة تختلف باختلاف الدول ونوع الاختراع بعدها يصبح من حق الملك العام .. وهذه البراءة تحكمها بين دول العالم اتفاقية باريس الخاصة بحماية الملكية الصناعية المبرمة في ٢٠ مارس (آذار) ١٨٨٣ م ، وما تبعها من تعديلات .

ج ٤ **بدوي الجبل** : محمد سليمان الأحمد . **الأخطل الصغير** : بشارة عبد الله الخوري . **الشاعر القروي** : رشيد سليم الخوري .

ج ٥ **صفية بنت عبد المطلب بن هاشم** رضي الله عنها عمة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .. أسلمت قبل الهجرة ، ثم هاجرت إلى المدينة المنورة .. نزلت المعركة وبيدها رمح تقاتل به .. أمر النبي الكريم الزبير أن يتحبها حتى لا ترى أخيها حمزة رضي الله عنه مقتولا ، لكنها زجرت الزبير وأقبلت على أخيها حمزة .. قالت الشعر .. ومالت في المدينة المنورة .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل العدد (٦٤)

الاسم : ----------

المهنة : ----------

العنوان : ----------

السؤال الأول :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ـ الصحاح ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ـ الإصابة في تمييز الصحابة .

السؤال الثاني :

ينتهي نسبه إلى قيس عيلان .. هو صاحب لغة ونحو وغريب وأخبار ومُلَح .. كان من أهل البصرة ، ولد عام ١٢٢ هـ .. قدم بغداد أيام الرشيد .. كان يحفظ ستة عشر ألف أرجوزة .. من كتبه « الأصمعيات » ، و « تاريخ العرب قبل الإسلام » .

و « فحولة الشعراء » .. ما اسمه ؟

السؤال الثالث :

ما الفرق بين المستنقع .. والغور ؟

السؤال الرابع :

متى عرف شجر القطاء .. وأين ؟

السؤال الخامس :

ما اسم أكبر حوض للأسماك في العالم .. وأين يقع ؟

● فاز **بالجائزة الأولى** وقيمتها (٢٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ **صالح عطا الله حتمل** ، وعنوانه : الأردن ـ سحاب ـ النفيرة ـ بقالة السيد كريم سالم .

● وفاز **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ **نزار مجيب شعبان** ، وعنوانه : سورية ـ حماة ـ شارع الفوتي ـ المكتب الهندسي للميكانيك والكهرباء .

● وفاز **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ **محمد رضوان حسين الشقفة** ، أبو ظبي ـ ص . ب . (٢٨٧١) الإمارات العربية المتحدة .

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من المغرب ـ تطوان ، سلوقية سيدي الصعيدي ، رقم (١٠) الأخ نور الدين الأمين الجعياق .

● من لبنان ـ بيروت ، برج البراجنة ، شارع عفان ، ملك المرحوم توفيق دياب الخركة ، خلف مدرسة المعرفة التكميلية ، الأخ حسن توفيق دياب الخركة .

● من البحرين ـ الغرق ، الأخت حصة راشد محمد راشد .

● من مصر ـ محافظة المنوفية ، مركز شبين الكوم ، ميت خداقان ، الأخ عبد العظيم السيد الطنطاوي الشايخ .

● من مصر ـ كفر الزيات ، الأخت وفاء أمين الشيخ .

● من بيشة ـ آل عبيد ، مدرسة مجاهد ، الأخ أحمد محمد أحمد ناصر .

● من اليمن ـ قيادة لواء الحديدة ، الأخ عبد الواسع ثابت قحطان .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من السودان ـ جامعة أم درمان الإسلامية ، شعبة الاقتصاد والعلوم السياسية ، الأخ يحيى عثمان إبراهيم محمد .

● من سورية ـ دمشق ، الأخت نبادرة إبراهيم يعقوب .

● من مكة المكرمة ـ الزاهر ، مدرسة مكة الثانوية ، الأخ عبد الرحمن ساه الخطاسي .

● من الرياض ـ الأخت نعيمة عبد الرحمن محمد .

● من جدة ـ بناب جديد ، عمارة الوصي الأوبرج ، الأخ عبد الوهاب سعيد أحمد .

● من المغرب ـ شارع الجيش الملكي رقم (٥) ملا ، الأخ اليوسفي المهدي .

● من المغرب ـ الدار البيضاء ، الأخت دوال مليكة .

● من السودان ـ الخرطوم ، الديوم الشرقية ص . ب . (٢٦) المعهد الدولي للعلوم اللغة العربية ، الأخ حسن عثمان محمد خير .

● من سورية ـ درعا ، مدرسة الطلائع ، الأخ إبراهيم محمود علي حمد .

● من تونس ـ مدنين ، الحي السكني بالشراحة ، رقم (٣٣٥) الأخ محمد بن سالم الخرشولي .



● من السعودية :

د . عبد الوهاب الحكمي .
د . محمد بن سعد بن حسين .
أسامة أحمد السباعي .
هاشم عبده هاشم .

● من مصر :

د . أحمد عمر هاشم .
د . يوسف نوفل .
د . نبيل راغب .
د . أحمد عبد الرحمن إبراهيم .

● من العراق :

د . يوسف عز الدين .
حسن الدجيلي .
د . داود السلوم .

● من الأردن :

إبراهيم السهان .
د . سامي طريفج .

● من لبنان :

د . عمر عبد السلام تدمري .
د . طلال المجذوب .

سليم الرافعي .

● من الكويت :

محمود محمد بكر هلال .
محمد الحسيني عبد العزيز .

● من سورية :

د . عبد الرحمن حميدة .
د . سعد الحاج بكري .
د . محمد مروان النحاس .
د . أحمد كرزة .

● من قطر :

إبراهيم عيسى .
حمدي الكحلوت .

● من الجزائر :

محمد مرتاض .
سلامة عبد الرحمن .
فرحات ميكو .

● من الإمارات :

عبد المنعم عواد .
محمد صهيود النايف .

● من المغرب :

عبد العزيز بنعبد الله .
د . عبد الهادي التازي .

د . إحسان هندي .
المكينسي أحمد .
مصطفى المهياه .

● من الأرجنتين :

يوسف قنصل .

● من إسبانيا :

عبد اللطيف عبد الحليم .
عماد نايف السليمان .

● من ألمانيا :

عبد المقصود محمد حبيب .

● من بريطانيا :

محمد زاهد أبو غدة .
سعيد فياض .

● من فرنسا :

محمد منذر عياش .

